

مصادر وتاريخ عصر  
الحديث والمعاصر  
دراسة في الوثائق

د / مصطفى رمضان

١  
مصادر

تاريخ مصر الحديث والمعاصر  
دراسة في الوثائق

د. مصطفى محمد رمضان

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر  
جامعة الأزهر



بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة :

تتناول هذه الدراسة مصادر تاريخ مصر الحديث ، وتأتي في مقدمة هذه المصادر بطبيعة الحال الوثائق الرسمية ، فلم يعد كافياً اعتماد الباحثين على الكتب الأدبية التقليدية ، وهي الكتب التي كتبها المؤرخون المعاصرون للأحداث أو الذين نقلوا من أشخاص أو كتب عايشة الأحداث ، فقد برزت في الفترة الأخيرة أهمية الوثائق الرسمية المحفوظة في دور الوثائق المختلفة والتي لم يسبق نشرها من قبل وضرورة اعتماد المؤرخين عليها .

وذلك لأن الكتب الأدبية التقليدية سجلها مؤلفوها في ظل عاملي الرغبة والرغبة ، الرغبة في عطاء الحاكم ، والرغبة من عقابه ، وهذان العاملان من أخطر عيوب المعاصرة ، وتزيف الحقائق التاريخية وتشوه بسببهما فإما أن يكتب المؤرخ في ظلهما بعين الرضا أو بعين البغض .

وعين الرضا عن كل عيب كليله ، كما أن عين البغض تبدي المساوئ ، وإن سلم المؤرخ منهما لا يسلم من عيوب أخرى ذاتية تتعلق بميوله وأهوائه وميول من ينقل عنهم وأهوائهم .

أما الوثيقة فإنها خالية من عيوب الكتب الأدبية التقليدية السالفة لأنها كتبت أصلاً لا لتكون مرجعاً تاريخياً وإنما كتبت لحفظ حقوق أصحابها السياسية والمالية أو الاجتماعية ، كنص معاهدة أو اتفاقية دولية ، أو عقد بيع أو شراء ، أو حجة وقفية شرعية ، أو عقد زواج أو غير ذلك من العقود ، ولم يكن يدور بذهن واضعيها أنها ستكون مرجعاً تاريخياً في يوم من الأيام .

وستقتضي الدراسة أن نتعرض لأهم دور الوثائق في مصر وكيفية الحصول على ما بها من وثائق ونشير إلى طبيعتها وخطوطها وأهم ما تحتوي عليه من وثائق .

كما تتناول الدراسة أهمية المخطوطات التي وصلتنا عن العصور السالفة والتي ما زال أغلبها بخطوط مؤلفيها ، أو منقولة عن نسخ المؤلفين الأصليين في تاريخ مصر الحديث لأنها من حيث الأصالة والتوثيق تأتي في المقام الثاني من الأهمية بعد الوثائق ، وما زلنا نحصل على بعض المخطوطات الأصلية لبعض الكتب المنشورة كانت في زوايا النسيان ، وبالرجوع إليها إضافات لا بأس بها تختلف في كثير من النواحي عما نشر لتلك الكتاب . وسنطوي مثالا للإضافات التي تأتي بها المخطوطات من خلال عرضنا لمخطوطة :

" تاريخ مدة الفرنسيين بمصر من سنة ١٢١٣ - ١٢١٦ هـ "

لمؤلفها عبد الرحمن الجبرتي .

وسنشير إلى أهمية معرفة المصطلحات التاريخية في دراسة تاريخ مصر بصفة خاصة وتاريخ العالم الإسلام ي بصفة عامة ، فالباحث أثناء قيامه ببعض أبحاثه معتمدا على الكتب الأدبية التقليدية مثل : كتاب جمال الدين أبي المحاسن بن تغري بردي " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " ، وكتاب محمد أبن اياس المصري " بدائع الزهور في وقائع الدهور " وكتاب عبد الرحمن الجبرتي " عجائب الآثار في التراجم والأخبار " أقول إن الباحث في هذه الكتب تصادفه بعض الكلمات الاصطلاحية من أصل لغوي فارسي أو تركي مستمدة من النظم الفارسية أو التركية إبان غلبة الأتراك على كثير من الدول الإسلامية وظلت هذه المصطلحات مستعملة في عصور الأيوبيين والمماليك والعثمانيين ، ونظرا لمعرفة الناس في تلك العصور بمدلول تلك

المصطلحات فنندر أن يتعرض مؤرخ من مؤرخي تلك العصور لتلك الكلمات بالشرح والتوضيح وتوضيح المراد منها باللغة العربية ، ومن ثم غدت غدت تلك الكلمات الاصطلاحية مشكلة من مشاكل البحث التاريخي أمام الباحثين المحدثين ، فيقف حائرا أمام كلمات مثل ( روز نامه ) و ( أمير خور ) و ( ساليانه ) و ( مهردار ) و ( كتخدا ) وغيرها من الكلمات الاصطلاحية .

ويحتاج الباحث لحل تلك الرموز إلى الرجوع لشتى المصادر من كتب النظم والآثار والفنون وكتب المصطلح ، لأن كتب اللغتين الفارسية والتركية لا تفيد كثيرا في معرفة تلك المصطلحات ، فأحيانا يكون المصطلح مكونا من كلمتين إحداها عربية والأخرى فارسية أو تركية ، أو من كلمتين إحداها تركية والأخرى فارسية إلى غير ذلك من التراكيب ، وقد لا تفيد الترجمة الحرفية للمصطلح فيضطر الباحث إلى آخر فيضطر الباحث إلى دراستها في مختلف العصور الإسلام ية من حيث نشأتها وتطورها ، وكثيرا ما يضطر الباحث إلى الرجوع إلى الوثائق الرسمية التي تختلف عن تلك العصور إن وجدت وهي أفضل الوسائل لدراسة المصطلحات لأنها مصادر ذات دلالة قاطعة في هذا المجال .

وسيقدم البحث إسهاماً متواضعاً في هذا المجال ، ولعل في مستقبل الأيام ما يتيح لنا الفرصة لكي نتناول المصطلحات التاريخية بدراسة منفردة . وفي الختام نتناول أخطر مصادر الخبر في التاريخ المعاصر وأعني بها وكالات الأنباء ، وشبكة معلومات الإنترنت ، التي تتحكم في الأخبار المسموعة أو المصورة ، ولها مراسلون في جميع أنحاء العالم لجمع هذه الأخبار مع الإشارة إلى خطورة ما تبثه وكالات الأنباء في مجال تزييف الأخبار ، وأهمية شبكة معلومات الإنترنت في سرعة استفادة المؤرخ منها بسبب

التكنولوجيا الحديثة المستخدمة في بث الأخبار بالصوت والصورة .

هذا وأرجو من المولى عز وجل التوفيق ،،،

مدينة نصر - القاهرة

في / ٢٠٠٦ م

د. مصطفى محمد رمضان

أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الأزهر

## الفصل الأول

### الوثائق

تأتي في مقدمة مصادر تاريخ مصر الحديث بطبيعة الحال الوثائق الرسمية فهي أدق المصادر التاريخية متى كانت صحيحة لا زيف فيها ولا دس وهي تعتبر بذلك مصدراً من مصادر الدرجة الأولى لأنها تتصف بالحياد ولا يوجد شك في أصالة الوثائق لأن كاتبها الذي كتبها في الماضي لم يكن يدور بخلده يومئذ أنها ستصبح مرجعاً تاريخياً في القرون التالية ، ولا تخضع الوثيقة للمؤثرات الشخصية الموجودة في الكتب الأدبية التقليدية التي أشار إليها عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته وهي ميول المؤرخ وأهوائه وميول من ينقل عنهم وأهوائهم .

ولا يشترط في الوثيقة من الناحية العلمية أن تكون وثيقة رسمية كنص معاهدة أو اتفاقية بين دولتين أو فرمان من فرمانات السلطانية أو الأوامر الديوانية أو حجة شرعية وإنما قد تكون الوثيقة خطاباً من ابن لأبيه أو من صديق إلى صديقه ، أو بيان حساب لأحد التجار أو وصفة طبية علاجية ، أو حجاب من الأحجية أو تعويذة من التعاويذ ، أو إيصال دين أو قائمة بأسعار بعض السلع والمتاجر وما إلى ذلك من المعاملات اليومية ، وهذه الوثائق السالفة كلها ذات أهمية كبيرة في دراسة التاريخ الاقتصادي والحربي

والاجتماعي والثقافي وهي الميادين الجديدة لعلم التاريخ في الربع الأخير من القرن العشرين<sup>(١)</sup>.

#### أنواع الوثائق:

تنقسم الوثائق التاريخية من حيث موضوعها إلى أربعة أنواع :

أولاً: وثائق مالية وقانونية وإدارية وقضائية كالبيع والشراء والإيجار والرهن والوصية والزواج والطلاق والضمان والتعهد .

ثانياً: وثائق مراسلات بين الأصدقاء والأهل لها طابع أدبي .

ثالثاً: مكاتبات سياسية رسمية بين الحكام والأمراء .

رابعاً: الرسائل الدبلوماسية مصدرها الدواوين الحكومية مثل: المنشورات والفرمانات والقرارات وغيرها من الرسائل .

وتنقسم الوثيقة من حيث الخصائص إلى قسمين :

١- خصائص خارجية : وتشمل الحبر الذي كتبت به الوثيقة ونوع الأوراق التي كتبت عليها الوثيقة وطريقة تنظيم الصحيفة والخاتم ، وأنواع مواد الكتابة كالرق والبردي والورق والأحبار والألوان والذهب ، ومعرفة أنواع الخطوط المستخدمة في كتابة الوثيقة والأختام حتى يستطيع الباحث دراسة تلك الخصائص من حيث صلتها بصحة الوثيقة لا سيما أن هذه الخصائص لها أهمية كبيرة في الحكم على صحة الوثيقة أو تزيفها .

٢- الخصائص الداخلية : وهي عبارة عن ملاحظات مبعثها اللغة وطريقة صياغة الوثيقة والأسلوب المتبع في كتابتها

(١) انظر : د. عبد اللطيف إبراهيم ، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة ، من أبحاث الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، جامعة الرياض ، أبريل سنة ١٩٧٧م .

وأقسامها ، وتنقسم الخصائص الداخلية إلى قسمين : الأول : البروتوكول الافتتاحي الذي يبدأ بجملة دعائية أو ابتهاج ويشتمل على اسم صاحب الوثيقة ، والبروتوكول الختامي ويشتمل على التاريخ وعبارة دعائية أو تقدير أو إعجاب ثم التوقيع الذي يضيف الصحة على الوثيقة وأخيراً الختم ، والثاني : النص وهو الجزء الذي يشتمل على موضوع الوثيقة وبه التمهيد والإعلام والعرض والشرح والتصرف وانقذرات الختامية . فالوثائق لا تخرج عن هذين القسمين

وثائق تاريخ مصر الحديث منها المصري ومنها التركي ومنها الأوروبي ، وسيكون تركيزنا على مجموعات الوثائق المصرية منها بصفة خاصة فهي تتعدى أحياناً نطاق الإقليمية ، فنجد بها مجموعات لا بأس بها خاصة بالعلاقات المصرية بالجزيرة العربية ، وأخرى بعلاقات مصر بإقليم الشام ، وثالثة بالسودان والحبشة والبحر الأحمر ، وغير ذلك من المجموعات. وتوزع تلك الوثائق في العديد من دور المحفوظات المصرية ، وأهم هذه الدور حتى الآن :

- ١ - محفوظات دفتر خانة الشهر العقاري بالقاهرة .
- ٢ - دار الوثائق القومية بالقاهرة .
- ٣ - دار المحفوظات العمومية بالقاهرة (بالقلعة) .
- ٤ - محفوظات وزارة الأوقاف المصرية .
- ٥ - محفوظات الحياة النيابية في مكتبة مجلس الشعب حالياً .

### أولاً : محفوظات دفتر خانة الشهر العقاري بالقاهرة :

أما فيما يتعلق بوثائق أرشيف دفتر خانة الشهر العقاري ، فإنها تنتمي زمنياً إلى العصر العثماني (٩٢٣-١٢٢٠هـ) وعصر أسرة محمد علي ( ١٢٢٠-١٣٧٢هـ / ١٨٠٥-١٩٥٢م) ، وتشتمل على مجموعة ضخمة من سجلات محاكم الشرع بالقاهرة وضواحيها إبان تلك الفترة وسجلات الديوان العالي التي كانت تابعة للوالي العثماني ، وسجلات إسقاط القرى ، وكانت هذه السجلات محفوظة في محاكمها الخاصة بها وفي القلعة في بادئ الأمر ، ثم جمعت ونقلت في أوائل عصر محمد علي في خزانة كانت تسمى "خزينة السجلات العامرة" ومقرها في محكمة الباب العالي بقصر الأمير مامي (أحد أمراء السلطان قايتباي في العصر المملوكي) بحي الجمالية بالقاهرة وهذا القصر معروف الآن ببيت القاضي بجانب قسم الجمالية ، فقد جاء في كثير من صور الحجج الشرعية التي نقلت من سجلات محاكم مختلفة أنها نقلت من سجلات محفوظة بخزينة السجلات العامرة بالباب العالي <sup>(٢)</sup> .

ثم نقلت تلك السجلات في تاريخ مجهول إلى قصر مصطفى رياض باشا بخط بركة الفيل بالحلمية الجديدة بالقاهرة وكان به مقر محكمة نور الظلام الشرعية (وسميت نور الظلام لأنه يوجد بالقرب منها ضريح يسمى الشيخ نور الظلام) وكان هذا النقل على ما يبدو لسهولة التقاضي ونقل الحجج الشرعية منها أو الرجوع إليها كلما اقتضى الأمر إذا ما طلبها الورثة أو المتقاضون . وفي حوالي سنة ١٩٦٢م نقلت إلى دفتر خانة محكمة الأحوال الشخصية بشبرا بأول شارع جزيرة بدران بعد نفق شبرا مباشرة وكان بهذه

(٢) انظر : وثيقة رقم ٥٤٩ بمحفوظات وزارة الأوقاف المصرية .

وانظر أيضاً : نهاية سجل رقم ٣٠٩ من سجلات الباب العالي .

وانظر أيضاً : وثيقة رقم ٣٨٨ بمحفوظات وزارة الأوقاف المصرية .



المحكمة قسم خاص بالمحفوظات ومن ثم اشتهرت تلك السجلات لدى الباحثين (فترة من الزمن) بسجلات المحكمة الشرعية بعد ذلك حتى عام ١٩٧٠ م .  
وفي عام ١٩٧٠ م نقلت تلك السجلات إلى مكانها الحالي بدفتر خاتمة مصلحة التوثيق والشهر العقاري بالقاهرة بجوار مبنى دار القضاء العالي بشارع رمسيس ، ومن ثم عرفت أخيراً بسجلات دفتر خاتمة الشهر العقاري بالقاهرة . وقد نقلت مؤخراً إلى دار الوثائق القومية بساحل روض الفرج .  
وهذه السجلات عبارة عن نوعين من السجلات :

- (١) سجلات الديوان العالي .
- (٢) سجلات محاكم الشرع بالقاهرة إبان العصر العثماني .
- (٣) سجلات محاكم الأقاليم إبان العصر العثماني .

أما فيما يتعلق بسجلات الديوان العالي والتي كانت تتبع والى مصر إبان العصر العثماني فالموجود منها عبارة عن ( ١٦ سجلاً ) ستة عشر سجلاً يبدأ السجل الأول منها بتاريخ ١١٥٤ هـ ( ١٧٤١ م ) وينتهي السجل رقم ١٦ بتاريخ ١٣٠٧ هـ = ( ١٨٨٩ م ) .

ويلاحظ أن سجلات الديوان العالي قد فقد منها الكثير فعلى الرغم من أن السجل رقم (١) منها قد بدأ بتاريخ ١١٥٤ هـ أي بعد الفتح العثماني بقرنين وربيع من الزمان مما يدل على أن هناك سجلات كثيرة مفقودة من هذه الوحدة الأرشيفية<sup>(٣)</sup>.

(٣) تطلق كلمة أرشيف على الوثائق القديمة ، وكذلك على المكان الذي تحفظ فيه تلك الوثائق وهي بالمعنى الأول عبارة عن كل الأوراق والسجلات المكتوبة الناتجة عن نشاط إدارة عامة أو خاصة واستحقت الحفظ الدائم للرجوع إليها لأغراض البحث .

والسوحة الأرشيفية هي مجموعة السجلات والوثائق وغيرها الناتجة عن نشاط إدارة أو هيئة معينة مدة حياتها والسودبة الأرشيفية تتكون من عدة وحدات أرشيفية تبحث عن نشاط عدد من الإدارات معاصرة لبعضها تجمعت ووضعت في دار من دور الوثائق ، وذلك مثل الودبة الأرشيفية للأزهر الموجودة في حوزة دار الوثائق القومية بالقاهرة

على الرغم من ذلك إلا أن هناك فترات مفقودة بين السجلات الموجودة مما يدل على ضياع سجلاتها أيضاً ، وذلك مثل الفترة من ١١٥٧هـ حتى عام ١١٧٧هـ وتقع تلك الفترة بين السجل رقم ١ والسجل رقم ٢ .

ومن ناحية أخرى فإن سجلات الديوان العالي من حيث شكلها فكلها تقريباً من النوع المستطيل مقياسها في المتوسط ١٧سم عرضاً × ٦سم طولاً ومسطرتها (ما بين ٦٠ ، ٩٠ سطراً) في الصفحة الواحدة ، ويتراوح عدد الكلمات في السطر ما بين ٢٠ ، ٢٥ كلمة .

واللغة التي كتبت بها تلك السجلات عربية وتركية ، أما الكتابة العربية فمكتوبة بخط سريع قليل الإعجام تصعب قراءته في كثير من الأحيان وذلك بسبب صغره المتناهي وتلاصق كلماته بعضها ببعض ، ومن ثم فإن قراءة هذه السجلات تحتاج إلى مران طويل وجهد كبير حتى يستطيع الباحث قراءتها.

أما الوثائق المسجلة باللغة التركية فمعظمها مكتوب بخط واضح جميل تأتى فيه كاتبه نظراً لأنها تتعلق بأوامر وفرمانات سلطانية ، وقد استعملت اللغة التركية فيها عند تسجيل الأوامر والفرمانات السلطانية وأوامر والي مصر وقراراته ، واستعملت اللغة العربية في تسجيل وثائق الصرة الشريفة وبعض وثائق الكسوة التي كانت ترسل كل عام إلى الحرمين الشريفين<sup>(٤)</sup>

---

وهي عبارة عن ودیعة تضم عدة وحدات أرشيفية عن أروقة الأزهر وسجلات مجلس إدارة الأزهر وسجلات المجلس الأعلى للأزهر ودفاتر القرارات والمشورات الخاصة بالوزارات المختلفة وغيرها من الدفاتر والمخاطبات الخاصة بأنشطة الأزهر المختلفة إبان عصر أسرة محمد علي .

(٤) وثائق الصرة : هي وثائق تسمى الإشهادات الشرعية التي كانت تؤخذ على أمير الحج كل عام وهي عبارة عن وثيقة مكتوبة لكل وقف من أوقاف الحرمين تبصر عبارة عن إقرار على أمير الحج بأنه تسلم هذه الأموال لتسليمها إلى أربابها بالحجاز ، وكانت تلك الوثائق تكتب في مجلس شرع شريف بحضور شهود من كبار رجال الدولة وكان هذا

والإشهادات والإعلانات الشرعية ، ووثائق وفاء النيل ورؤية أهلة الشهور العربية وإشهادات إرسال مخصصات الدولة العثمانية التي كانت تسمى الخزنة أو الخزينة ووثائق أوقاف الأمراء من أسرة محمد علي .

وعلى الرغم من أن سجلات الديوان العالي وصلت إلينا ناقصة إلا أنها تمثل وحدة أرشيفية متكاملة ، وتمثل هذه الوحدة الأرشيفية مع وحدات المحاكم المصرية في العصر العثماني المعاصرة لها الوديعة الأرشيفية التي حفظت مؤقتاً في دفتر خانة مصلحة التوثيق والشهر العقاري بالقاهرة ثم نقلت أخيراً إلى دار الوثائق المصرية بالقاهرة بساحل النيل بروض الفرج .

أما لماذا نقلت سجلات الديوان العالي إلى دفتر خانة الشهر العقاري بمصاحبة الوحدات الأرشيفية القضائية ، فذلك نظراً لما فيها من بعض وثائق الوقفيات المسجلة في سجلاتها وبعض الإعلامات الشرعية مما يقتضي الرجوع إليها لمصالح الجمهور عند التقاضي .

وأما سجلات محاكم الشرع بالقاهرة إبان العصر العثماني ، فهي عبارة عن سجلات لخمس عشرة محكمة ومحافظ دشت من سجلات المحاكم المختلفة ، وفيما يلي نورد جدولاً بأسماء تلك المحاكم وعدد سجلاتها وبداية العمل بها وانتهائها :

---

الجلس يعقد بصيوان (خيمة) أمير الحج بمكان خارج القاهرة يسمى بركة الحج سميت كذلك للول الحاج بها عند مسيرهم من القاهرة إلى الحج في كل سنة ونزولهم بها عند العودة ومنها يدخلون القاهرة .

## قائمة بالمحاكم الشرعية في القاهرة

### إبان العصر العثماني :

م	اسم المحكمة	بداية العمل فيها	انتهاء العمل	عدد السجلات
١	محكمة الباب العالي	٩٣٧هـ - (١٥٣٠م)	١٣٤٢هـ - (١٩٢٣م)	١٦٨٦
٢	محكمة القسمة العسكرية	٩٦١هـ - (١٥٥٣م)	١٢٩٢هـ - (١٩٢٣م)	٤١٩
٣	محكمة القسمة العربية	٩٧٠هـ - (١٥٦٢م)	١٢٩٨هـ - (١٨٨٠م)	١٥٨
٤	محكمة المسجد الزينى ببولاق	٩٤٣هـ - (١٥٣٦م)	١٢٢٦هـ - (١٨١١م)	٨٣
٥	محكمة مصر القديمة	٩٣٤هـ - (١٥٢٧م)	١٢٢٥هـ - (١٨١٠م)	٣٤
٦	محكمة قناطر السباع	٩٥٧هـ - (١٥٥٠م)	١٢٢٦هـ - (١٨١١م)	٤٧
٧	محكمة الجامع الطولوني	٩٣٧هـ - (١٥٣٠م)	١٢٢٦هـ - (١٨١١م)	٩١
٨	محكمة جامع قوصون	٩٦٤هـ - (١٥٥٦م)	١٢٢٦هـ - (١٨١١م)	٦٨
٩	محكمة جامع الصاخ طلائع	٩٥٣هـ - (١٥٤٦م)	١٢٢٦هـ - (١٨١١م)	٦٧
١٠	محكمة بابي سعادة والخرق	٩٨٨هـ - (١٥٨٠م)	١٢١١هـ - (١٧٩٦م)	٧١
١١	محكمة الصالحة النجمية	٩٣٤هـ - (١٥٢٧م)	١٢٢٦هـ - (١٨١١م)	١٠٧
١٢	محكمة جامع الحاكم	٩٤٤هـ - (١٥٣٧م)	١٢٢٥هـ - (١٨١٠م)	٧٨
١٣	محكمة باب الشعربة	٩٥٥هـ - (١٥٤٨م)	١٢٢٦هـ - (١٨١١م)	٧٥
١٤	محكمة جامع الزاهد	٩٧٢هـ - (١٥٦٤م)	١٢٢٦هـ - (١٨١١م)	٤٧
١٥	محكمة البرميشية	٩٧٣هـ - (١٥٦٥م)	١٢٢٧هـ - (١٨١٢م)	٢٢
١٦	محافظ دحست	خاكام وسنوات مختلفة	(٣٥٣ محفظة)	

ولعل من المفيد أن نذكر أن الخط الذي كتبت به سجلات المحاكم الشرعية هو أسرع وأقل وضوحاً من خط سجلات الديوان العالي السالفة ، ومن ثم فهو أصعب قراءة ويحتاج الباحث في قراءته وتفهم وثائقه إلى عناء كبير ، والقيد والتسجيل في هذه السجلات تاريخياً سنة بسنة وشهراً بشهر ويوما بيوم ، وخطوط هذه السجلات من النوع المرتعش السريع ونادرة

الإعجام صعبة القراءة بسبب تلاصق كلماته بعضها ببعض ، وتحتاج من الباحث كثيراً من المران والجهد حتى يتقن قراءتها .

ويستعمل الكتاب في كثير من الكلمات خط القرمة وهو نوع صعب القراءة للغاية لاختصار الكاتب فيه كثيراً من الحروف أثناء الكتابة ، وهو من فصيلة الخطوط التركية ، وقد استعمل هذا الخط في كتابة الأرقام والأوزان ، والسكة بوجه خاص ، ويرجع استعمال هذا النوع من الخطوط في سجلات الروزنامة والمالية لضمان سرية هذه السجلات ، ويحتاج هذا الخط إلى بعض الخبراء لفك رموزه .

ويختلف حجم سجلات المحاكم عن سجلات الديوان العالي فبينما الأخيرة مستطيلة (١٧×٦ سم) في المتوسط تكاد تتراوح الأولى في المتوسط أيضاً بين حجم الفلسكاب والكوارتو ، وهي من الضخامة بحيث أن صفحات بعضها تزيد على ألف صفحة .

وعلى الرغم من أهمية هذه الوثائق بنوعيتها السالفة في تاريخ مصر الثقافي والديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، إلا أنها مهمة ولا يشرف عليها مختصون في مجال حفظ الوثائق وترميمها ، وتحتاج إلى فهرسة جديدة بعد أن بليت فهارسها الحالية من كثرة التداول في شئون التقاضي والمواريث ، وذلك ليسهل على الباحثين الاطلاع على ما فيها من ذخائر وكنوز تاريخية مازالت مجالاً بكرّاً تلقى الكثير من الضوء على تاريخ فترة العصر العثماني المظلمة (وإن شئت فقل المظلومة) في مصر والحجاز والشام بوجه خاص ، وهذه الوثائق كانت موضوعاً في دوايب من الحديد مغلقة ، ومعدومة التهوية بدرجة تضربها كثيراً ، وذلك قبل نقلها إلى دار الوثائق القومية بساحل روض الفرج .

## الحجج الشرعية :

الحجج الشرعية وثائق منفردة صادرة من محاكم الشرع تضم عدداً ضخماً من الحجج الشرعية الأصلية المفردة على شكل ملف (Roll) أو طيات (folded) أو كتيب (codex) وهي كلها ترجع إلى عصور مختلفة من العصر الفاطمي إلى العصر العثماني ، وقد نقلت تلك الوثائق المفردة إلى دار الوثائق القومية بالقلعة بنفس ترتيبها وأرقامها بالمحكمة وذلك في يناير سنة ١٩٧١م .

وتعتبر هذه الوثائق مصدراً هاماً وأصيلاً لدراسة التاريخ الحضاري والاقتصادي والإداري والقضائي والاجتماعي ، لمصر في تلك العصور ، وذلك لما تحتوي عليه من معلومات إضافية عن العمانر والآثار الخاصة والرسومية الدنيوية منها والدينية ، وما بها من أنواع العملة والنقود المستعملة خلال هذه العصور والنظم القضائية والاجتماعية فضلاً عن فائدتها الكبيرة في الدراسات الوثائقية والأرشيفية وغير ذلك من موضوعات تاريخية هامة .

وكانت تلك الوثائق المفردة تحفظ بدار الوثائق التاريخية بالقلعة داخل محافظ ووثائق السلاطين والأمراء منها تحفظ مستقلة داخل محافظ مرتبة ، ومسلسلة الأرقام من ١-٣٦٤ ، ويبلغ عددها ٣٦٤ وثيقة مفردة ، وهذه المجموعة خاصة بتصرفات السلاطين والأمراء في مصر ، ووثائق الأفراد من عامة الشعب تحفظ داخل محافظ أخرى خاصة بها ومرقمة ترقيمياً مسلسلاً من ١-٩٧٨ ، أي أن عددها ٩٧٨ وثيقة وغالبيتها ترجع إلى العصر العثماني ، وتحتوي على العديد من المعاملات الشرعية كالوقف والبيع والشراء والهبة ، والاستبدال ، وغير ذلك من المعاملات .

ومن أهم الوثائق الخاصة بالسلاطين والأمراء ، وثيقة رقم ١ الخاصة بوقف الملك الصالح طلائع بن زريك وزير الخليفة الفاطمي الفائز ، ووثيقة

رقم ٢ محفظة ١ خاصة بوقف السلطان قلاوون ، ووثيقة رقم ٦ محفظة ١ وقف باسم الملك المعز مجير الدين يعقوب بها وقف لأماكن بغوطة دمشق على أولاد الواقف ونسله ، وبعد انقراضهم يصرف على شئون الحرم النبوي .

ووثيقة رقم ٢٤ محفظة ٤ خاصة بوقف السلطان حسن بن السلطان محمد بن قلاوون ، كما تضم هذه المجموعة وثائق هامة خاصة بالسلطين : بيبيرس الجاشنكير ، والأشرف شعبان وأبو سعيد برقوق وإينال السيفي والسلطان فرج بن الظاهر برقوق ، والأشرف برسباي ، والسلطان قايتباي ، إلى غير ذلك من الوثائق الخاصة بالسلطين والأمراء ونسائهم والتي تعتبر من أقدم الوثائق المصرية.

## أهمية وثائق محاكم الشرع في الدراسات التاريخية

من المعروف أن وثائق محاكم الشرع لم تكتب لكي تكون سجلاً تاريخياً يرجع إليه المؤرخون ، وإنما كتبت لحفظ حقوق أصحابها ، وحبس الأوقاف الخيرية على مصالحها التي أوقفت عليها حبساً موبداً ، ومن ثم فإنها تحمل معلومات تاريخية صادقة تماماً تختلف كل الاختلاف عن المعلومات التي تؤخذ من المصادر التاريخية المعاصرة لها والتي سجلها أصحابها في ظل عاملي الرغبة والرغبة في نوالهم ، والرغبة من سوطهم بالإضافة إلى العوامل الذاتية الأخرى للمؤرخ والتي تتعلق بميول المؤرخ وميول من ينقل عنهم ، فالمؤرخ المعاصر عندما يرجع إلى تلك الوثائق يطمئن تمام الاطمئنان إلى خلوها من العوامل السالفة التي تدخل التزييف على المادة التاريخية .

وتحتوي تلك الوثائق على معلومات ضافية في شتى النواحي الاقتصادية والاجتماعية والقضائية ومعلومات أخرى تهم الباحثين في تاريخ تخطيط المدن حيث تصف لنا تلك الوثائق مواقع العقارات المبنية وصفاً دقيقاً تحدد فيه أبعاده المختلفة والشوارع والحرارات والأزقة وغيرها من الطرق التي تحيط بالعقار من كل جانب واتساع هذه الطرق مقدراً بمقاييس عصرها ، فإذا أمكن لنا أن نتتبع هذه المعلومات على مر العصور فنستطيع من خلالها أن نرسم تخطيطاً دقيقاً لأحياء القاهرة الفاطمية وغيرها من الأحياء الملحقة بها .

وفي مجال المعاملات النقدية تلقى تلك الوثائق كثيراً من الضوء على تاريخ العملة والنقود حيث تعطينا العديد من أسماء النقود الفضية والذهبية التي كانت متداولة في مصر وغيرها من البلدان العربية في تلك العصور ، إلى جانب أسعار شتى المشتريات والمبيعات مما له أهمية قصوى في مجال التطور الاقتصادي ، إلى غير ذلك من المعلومات الصادقة والحقيقية التي لم تشبها شائبة تحيز أو نقص فهي أصدق دليل على عصرها .

كما أن تلك الوثائق تعتبر مجالا لدراسة تطور اللغة العربية والكتابة العربية وصلتها باللغات الأخرى وعلى الأخص اللغة التركية ، وتأثرها بها لأنها كانت لغة الفاتحين الأتراك ودخول كثير من الألفاظ التركية إلى الوثائق وإلى لغة الكلام في ذلك العصر ، فبمقارنة وثائق تلك العصور يمكننا أن نتعرف على الدخيل من اللغات الأخرى ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة ولا يتسع المقام لذكرها .

ومن الجدير بالذكر أن كاتب هذه السطور اعتمد في غالبية بحوثه العلمية على تلك الوثائق وفي طليعتها البحوث التالية :



**أولاً :** بحث لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث من قسم التاريخ والحضارة بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر ، تحت عنوان (دور الأزهر في الحياة المصرية إبان الحملة الفرنسية ومطلع القرن التاسع عشر) .

**ثانياً :** بحث حول (وثائق مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني) وقد اشتركت بهذا البحث في الندوة العالمية الأولى لتاريخ الجزيرة العربية ، حلقة المصادر ، والتي عقدت في جامعة الرياض بالمملكة العربية السعودية في جمادى الأولى سنة ١٣٩٧هـ (أبريل سنة ١٩٧٧م) . وقد اعتمدت في إخراج هذا البحث على نوعين من الوثائق :

**الأول :** ويستعلق بوثائق الصرة الشريفة أي الأموال التي كانت ترسل كل عام من مصر إلى أهالي الحرمين ، وتوجد تلك الوثائق مسجلة في سجلات الديوان العالي والتي كانت تتبع والي مصر إبان العصر العثماني ونقلت أخيراً إلى دفتر خانة الشهر العقاري كما سبق أن ذكرنا ، ثم مؤخرًا إلى دار الوثائق القومية.

**والنوع الثاني :** ويتعلق بوثائق موارد ومصادر أموال الصرة الشريفة في مصر ، ونعني بها وثائق أوقاف الحرمين ، وتوجد تلك الوثائق مسجلة في سجلات محاكم الشرع إبان العصر العثماني وبها العديد من الأوقاف المحبوسة للصرف على أهالي الحرمين الشريفين.

**ثالثاً :** بحث حول (وثائق الأزهر) اشتركت به في الندوة العالمية التي عقدت بالقاهرة بجامعة عين شمس والتي نظمها سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بكلية الآداب في المدة من ٧-١٢ مايو ١٩٧٧ وموضوعها (وثائق تاريخ العرب الحديث) وذلك تحت إشراف شيخ المؤرخين الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الحكيم رئيس جمعة عين شمس سابقاً ورئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ورئيس (السمنار) .

رابعاً : بحث حول رواق الشوام بالأزهر - تقدمت به إلى المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام المنعقد بجامعة دمشق في نوفمبر - ديسمبر ١٩٧٨ م .

خامساً : بحث حول : دور الأوقاف في دعم الأزهر كمؤسسة علمية إسلامية ، قدم إلى الندوة التي نظمها معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية ، حول الأوقاف الإسلام ية والتي أقيمت في المغرب في أبريل ١٩٨٣ م .

سادساً : بحث حول دور المرأة في النشاط الاقتصادي في مصر في القرن ١٨م قدم إلى ندوة عقدت بجامعة الأزهر بالقاهرة بعنوان : التاريخ الاقتصادي للمسلمين في أبريل ١٩٩٨م

### **دار الوثائق القومية بالقاهرة :**

تم إنشاء هذه الدار بموجب القانون رقم ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤م على أن تنقل إليها وثائق دور الحفظ المختلفة في مصر وأهمها : (١) دار المحفوظات العمومية بالقلعة (٢) محفوظات مجلس الوزراء (٣) محفوظات وزارة الأوقاف (٦) محفوظات الأزهر (٧) محفوظات القصر الجمهوري (أرشيف عابدين) على أن تكون هذه المحفوظات نواة لمجموعات دار الوثائق القومية ، وكانت هذه أول خطوة لإنشاء دار الوثائق القومية بالقاهرة .

وأهم ما يوجد في حوزة دار الوثائق القومية بالقاهرة الآن هي المجموعات التالية :

## أولاً : مجموعة وثائق الأزهر :

تأتى هذه المجموعة في مقدمة وثائق الأزهر من حيث الأهمية <sup>(٥)</sup> ، وهي عبارة عن وديعة أرشيفية تضم عدة وحدات أرشيفية ، عن أروقة الأزهر وحرارته وسجلات مجلس إدارة الأزهر منذ إنشائه سنة ١٣١٢هـ - (١٨٩٥م) وسجلات المجلس الأعلى للأزهر منذ إنشائه في سنة ١٣٢٩هـ - (١٩١١م) ودفاتر القرارات والمنشورات الخاصة بمجلس النظار ونظارات الداخلية والحقانية والأشغال والمعارف وديوان عموم الأوقاف ودفاتر الكوبيا الخاصة بصور المكاتبات الصادرة عن الأزهر إلى الجهات المختلفة ، ومجموعة المحافظ المحتوية على ملفات خاصة بأنشطة مجلس إدارة الأزهر والمجلس الأعلى للأزهر .

وتتنمى هذه الوديعة الأرشيفية زمنياً - بكافة وحداتها - إلى النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين . وكانت هذه المجموعة في حوزة الأزهر حتى عام ١٩٦٥م ، وفي تلك السنة قام قسم الجمع والتسجيل بدار الوثائق القومية بالقاهرة بجمعها وتسجيلها ، ثم أتم نقلها إلى دار الوثائق عام ١٩٧٠م .

وسجلات الأزهر بها معلومات تهتم الباحث والمؤرخ في نظام التعليم بالأزهر ونظام السكن بالأروقة وجرايات (مرتبات) المجاورين من الخبز

---

(٥) توجد بالإضافة إلى مجموعة دار الوثائق القومية مجموعات أخرى تخص الأزهر أي تحوي على وثائق خاصة بتاريخ الأزهر وأهمها حتى الآن (١٩٧٨م) :

- ١ - مجموعة مصلحة التوثيق والشهر العقاري بالقاهرة .
- ٢ - مجموعة أرشيف وزارة الأوقاف المصرية .
- ٣ - مجموعة المكتبة الأزهرية .
- ٤ - مجموعة محفوظات الأزهر بمبنى تكية أبي الذهب .

والنقود ، في القرنين الأخيرين قبل قانون تطوير الأزهر (سنة ١٩٦١م) وتوجد بها معلومات عن إيرادات أوقاف الأروقة ، ومعلومات تاريخية عن أصل بدل الكسوة الذي كان يتقاضاه بعض علماء الأزهر من الروزنامة كل عام ، ومعلومات عن أماكن الدراسة ومواعيدها والأماكن التي كانت ملحقة بالأزهر ،

كما أن سجلات الأزهر (وخاصة سجلات الأروقة ) تلقي الضوء على دور الأزهر في العالم الإسلام ي ، فهي تعطي الباحث كثيراً من قوائم العلماء و الطلبة الوافدين إلى الأزهر من جنسيات عديدة : أتراك ومغاربة وشوام وحجازيين وعراقيين وسودانيين وهنود ويمنيين وأندونيسيين وغيرهم .

#### سجلات مجلس إدارة الأزهر :

كما أنها تعطي الباحث مادة علمية غزيرة عن الحركة التي دبت في الأزهر بعد إنشاء مجلس إدارة الأزهر في عام ١٣١٢هـ بعضوية الشيخ محمد عبده وصديقه الشيخ عبد الكريم سلمان والشيخ سليم البشري والشيخ يوسف النابلسي ورئاسة شيخ الأزهر حسونة النواوي .

وكان هذا المجلس بداية عهد جديد للأزهر بعد أن قامت قيامة الأزهريين على المرحوم الشيخ محمد الإمامي شيخ الأزهر يومئذ ( ١٣٠٤ - ١٣١٢ هـ ) ورفعوا العرائض إلى الخديوي مفعمة بأن شيخهم عاجز عن إدارة شئونهم ، وأنه خص أهل مذهبه الشافعية بخيرات الأزهر ، وأنه قصر عليهم كساوي التشريف على غير إنصاف بين أهل مذهبه وبين بقية أهل المذاهب .

وما زالوا كذلك حتى أوقف الجناب العالي صدور الأوامر العالية بالإعتماد على من اختارهم الشيخ وخصهم بتلك الكساوي التشريعية ، وبقيت الكساوي

موقوفة إلى أن تغيرت الحال . وغير ذلك من الطعون التي طالبوا فيها بتغيير الأوضاع .

فصدر الأمر العالي في الثامن من شهر جمادى الثانية سنة ١٣١٢ هـ = (١٨٩٥م) بتعيين الشيخ حسونة النواوي وكيلًا للأزهر لإدارة شؤونه حتى يتقرر أمر جديد ، ثم لم يمض إلا أقل من شهر حتى صدر أمر عال بتشكيل مجلس إدارة الأزهر وذلك في ٧ من رجب سنة ١٣١٢ هـ من كل من :  
الشيخ محمد عبده . والشيخ عبد الكريم سلمان . والشيخ حسن المرصفي الشافعي . والشيخ سليم البشري المالكي . والشيخ يوسف النابلسي الحنبلي .

وكان أول اجتماع لمجلس إدارة الأزهر في ١٦ من رجب سنة ١٣١٢ هـ (١٢ من يناير سنة ١٨٩٥م) .

ثم صدر الأمر العالي بتولية الشيخ حسونة شيخًا للأزهر ورئيسًا لمجلس إدارته في الثاني من شهر محرم سنة ١٣١٣ هـ . بعد أن نصح العقلاء الشيخ الإيبابي بأن يقدم استقالته من منصبه فقدمها بعد تردد طويل.  
وأهم ما في سجلات إدارة الأزهر وضع قانون لتطوير نظام الامتحان بالأزهر ، ذلك النظام الذي ظل يتعثر منذ وضع عام ١٨٧٢م في عصر إسماعيل على عهد الشيخ محمد المهدي العباسي شيخ الأزهر يومئذ ، فعلى الرغم من صدور قانون الامتحان منذ ذلك التاريخ ، إلا أنه لم يصبح وسيلة لتشجيع العلماء الشبان بقدر ما أصبح وسيلة للتعويق ، فما من شيخ تولى مشيخة الأزهر منذ عهد الشيخ العباسي حتى عهد الشيخ حسونة النواوي زاد في عدد من يمتحنون في كل عام على ستة طلاب ، وفي بعض السنوات كان العدد الذي يدخل لنيل الشهادة العالية من الأزهر لا يتجاوز أربعة طلاب والذين كان يساعدهم الحظ ، ويدخلون الامتحان كانوا لا يصلون إلا بعناية الراجين

وإلحاح الملحين ، ولم يكن للدور ولا للأقدمية ولا للذكاء ولا للشهرة في التحصيل مدخل في نيل الحق ، بل كان السلطان القوي هو شفاعته هؤلاء الشفعاء الذين لا يشفعون إلا للغني وإن كان غيباً ، ويضيعون حق الفقير وإن كان ذكياً .

وبذلك ترك في قلم كتاب الأزهر عرائض لطلب الامتحان لا تحصى ، وينس مقدموها من إجاباتهم ففترت عزيمتهم عن التحصيل وانقطع معظمهم عن المجيء إلى الأزهر وتعدى هذا اليأس إلى من يليهم من الزمن فجفت آمالهم وعلموا أن الدور إن وصل إليهم فإتما يصل بعد الهرم وكان ذلك ظاهراً للعيان .

وقد تدارك مجلس إدارة الأزهر بزعامة الشيخ محمد عبده هذا الأمر وأعاد إلى الطلاب آمالهم فقرر تصفية هذه التلال المتراكمة من العرائض ليتحقق وجود أصحابها فأعلن للجميع بأن الامتحان سيكون على غير تلك القاعدة السادسة أو الرباعية وصدر الأمر بذلك في سنة ١٣١٤هـ .

ويذكر لنا الشيخ عبد الكريم سلمان عضو مجلس إدارة الأزهر بياناً بعدد من امتحنوا في السنوات التالية لصدور هذا القانون فيقول :

"سنة ١٣١٥هـ امتحن فيها ٢٩ طالباً نجح منهم ١٨ ورسب ١١ .  
وسنة ١٣١٦هـ امتحن فيها ٢٨ طالباً نجح منهم ١٣ ورسب منهم

. ١٥

وسنة ١٣١٧هـ امتحن فيها ٢٠ طالباً نجح منهم ١١ ورسب ٩ .  
وسنة ١٣١٨هـ امتحن فيها ٢٥ طالباً نجح منهم ١٦ طالباً ورسب ٩

طلاب .

وسنة ١٣١٩هـ امتحن فيها ٣٧ طالباً نجح منهم ٢٣ طالباً ورسب

١٤ طالباً .

وسنة ١٣٢٠هـ امتحن ٣٩ طالباً نجح منهم ١٧ طالباً ورسب ٢٢

طالباً .

وسنة ١٣٢١هـ امتحن فيها ٩٥ طالباً نجح منهم ٣٤ طالباً ورسب

٦١ طالباً .

وفي سنة ١٣٢٢هـ امتحن فيها ٦٨ طالباً نجح منهم ٣٤ طالباً

ورسب ٣٤ طالباً<sup>(٦)</sup> .

ومن هذا البيان يتضح لنا مدى تأثير القانون الذي أصدره مجلس إدارة الأزهر والذي وضعه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ويوجد مدوناً في سجلات مجلس إدارة الأزهر المحفوظة ضمن الوديعات الأرشيفية للأزهر بدار الوثائق القومية<sup>(٧)</sup> .

وكان من أهم ما بحثه المجلس أيضاً قانون المرتبات وضبطها وهي الأمر الذي شكاه منه الأزهريون من الشكوى لأن المرتبات كانت توزع بالمحسوبية وليس بالكفاءة ، وخاصة أن نظارة المالية طلبت من الأزهر أن يقرر درجات العلماء ، ويحدد المرتب لكل درجة منها ، فبدأ المجلس في وضع أول قانون للمرتبات في الأزهر .

وقرر مجلس إدارة الأزهر إلحاق التعليم في الجامع الأحمدى بالأزهر ، وإلحاق التعليم في المسجد الدسوقي ودمياط بالأزهر ، وكذلك تم إلحاق التعليم في الإسكندرية بالأزهر بعد أخذ ورد من علماء الإسكندرية ، وقرر المجلس تعيين الشيخ محمود باشا شيخاً لعلماء الإسكندرية ، وتعيين أخيه الشيخ أحمد

(٦) انظر هذا البيان الذي كتبه الشيخ عبد الكريم سلمان عن إنجازات مجلس إدارة الأزهر في كتاب الأستاذ الإمام

الشيخ محمد عبده ، ج ١ ، ص ٤٤٠-٤٤٢ .

(٧) انظر سجل رقم ١/ لسنة ١٣١٢هـ من سجلات محاضر مجلس إدارة الأزهر ، وهذه السجلات عبارة عن ١٧

سجلاً تنتهي بتاريخ سنة ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) .

باشا وكيل له ، وذلك لما لوالدهم المرحوم الشيخ إبراهيم باشا من المنزلة الرفيعة بين علماء الإسكندرية ، وعراقه بيتهم في العلم .

وصفوة القول أن سجلات مجلس إدارة الأزهر تحتوي على فترة من أهم فترات تطوير الأزهر وبداية دخول الأنظمة الحديثة به ولا غنى عنها لمن يتناول تاريخ الأزهر في تلك الفترة وما تلاها من فترات .

### سجلات المجلس الأعلى للأزهر :

هذه السجلات كانت مخصصة لتسجيل محاضر المجلس الأعلى للأزهر وهو المجلس الذي تشكل بموجب القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١ وكان انعقاد هذا المجلس لأول مرة بدار مشيخة الأزهر برئاسة الشيخ سليم البشري شيخ الأزهر وعضوية :

(١) الشيخ بكري عاشور الصدفي مفتي الديار المصرية وشيخ السادة الحنفية .

(٢) الشيخ سلمان العبد شيخ السادة الشافعية .

(٣) الشيخ هارون عبد الرازق نائب السادة المالكية .

(٤) الشيخ أحمد البسيوني شيخ السادة الحنابلة .

وكان هناك بعض أعضاء من خارج الأزهر في المجلس لمتابعة سير الدراسة في المواد الحديثة وكذلك متابعة النظم الحديثة التي أدخلت بالأزهر ، وهؤلاء الأعضاء هم :

(١) أحمد فتحي زغلول باشا وكيل الحقانية . وإسماعيل صدقي باشا

وكيل الداخلية . وأحمد ذهني باشا الذي كان ناظراً لمدرسة

المهندس خانة . وأحمد شفيق باشا مدير عموم الأوقاف

المصرية.



(انظر نص الإرادة السنوية الخاصة بتعيين بعض الأعضاء من خارج الأزهر في المجلس الأعلى للأزهر ، سجل رقم ١/ من سجلات المجلس الأعلى للأزهر ص ٤) .

ولقد قام المجلس الأعلى للأزهر بعدة نشاطات لتوطيد دعائم التطوير بالأزهر كان على رأسها اللوائح الآتية :

- ١- مشروع لائحة التقاعد وأولاد العلماء (قرار رقم ٣٠ لسنة ١٩١١م) .
- ٢- مشروع لائحة كساوي التشريف الخاصة بالعلماء (قرار رقم ٣١ لسنة ١٩١١م)
- ٣- مشروع لائحة الكتاتيب الملحقة بالأزهر (قرار رقم ٣٢ لسنة ١٩١١م) .
- ٤- مشروع لائحة الميزانية الخاصة بالجامع الأزهر (قرار رقم ٣٣ لسنة ١٩١١م) .
- ٥- تأليف لجنة لفحص الكتب التي تُولف حديثاً بالأزهر (قرار رقم ٣٤ لسنة ١٩١١م)
- ٦- إعداد مشروع للعلوم التي تدرس للمكفوفين بالأزهر (قرار رقم ٢٩ لسنة ١٩١١م) .
- ٧- تأليف لجنة لفحص حجج الأوقاف واستبدال الجرايات (قرار رقم ٢٨ لسنة ١٩١١م) .

إلى غير ذلك من الأنشطة التي قام بها المجلس الأعلى للأزهر في شتى ميادين النظم الحديثة التي نقل الأزهر بها من مجرد حلقات بداخل الأزهر تقليدية إلى دراسة عميقة منظمة لها قوانين ونظم ثابتة وألحق بالأزهر بعض المدارس القريبة من الأزهر لإلقاء الدروس بها .

وتوجد مجموعة لمحاضر المجلس الأعلى للأزهر مطبوعة بمطبعة النهضة والإصلاح بالقاهرة في حوزة دار الوثائق القومية وهي محاضر

سنوات من ١٩١١-١٩٢٠ عبارة عن ٣٢ جزءاً تشتمل على محاضر نحو عشر سنوات من عمر المجلس الأعلى للأزهر .

ويلاحظ أن لجنة الجمع والتسجيل بدار الوثائق قد خلطت بين هذين النوعين من السجلات (سجلات المجلس الأعلى للأزهر- وسجلات مجلس إدارة الأزهر) ولم تفرق بينهما وأطلقت على كلا النوعين اسماً واحداً في بطاقتها الملصقة على السجلات وهو : "سجلات المجلس الأعلى للأزهر" وذلك على الرغم من وجود تذكرة ملصقة بمعرفة الكاتب الأصلي لكلا النوعين ، تدل على التفريق بين هذين النوعين من السجلات وتاريخ تسجيلها ، فضلاً على أن محتوى تلك السجلات يدل بما لا يدع مجالاً للشك على أن بعضها لمجلس إدارة الأزهر والبعض الآخر للمجلس الأعلى للأزهر وذلك ما بيناه بوضوح سابقاً .

ومما هو جدير بالذكر أنني نبهت على القائمين على هذه الوثائق بضرورة إصلاح هذا الخطأ ، الذي يوقع الباحثين في لبس شديد ، وذلك أثناء قيامي ببعض الأبحاث العلمية التي تعتمد على وثائق الأزهر <sup>(٨)</sup> .

#### المحافظ :

وأخيراً توجد مجموعة من المحافظ التي تحتوي على ملفات غير مرتبة ترتيباً زمنياً وهي عبارة عن ٧٢ محفظة بها مذكرات وتقارير لجان ومشاريع لميزانية الأزهر ، بعضها مطبوع بالبالوطة والبعض الآخر بمطبعة الحروف وكانت تعد للعرض على المجلس الأعلى للأزهر ومجلس إدارة الأزهر وهي تبدأ من سنة ١٩١٢م إلى سنة ١٩٤٨م وهذه المحافظ غير مرقمة حتى الآن .

(٨) توجد نماذج لوثائق الأزهر في ملحق الوثائق .

ولعل من المفيد أن نذكر أن المتصفح لمحافظ الحجج الشرعية ، وملفات العلية السنية ، وتقارير النظر ، وغيرها بدار الوثائق القومية بالقاهرة يجد بها بعض الوثائق التي تهتم الباحث في تاريخ الأزهر .

### مجموعة وزارة الأوقاف :

مجموعة وثائق وزارة الأوقاف الخاصة بالأزهر عبارة عن صور للحجج الشرعية الأصلية التي حررت بمحاكم مصر المختلفة في العصر العثماني ، وعصر أسرة محمد علي ، وهي خاصة بأمالك موقوفة على الأزهر ، وأخرى خاصة بأروقة الأزهر ، وتحتوي هذه الحجج على معلومات دقيقة ، خاصة بتحديد أماكن الوقف تحديداً دقيقاً وأسباب وأغراض الوقف ووجوه صرف ريعه (أي دخله) وهي مفيدة للباحث في مجال موارد الأزهر الاقتصادية ومصارفه .

وتمتاز هذه المجموعة من الحجج ، بوضوح خطها وسهولة قراءته ويستطيع الباحث أن يصل إلى مطلوبه منها في وقت وجيز لا يقارن بالوقت الذي يعاينه في فك خطوط سجلات المحاكم المودعة بمصلحة التوثيق والشهر العقاري السالفة .

ويضم أرشيف وزارة الأوقاف وثائق أوقاف أسرة محمد علي وفيما يلي

بياناتها : ١- وقف محمد علي باشا الكبير \_\_\_\_\_ ٢٨٣ وثيقة

٢- وقف الأميرة زبيدة هانم \_\_\_\_\_ ٧

٣- وقف الأميرة زبيدة هانم بشارة \_\_\_\_\_ ٣

٤- وقف محمد سعيد باشا \_\_\_\_\_ ٣٢

٥- وقف إبراهيم باشا ( القصر العالي ) \_\_\_\_\_ ٩٧

٦- وقف إسماعيل باشا بإيتاي البارود \_\_\_\_\_ ١١٧

- ٧- وقف إسماعيل باشا بالوادى ————— ٣
- ٨- وقف إسماعيل باشا بقنا ————— ٢
- ٩- وقف إسماعيل باشا بحلوان ————— ٨٩
- ١٠- وقف إسماعيل باشا على الشيخ صالح ————— ٣٧
- ١١- وقف الأمير محمود حمدى باشا ————— ٦٦
- ١٢- وقف الأمير إبراهيم حلمى باشا ————— ٢٧
- ١٣- وقف عين الحياة هانم ————— ١٠
- ١٤- وقف بنبا قادن ————— ٧١
- ١٥- وقف خديجة برنجى قادن ————— ٢١
- ١٦- وقف خوشيار قادن على مسجد الشاوي ————— ٢
- ١٧- وقف الست توجهان هانم أفندي ————— ٩
- ١٨- وقف الست جليلة هانم ووالدتها الخيري ————— ٦٠
- ١٩- وقف الست فاطمة برباشه ————— ١٠
- ٢٠- وقف الست أسما هانم حليم ————— ١٤
- ٢١- وقف الست فانقة هانم عزت ————— ١٦
- ٢٢- وقف الست حفيظة هانم الألفية ————— ٣
- ٢٣- وقف رفعت أغا ————— ٣
- ٢٤- وقف نذير أغا ————— ٣
- ٢٥- وقف خليل أغا ————— ٤٦
- ٢٦- وقف مشغل الصناعات النسائية بالإسكندرية ————— ٢
- ٢٧- وقف الست هانم أم خليل ————— ٣
- ٢٨- وقف الست سنية أم محمد ————— ٣
- ٢٩- وقف محمد راتب باشا ————— ٧

## وثائق المحكمة الشرعية بالإسكندرية

تضم المحكمة الشرعية بالإسكندرية مجموعه كبيره من الوثائق والسجلات التي تعطي فترة من القرن التاسع عشر منها:-

١- سجل الفرمانات والبراءات والشهادات الديوانية من ٢٦ صفر سنه ١٢٧٣

٢- ويحتوي هذا السجل على فرمانات تركية صادرة من الباب العالي باتعامات وامتيازات لبعض قناصل الدول الأجنبية بثمر الإسكندرية ، هذا بالإضافة إلى فرمانات صادرة من الباب العالي بالموافقة على تعيين قناصل بعض الدول الأجنبية ، مع تحديد مهامهم واختصاصاتهم مع فرمانات صادرة من الباب العالي خاصة بتنظيم عمله التجارة الأجنبية بميناء الإسكندرية وتحديد اختصاصات القناصل التجارية .

كما يحتوي أيضا على دعاوى شرعية وشهادات زواج وطلاق وصور وقفيات وحصر ميراث وتعيين نقيب الأشراف بثمر الإسكندرية من عهد عباس الأول .

ومن الوثائق المدونة في بعض صفحات السجل:-

١- صورة إشهار إسلام (غزه محرم ١٢٧٦ هـ)

إعلام شرعي حرر في محكمه ثغر الإسكندرية مضمونه-حضرت الحرمة القبطية بنت الميت يوسف اتون القبطي- طابعة مختارة في صحتها وسلامتها ودخلت في دين الإسلام ونطقت بالشهادتين بان قالت اشهد أن لا اله إلا الله وان محمد رسول الله صلى الله عليه

وسلم واتخذت اسم زينب فسميت به بحضور كل من المكرم محمد بن عيسى وعبد الله العسكري بالضبطية .

٢- صورته فرمان من ديوان الداخلية (١٣ محرم ١٢٧٤هـ) بتوليته حضره السيد المولى إلى .

٣- صورة فرمان باللغة التركية بتاريخ غرة ذي الحجة سنة ١٢٧٥هـ بشأن تنظيم العلاقات الاقتصادية بين مصر وإنجلترا .

٤- صورة فرمان باللغة التركية صادر في ١٥ رجب سنة ١٢٧٤ بتعيين أحد الرهبان باريكا على الأقباط بمصر والإسكندرية وتحديد اختصاصاته .

٥- طلب من دولة بروسيا بتاريخ غرة ذي القعدة سنة ١٢٨٤هـ بإقامة مركز تجارى لها بالإسكندرية وتعيين قنصل بالشعر المذكور .

٦- فرمانات تركية بتعيين قناصل لدول (النمسا - السويد - النرويج - فرنسا - أمريكا الشمالية - اليونان - ألمانيا - إيران - روسيا في الفترة من ١٢٨٦هـ - ١٢٨٩هـ) .

ووثائق وزارة الأوقاف والشهر العقاري بصفة عامة مجال للعديد من الدراسات في التاريخ الثقافي والديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، فالباحث في تاريخ الأوقاف الإسلامية يجد فيها مادة وفيرة في مجال اهتمام المسلمين بمؤسساتهم الثقافية والدينية والخيرية ، والباحث في التاريخ الاقتصادي يحصل على كثير من المعلومات الهامة عن النقود ومعاملات البيع والشراء والهبة والرهن وغيرها من المعاملات الإسلامية ، وخاصة في العصر العثماني ، وهي ذات أهمية قصوى لمن يبحث في تاريخ النظام القضائي .

والسباحث في تاريخ الكتابة العربية وتطور الخط العربي ، يجد فيها نماذج خطية عديدة تفيده في كتابة تاريخ الكتابة العربية ، وهي أخيراً تضع يدنا على مادة علمية وفيرة في مجال الصلات الاجتماعية والأوضاع التاريخية والتضامن الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ، والتضامن الأخوي بين بلاد العالم الإسلامي .

وعلى الرغم من أهمية تلك الوثائق بنوعيتها السالفين (الحجج الشرعية وسجلات المحاكم) إلا أنها مهملة ولا يشرف عليها مختصون في مجال حفظ الوثائق وترميمها وتحتاج إلى فهرسة جديدة وحديثة لتسهيل مهمة الباحثين في الاطلاع على ما فيها من ذخائر وكنوز تاريخية ما زالت مجالاً بكرأ تلقى الكثير من الضوء على فترة العصر العثماني المظلمة (وإن شئت فقل المظلومة) في تاريخ العالم العربي وقد بليت فهارسها الحالية من كثرة التداول كما أنها موضوعة في دار الوثائق على شكل كومة بها الكثير من الحشرات لدرجة تضر بها كثيراً . ولعل المقر الجديد لدار الوثائق بساحل روض الفرج يعتنى بها أثر من ذلك .

## ثانياً : مجموعة وثائق عابدين :

جُمِعَت الوثائق التاريخية بالقصر ( الملكي ) الجمهوري بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م المعروف بقصر(عابدين) مع المحفوظات الموجودة بالقلعة في دار أطلق عليها دار الوثائق المصرية والمحفوظات التاريخية سنة ١٩٣٣م ، وبذلك اقتصرَت محفوظات الدار بادئ ذي بدء على الوثائق التاريخية من بداية حكم محمد علي حتى بداية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م .

وقد حفظت السجلات والوثائق المفردة بتلك الدار بنفس أرقامها التي كانت تحفظ بها بالقلعة ، واقتصر عمل دار وثائق عابدين على نسخ أو تلخيص السجلات المتعلقة بالأبحاث والترجمة من التركية إلى العربية ، أما باقي السجلات والوثائق التي شاعت الظروف عدم قيام أبحاث تتعلق بموضوعاتها ، فقد بقيت كما هي لم تمس ، وبذلك يمكن القول أن المادة التاريخية في الكثير من الوحدات والمجموعات الأرشيفية لا زالت حتى الآن في عالم الغيب وخاصة التركية منها ، وذلك لعدم معرفة جمهور الباحثين باللغة التركية (العثمانية) <sup>(٩)</sup> .

وتفيد هذه المجموعات والوحدات الأرشيفية (عابدين) في التعرف على الدور الذي قام به محمد علي وحلفاؤه في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين وتشتمل على سجلات ووثائق الدواوين والإدارات والمجالس الآتية :

- (١) الديوان العالي أو ديوان الخديوي ، ويختص بالأبنية والسلطات والصحة والروزنامة وبيت المال ، والمحاجر والضربخانه ومصالح الأخشاب والبريد وديوان المواشي وغيرها ، وهناك صلة موضوعية بين ذلك الديوان وبين ديوان المعية السنية (وهو اسم أطلق على ديوان الوالي أي حاشية الوالي) .
- (٢) ديوان الإيرادات ، وبه حسابات كافة المديريات وجزيرة كريت والحجاز والسودان ، وإيراد مدينتي مصر (القاهرة) والإسكندرية والجمارك والمقاطعات والزمادات .
- (٣) ديوان الجهاد ، وبه الوثائق التي تختص بالشئون العسكرية .

(٩) اللغة التركية العثمانية هي التي كانت تكتب بحروف عربية حتى عصر الجمهورية التركية ، وذلك تمييزاً لها عن اللغة التركية الحديثة التي تكتب الآن بحروف لاتينية وذلك منذ الانقلاب التركي في عهد مصطفى كمال أتاتورك.



- ٤) ديوان البحر (ديوان البحرية) ويضم الوثائق الخاصة بإدارة وتنظيم الدونامة (الأسطول) المصرية في عهد أسرة محمد علي وكل ما يتصل بها من شئون باللغتين العربية والتركية .
- ٥) ديوان المدارس ، ويتعلق بشئون المدارس في عهد الأسرة العلوية والمكتبات والمطابع ، وتعتبر مصدر أصيلاً في تاريخ التعليم في عصرها .
- ٦) ديوان الأمور الأفرنكية والتجارة المصرية ، وإليه يرجع النظر في العلاقات الخارجية ومعاملة الأجانب والتجارة .
- ٧) ديوان القابريقات (المصانع) وتفيد وثائقه في دراسة تاريخ الصناعة في القرن التاسع عشر .
- ٨) المجلس الخصوص ( أو المجلس المخصوص) والمجلس العمومي بالقاهرة (أو الجمعية العمومية) والمجلس العمومي بالإسكندرية والذي صدر أمر محمد علي بإنشائهم في سنة ١٩٤٦ م .
- ٩) وثائق مجلس الأحكام ، ومجلس أحكام مصر وهو هيئة قضائية كان من اختصاصها محاكمة كبار الموظفين ، وقد خلفت هذه الهيئة جمعية الحقانية عند إلغائها سنة ١٨٤٩م ، تعتبر هذه الوثائق مصدراً هاماً للدراسات القانونية والقضائية في تلك الفترة ، وهي وثائق منفردة ومضابط (سجلات) .
- ١٠) سجلات مجالس الأقاليم ، وهي تلك المجالس التي تم إنشاؤها في عصر عباس الأول ١٨٥١م وهي مجالس قضائية في الأقاليم للفصل في القضايا الشرعية التي كانت موكولة إلى الكشف وغيرهم من الموظفين الإداريين .

(١١) سجلات ووثائق مجالس الاستئناف (بالقاهرة والجيزة والقليوبية)  
ومجالس استئناف بحري (منوفية - دقهلية - شرقية - غربية)  
ومجلس بني سويف (ويختص بقضايا بني سويف والفيوم  
والمنيا) واستئناف جرجا (أسيوط وجرجا وقنا وإسنا) واستئناف  
الإسكندرية (إسكندرية والبحيرة) .

(١٢) وثائق وسجلات مديريات القطر المصري ومحافظاته في القرن  
التاسع عشر والتي بلغ عددها ١٥٤٠٧ سجلاً بالإضافة إلى  
المحافظ وعددها ٢٢٦ محفظة تحتوي كل منها على ٣٠٠  
وثيقة.

### ثالثاً : مجموعة وثائق السودان :

مجموعة وثائق السودان : كانت تلك المجموعة موجودة في حوزة دار  
المحفوظات العربية بالقلعة ثم نقلت إلى دار الوثائق - وبقي البعض الآخر  
هناك في مخزن يطلق عليه مخزن السودان ونقل مؤخراً - وتفيد تلك الوثائق  
في دراسة تاريخ السودان وأغلبها يتعلق بالجيش المصري بالسودان منذ  
دخول إسماعيل بن محمد علي عام ١٨٢٠م .

وتفيد مجموعة وثائق السودان في دراسة تاريخ محافظات ومديريات  
مصنوع وسواكن وهرر والسنكا ودنقلة وزينع وبربر والخرطوم وكردفان  
وسواحل البحر الأحمر وغيرها من أقاليم السودان وأرتريا .

هذا بالإضافة إلى وجود مجموعة كبيرة من السجلات التي تحوى صور  
الوثائق الصادرة والواردة إلى عدة أقاليم ومناطق في السودان (بالغة  
العربية).

وتفيد تلك الوثائق في دراسة تاريخ السودان منذ دخول جيش إسماعيل بن محمد على السودان عام ١٨٢٠ م ، وخاصة الوثائق المتعلقة بمهمة الحكمداريين والتقارير التي بعث بها هؤلاء إلى حاكم مصر والرسائل المتبادلة بينهم .

ومن الوثائق الهامة المودعة في دار الوثائق القومية ، ما يتعلق بحملة السودان المعروفة بمصططح (اورطة السودان) .

ومن المعروف أن أهم أسباب حملة السودان مطالبة أهل السودان باتشاء حكومة قوية على يد مصر للقضاء على أسباب الفوضى المنتشرة في بلادهم وتستبدل بها عهدا جديدا من الأمن والنظام والطمأنينة والرخاء .

فدخلت أقاليم النوبة ودار فور وسنار وكردفان في حوزة مصر من سنة ١٨٢٠-حتى سنة ١٨٢٣م وبدأ منذ هذا التاريخ تأسيس وحدة وادي النيل السياسية كما بدأ من هذا التاريخ بسط الأمن على الوادي بأسره .

ثم صدرت عدة فرمانات منها تسوية سنة ١٨٤٠م وسنة ١٨٤١ م والفرمان الصادر في ١٣ فبراير ١٨٤١ والذي أعطى محمد على مدى الحياة حكم بلاد النوبة وسنار وكردفان ودار فور وجميع ملحقاتها ، وكان هذا الفرمان الوثيقة الأولى التي دعمت حقوق مصر في السيادة في شطري الوادي من تبعيتها للباب العالي وبموافقة الدول .

ومن الوثائق الهامة المودعة في دار الوثائق تقارير ومذكرات الحكمداريين الذين كانت مهمتهم تنفيذ سياسة باشا مصر في السودان من حيث استتباب الأمن والسلام في كل ربوعه ورد غارات المغيرين على حدود البلاد وأطرافها البعيدة .

كما تشير إلى التوسع المصري في الجنوب للقضاء على تجارة الرقيق ، وضم مديرية خط الاستواء ، وفي الشرق والجنوب الشرقي بضم بوغوص وهرر وزيلع وبربرة ودار فور .

ومن الوثائق الهامة الخاصة بالسودان :

الفرمان الصادر من الباب العالي في ١٨ يولييه ١٨٧٥ م الذي حصلت الخديوية بمقتضاه على زيلع وكان مرسى زيلع تابعاً للحديدة ، وذلك بعد أن ضمت سواكن ومصوع إليها .

وبعد الاستيلاء على زيلع أصبح ساحل البحر الأحمر الأفريقي تحت السيادة المصرية ، كما مهد ذلك إلى فتح سلطنة هرر .

وثائق الثورة المهدية ١٨٨٠م كما تعتبر وثائق الثورة المهدية من أهم المجموعات الهامة التي تشير إلى ما تعرضت له السودان من أحداث حتى قيام الحكم الثنائي به بعد استرجاعه عام ١٨٩٩/٩٨ م .

كما تضم دار الوثائق القومية بالقاهرة مجموعة أخرى من سجلات الحسابات التي تصور الحالة المالية في السودان في تلك الفترة ومنها :-

- حسابات سنار وفازوغلى وحسابات قلم مالية السودان  
هذا بالإضافة إلى مجموعة سجلات خاصة بسكك حديد السودان - وسجلات  
الجهادية التي تفيد في دراسة الجوانب المتعددة للشئون العسكرية في السودان  
(محمود عباس حموده ، وثائق تاريخ العرب الحديث )

#### رابعاً : مجموعة وثائق الثورة العربية :

من الوثائق الهامة التي توجد في حوزة دار الوثائق القومية بالقاهرة هي وثائق الثورة العربية ، وتبين هذه الوثائق بوضوح مدى شدة المقاومة العربية ، وما بذله زعيمها أحمد عرابي من جهود لجمع شمل الشعب المصري الذي كان يرزح تحت وطأة الظلم والاستبداد من أسرة محمد علي وعلى رأسها الخديو توفيق الذي لاذ بالاستعمار الإنجليزي في الإسكندرية وحرضه على احتلال البلاد .

وتضم مجموعة من التلغرافات المتبادلة بين عرابي وأنصاره في الجيش ومن الشعب ، ومراسلات بالشفرة بين قيادة الجيش وعرابي وبين عرابي ورجال الثورة العربية ، وهي تكشف عن استعداد الشعب المصري للذود عن وطنه بالنفس والمال .

ومحاضر لجنة التحقيق بالقاهرة ولجنة تحقيق الأقاليم ، وهي تميظ اللثام بصورة مخزية وتضح كيف حدث الاتفاق بين الخديو توفيق وبين الإنجليز بعد حريق الاسكندرية في يوليو ١٨٨٢ م ودخولهم الاسكندرية ومقاومة العربيين ومعهم الشعب المصري وتوضح كيف لعبت الخيانة دورا مأساويا في هزيمة العربيين وبدأت تصفية الثورة بكل صنوف الاضطهاد والقسوة والظلم على يد لجان التحقيق في القاهرة والأقاليم التي تشبه محاكم التفتيش في الأندلس في العصور الوسطى ووجهت إلى الجميع تهم العصيان المسلح ، وعصيان أوامر الخديو توفيق بعدم مقاومة الإنجليز .

وملفات قضايا المتهمين بالانتماء للثورة العربية ، وهي عبارة عن ملفات يبلغ عددها ٤١٧ ملفا توضح أسماء المتهمين ووظائفهم والتهم الموجهة إليهم .

وتقارير عن حادث ضرب الإسكندرية سنة ١٨٨٢م ، وتقارير عن اجتماعات العربيين وتتعلق هذه التقارير بما كتبه الأطباء والقناصل عن حالة الجرحى والمصابين في حادث ١١ يونيو سنة ١٨٨٢م وأقوال بعض الشهود واستجواب بعض الجنود والموظفين عن الخسائر التي نتجت عن هذا الحادث .

وقرارات الجمعية العمومية والمجلس العرفي للثورة العربية وهي خاصة بالمجلس الذي عقد بديوان وزارة الداخلية من الوزراء وكبار الضباط والموظفين ، والذي قرر دعوة العلماء والأعيان والرؤساء الروحانيين والوجهاء لاتخاذ ما يلزم من القرارات بالنيابة عن الأمة وظل هذا المجلس يتولى سلطة الحكم خلال الحرب . ووثائق صادرة أملاك زعماء الثورة العربية ، ومراسلات بين نظارة الداخلية ومديرية الأمن وبين مأمور سجن العصاة (أي العربيين) وسجلات بها قيد أملاك العربيين مثل أحمد عرابي بالشرقية ومحمود سامي البارودي بالدقهلية وما يتعلق ببيع أملاك العربيين .

وقرارات لجنة التحقيق واستجواب المتهمين بالانتماء للثورة العربية ، فقد أصدر الخديو محمد توفيق أمراً بتشكيل لجنة مخصوصة في القاهرة لتحقيق تهمة كل من ارتكب جريمة العصيان أو التعدي على السلطة الخديوية أو إهانة الخديو سواء أكانوا فاعلين أصليين أو شركاء وكانت مهمة هذه اللجنة تقديم المتهمين التي ترى اللجنة إدانتهم إلى المحكمة العسكرية ، وكان من اختصاص هذه اللجنة القبض على أي شخص يشتبه في أمره .

وتحتوي هذه الوثائق على معلومات خاصة بمصادرة أملاك العربيين فقد شكلت لجان لحصر أملاك العربيين والاستيلاء عليها ولم تترك لهم أية أملاك من عقار أو أموال حتى المكتبات التي كان يفتنيها بعض الزعماء صودرت وتم الاستيلاء عليها .

وبها وثائق خاصة بتحديد إقامة الموالين لعرابي في أبعادياتهم مثل :  
 الشيخ أحمد المنصوري والقائمقام فرج عبد العال ، والشيخ أحمد المنصوري  
 اتهم بالقدح الشديد في حق الحضرة الخديوية وإلقاء الخطب المهيجة  
 والمقالات في المجامع والمحافل الحكومية التي أفسدت الأذهان والأفكار  
 العمومية للدرجة التي وصلت إليها من حالة الاحتلال والتعصب الديني  
 والسياسي (وثيقة رقم ١٣٧٣ ملف ٢٣٩ محفظة ٩) وبهذا الملف الخاص  
 بالتحقيق مع الشيخ المنصوري كتاب موجه إلى شيخ الجامع الأزهر للاستعلام  
 عن سلوك الشيخ أحمد المنصوري المدرس بالأزهر .

وهناك وثيقة أخرى عبارة عن ألتماس مقدم من الشيخ أحمد  
 المنصوري بشأن طلب التصريح له بمغادرة بلدته لمدة محددة للتوجه إلى  
 المحروسة (القاهرة) لإجازة و تصفية أعماله .

ويبلغ عدد ملفات الثورة ٤١٧ ملفا خاصا بالمتهمين بالإلتحاق للثورة  
 العرابية محفوظة في العديد من المحافظ .( محمود عباس حموده ، وثائق  
 تاريخ العرب الحديث )

#### خامساً : مجموعة وثائق صندوق الدين :

ضمت هذه المجموعة إلى دار الوثائق في عام ١٩٦٧م ، وهي عبارة  
 عن سجلات صندوق الدين التي كانت بمبنى صندوق الدين بميدان الأوبرا  
 ومعظمها باللغة الفرنسية والقليل منها والنادر بالإنجليزية أو العربية ،  
 وتشتمل أعمال صندوق الدين والمبالغ المحصلة لحسابه ، وملفات التعويضات  
 التي صرفت للأمراض والهيئات التي أصابها خسائر نتيجة لحوادث  
 بالإسكندرية ١٨٨٢ ، والحسابات العامة لصندوق الدين، ووثائق تحويل الدين  
 الموحد إلى فرض وطني ، هذا بالإضافة إلى مجموعة من المطبوعات الخاصة

وتشتمل أعمال صندوق الدين والمبالغ المحصلة لحسابه ، وملفات التعويضات التي صرفت للأمراض والهيئات التي أصابها خسائر نتيجة لحوادث بالإسكندرية ١٨٨٢ ، والحسابات العامة لصندوق الدين، ووثائق تحويل الدين الموحد إلى فرض وطني ، هذا بالإضافة إلى مجموعة من المطبوعات الخاصة بصندوق الدين والتي أودعت بمكتبة دار الوثائق . ( انظر: محمود عباس حموده ، ووثائق تاريخ العرب الحديث )

#### سادساً : وثائق قناة السويس :

وهي باللغة الفرنسية وتقع في ٦٨ محفظة وهي خاصة بالشركة العالمية لقناة السويس البحرية ، وتحتوي على عقود امتيازات حفر قناة السويس واتفاقيات بين الحكومة والشركة وإنشاء مدينة بور فؤاد ووثائق تعيين أعضاء مصريين في مجلس إدارة الشركة وإنشاء كوبري الفردان وفنار البحر الأحمر ، وغيرها من وثائق الشركة .

#### سابعاً : مجموعة وثائق الحجج الشرعية :

التي سبق أن أشرنا إليها .

#### ثامناً : مجموعة فرمانات وأوامر كريمة :

صادرة من السلطان إلى محمد علي وخلفائه بالتركية (العثمانية) وهناك ملخصات لها بالعربية .

#### تاسعاً : محافظ ووثائق الحجاز :

مجموعة ضخمة من الوثائق الخاصة بأعمال بمحمد علي الحربية بالجزيرة العربية أطلق عليها مجموعة محافظ الحجاز ، وهي ليست خاصة بالحجاز فحسب وإنما تضم وثائق عن نجد والخليج العربي ، وأخرى عن



عسير واليمن وهذه المجموعة من المجموعات المعنى بها في الحفظ والتنظيم بدار الوثائق القومية ، وهناك بعض المحافظ والأوزان الخاصة بالحجاز بدار الوثائق ، ولم تلتحق بهذه المجموعة وذلك مثل بعض محافظ للصرة الشريفة وأخرى خاصة بمرتبات بعض الأشخاص بمكة والمدينة .

### عاشراً : وثائق أخرى :

بالإضافة إلى المجموعات السالفة توجد مجموعات أخرى مهمة خاصة بالشام واليمن وأثيوبيا والحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) باللغة الفرنسية وفيها بعض الوثائق باللغة العربية مثل بيانات بونابرت إلى الشعب المصري وبيانات الجنرال كليبر وعبد الله جاك منو بعد بونابرت . وتوجد مجموعة من الوثائق الخاصة بالحملة الفرنسية في مكتبة جامعة القاهرة وهي خاصة ببعض بيانات قواد الحملة وخطابات إلى أمراء المماليك مثل مراد بك ، وخطابات من مراد بك إلى قواد الحملة .

### وثائق دار المحفوظات العمومية

توجد بدار المحفوظات القومية مجموعة ضخمة من الوثائق المصرية التي ترجع إلى العصر العثماني وعصر أسرة محمد علي لم يتم حصرها وتنظيمها حتى الآن ويلاقي الباحثون عنثاً ومشقة في سبيل الاطلاع على محتوياتها ، وهذه الدار من أقدم دور الحفظ في مصر فقد أنشئت في عصر محمد علي وكان الغرض من إنشائها أن تجمع بها وثائق الدولة في مكان واحد حتى تصان من التلف ويرجع إليها عند الحاجة ، وقد سميت دار المحفوظات العمومية منذ نشأتها إلى وقتنا الحاضر بعدة تسميات وتقلبت

تبعيتها بين عدة جهات فسميت لأول مرة عند إنشائها سنة ١٢٤٤هـ (١٨٢٩ م) باسم الدفترخانة وهي لفظة فارسية الأصل معناها المكان الذي تحفظ فيه الدفاتر أو دار الدفاتر ثم أصبحت تسمى بعد ذلك أحياناً بالدفترخانة المصرية ، وأحياناً أخرى بدار المحفوظات المصرية ، وأخيراً استقر اسمها إلى اسم : دار المحفوظات العمومية ، وهي تتبع مصلحة الضرائب العقارية التابعة التابعة لوزارة المالية المصرية حالياً ، وتقوم دار الوثائق حالياً بنقل الكثير من محتوياتها المهمة إليها ولكن بطريقة بطيئة .

وأهم ماتحتوي عليه هذه الدار من وثائق هي دفاتر الالتزام في العصر العثماني وهي عبارة عن سجلات مستطيلة بها بيانات بأسماء النواحي أي أراضي الالتزام والأموال المقررة عليها وأسماء الملتزمين بالإضافة إلى دفاتر الترايع وهي التي وضعها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠م وبها مساحة لكل ناحية من نواحي الالتزام مقدرة بالفدان وأنواع أرض كل ناحية حسب جودتها والمال الميري المقرر على كل فدان ، وهي مكتوبة باللغة العربية ، ومما هو جدير بالذكر أن أول من اكتشفها في هذه الدار هو زميلنا الدكتور عبد الرحيم عبد الرحمن أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الأزهر .

وبهذه الدار أيضاً دفاتر الرزق الإحباسية الموقوفة ، هذه الدفاتر تحتوي على معلومات هامة عن الأراضي الموقوفة وفيها تتبع لتاريخ كل رزقة ( أي وقف ) وأصحاب حق الانتفاع بها ، وأسماء الملتزمين وصور الحجج الشرعية الخاصة بها ، والنزاعات التي دارت حول هذه الأوقاف إلى غير ذلك من المعلومات ذات الأهمية القصوى لمن يتعرض لتاريخ الأوقاف المصرية وما يتعلق بها من نواحي اجتماعية ودينية واقتصادية إبان العصر العثماني . وهناك دفاتر خاصة بمرتبات موظفي الإدارة المركزية والمحلية وغيرهم من الموظفين والتي يطلق عليها دفاتر خدمة الديوان العربية ، وهناك

أيضاً دفاتر الجسور الخاصة بالجسور التي وجدت بمصر البلدية منها والسلطانية وبها معلومات كافية عن هذه الجسور طولها وعرضها وعدد فتحاتها وارتفاعها وغير ذلك من المعلومات وثمة وثائق خاصة بمضابط محاكم الأقاليم التي تحتوي على تسجيل وقائع المحاكم في الريف وأهمها مضابط محاكم المنصورة والإسكندرية ورشيد ودمياط<sup>(١٠)</sup> .

### مجموعة وزارة الأوقاف المصرية :

هذه المجموعة عبارة عن صور للحجج الشرعية الأصلية للأوقاف المصرية المختلفة التي أوقفها أهل البر والخير من الحكام والأمراء والأعيان وحررت بمحاكم مصر المختلفة في العصرين المملوكي والعثماني ، وتحتوي هذه الحجج على معلومات دقيقة خاصة بتحديد أماكن الوقف تحديداً دقيقاً والدوافع التي دفعت أصحابه إلى وقفه وأغراض هذا الوقف والوجوه التي يصرف ريعه فيها وهي على جانب كبير من الأهمية للباحثين في تاريخ التعليم في الأزهر وغيره من المدارس إبان العصر العثماني .

ووثائق وزارة الأوقاف مجال للعديد من الدراسات في التاريخ الثقافي والديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، فالباحث في تاريخ الأوقاف الإسلامية يجد فيها مادة وغيرها في مجال اهتمام المسلمين بمؤسساتهم الثقافية والدينية والخيرية والباحث في التاريخ الاقتصادي يحصل على كثير من المعلومات الهامة عن النقود ومعاملات البيع والشراء والهبة والرهن وغيرها من المعاملات الإسلامية خاصة في العصر العثماني ، وهي ذات أهمية قصوى لمن يبحث في تاريخ النظام القضائي ، والباحث في تاريخ الكتابة

(١٠) انظر محتويات دار المحفوظات العمومية في بحث للدكتور محمود عباس حمودة قدمه إلى ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث والمعاصر (جامعة عين شمس مايو ١٩٧٧ م ، وانظر أيضاً : د. عبد الرحيم عبد الرحمن ، الريف المصري في القرن ١٨ ، ص ٢٩٩-٣٠١ .

العربية وتطور الخط العربي يجد فيها نماذج خطية عديدة ، وهي أخيرا تضع  
يدنا على مادة علمية وفيرة في مجال الصالات الاجتماعية والأوضاع التاريخية  
والتضامن الاجتماعي في المجتمع الإسلامي ، والتضامن الأخوي بين بلاد  
العالم الإسلامي .

### وثائق دير سانت كاترين :

دير سانت كاترين هو أحد الأديرة القديمة في مصر بشبه جزيرة سيناء  
، وقد بناه الإمبراطور جستنيان في فترة حكمه ما بين سنتي (٥٢٧ - ٥٦٥م)  
على الطراز البيزنطي ، وعلى شكل قلعة من قلاع العصور الوسطى ، ليتفرغ  
به الرهبان لعبادتهم في مأمن من العربان الذين كانوا يتعرضون لهم قبل بناء  
الدير .

ويحتوي هذا الدير على مجموعة هامة من المخطوطات والوثائق  
والأواني والكنوس والتيجان والصلبان المصنوعة من الذهب المطعم بالأحجار  
الكريمة ، ومجموعة من الإيقونات التي لا يوجد لها مثل في العالم التي تمثل  
(صور القديسين والمسيح وأمه).

والذي يعطينا من هذه الأشياء الوثائق ، وهي التي تتعلق بتنظيم الدير  
والمقيمين فيه وعلاقتهم بالحكومات المتعاقبة والعلاقة بينهم وبين جيرانهم ،  
وأهمها عهود نبوية وفرمانات عثمانية ، وعهود ومراسيم أخرى ، ومعاهدات  
وحجج وفتاوى شرعية ، وأوامر صادرة من الحكام ، وهذه الوثائق تفيد في  
العلاقات بين أهل الذمة والمسلمين في مصر ، مما يقف دليلا على سماحة  
الإسلام في ترك هذه الجيوب المسيحية تعيش في أمان وسط المحيط الإسلامي  
ي ومنحها ضمانات وامتيازات ، وما لقي رهبانهم وأساقفتهم من تسامح  
وحماية ورعاية واحترام في ظل الإسلام .

وهذه الوثائق ترجع إلى عهود مختلفة من وقت بناء الدير في عصر جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥ م) حتى العصر الحديث (١١).

وتضم مكتبة الدير ٣٣٣١ مخطوطاً دونت فيما بين القرنين ٦-١٩م ومكتوبة بإحدى عشر لغة : العربية والسريانية والحبشة واليونانية والفارسية والسلافية ، والأرمنية والجورجانية واللاتينية والبولندية ، والجانب الأعظم منها في اللاهوت ، والباقي فلسفة وفلك وفي الرياضيات والموسيقى والتاريخ ، والجغرافيا والطب والقانون.

وتضم من الوثائق ١٧٤٢ وثيقة منها ١٠٧٢ وثيقة باللغة العربية ونحو ٧٧٠ وثيقة باللغة التركية ، وتتضمن مراسيم وعهود وفرمانات ومنشورات ومعاهدات وفتاوى ومحاضر وحجج وأوامر إدارية ... إلخ . وتشتمل تلك الوثائق مختلف مراحل التاريخ : القديم ، عصور وسطى ، عصور حديثة ، ويبدأ الجزء الأخير بالغزو العثماني لمصر في أوائل القرن السادس عشر وينتهي بالقرن التاسع عشر .

### والمجموعة الحديثة : مقسمة إلى قسمين :

القسم الأول : عبارة عن فرمانات من العصر العثماني وتحمل أرقام من ١٢٥ إلى ١٩٩ .

القسم الثاني : عبارة عن معاهدات وتحمل أرقام من ٢٠٠ - ٢٦٦ .

وتوجد نسخة كاملة من هذه الوثائق مصورة (بالميكرو فيلم) بالمجلس الأعلى للفنون والآداب وصورة أخرى من تلك الوثائق محفوظة بمكتبة جامعة الإسكندرية بجانب (ميكرو فيلم) للمخطوطات العربية والتركية ، وقد وفدت بعثة

(١١) انظر : د. محمود عباس حمودة ، الوثائق العربية الخاصة بمصر في القرن ١٩ ، من أبحاث ندوة وثائق تاريخ

العرب الحديث ، جامعة عين شمس (مايو ١٩٧٧م) .

أمريكية واستطاعت أن تصور جميع الوثائق المحفوظة بمكتبة الدير وكذلك نحو نصف المخطوطات في عام ١٩٥٠م بالتعاون مع جامعة الإسكندرية ، كما قامت جامعة الإسكندرية في عام ١٩٦٣م بالاشتراك مع جامعتي متشجان وبرنستون بالولايات المتحدة الأمريكية ببعض الدراسات الأثرية والفنية لمحتويات دير سانت كاترين (١٢) .

### خامسا : — محفوظات الحياة النيابية:

وهذه المحفوظات موجودة في مكتبة مجلس الشعب حاليا ، ومجلس الأمة سابقا . وبها سجلات محاضر جلسات المجالس النيابية في مصر ابتداء من مجلس شورى النواب الذي أنشئ في عهد الخديو إسماعيل سنة ١٨٦٦ م حتى مجلس الشعب الحالي ٢٠٠٤ م . وقد قمت أثناء تحضيرى لدرجة الماجستير بالاطلاع على محاضر مجلس شورى النواب في الفترة من ١٨٦٦ حتى ١٨٧٩ م . وهذه الوثائق عبارة عن محاضر جلسات مجلس شورى النواب ، وهو أول مجلس نيابي أنشئ في مصر ، توجد بأربعة سجلات كبيرة على النحو التالي :

السجل الأول : تحت رقم ٢٩١ وبه محاضر جلسات الدورين الأولين من الهيئة النيابية الأولى لعامي ١٢٨٤، ١٢٨٣هـ .  
السجل الثاني : تحت رقم ٢٩٢ وبه محاضر جلسات الدور الثالث من الهيئة النيابية الأولى بتاريخ ١٢٨٥هـ .

(١٢) انظر : د. محمد محمود السروجي ، وثائق دير سانت كاترين بسيناء ، من أبحاث ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث ، جامعة عين شمس (مايو ١٩٧٧م) .

السجل الثالث : تحت رقم ٢٩٩ ويشتمل على محاضر جلسات الهيئة النيابية الثانية كلها من سنة ١٢٨٦-١٢٩٠هـ .

السجل الرابع : تحت رقم ٣٠٧ ويشتمل على محاضر جلسات المجلس إبان الهيئة النيابية الثالثة من سنة ١٢٩٣-١٢٩٦هـ = ١٨٧٦-١٨٧٩م ، وهذا السجل أهم السجلات نظراً لأن به محاضر جلسات أدوار النهضة النيابية عندما ارتفع صوت النواب بالمعارضة في المجلس .  
التعريف بها:

وهذه المحاضر توجد بأكملها في مكتبة مجلس الشعب بخطها الأصلي وفي حالة جيدة ، وهذه المحاضر عبارة عن تسجيل لآراء أعضاء المجلس في المواضيع التي عرضت على بساط البحث ، وبها خطب العرش لوالى مصر ، وردود المجلس عليها في كل دورة من أدوار انعقاد المجلس العادية وغير العادية .

وهذه المحاضر ذات قيمة كبيرة لكل باحث في تاريخ تطور الوعي النيابي في مصر نظراً لأنها تمثل التأريخ لمرحلة حاسمة من نضال الشعب المصري ضد حكامه المستبدين ، حيث يتعرف القارئ من خلال هذه المحاضر كيف نمى الوعي النيابي في مجلس شورى النواب للدفاع عن حقوق الشعب المصري .

كما أنها من ناحية أخرى ذات قيمة لغوية كبيرة لمن يبحث في تاريخ تطور اللغة العربية والكتابة العربية ، فطريقة الكتابة لا يتعرف الباحث عليها لأول مرة إلا بصعوبة بالغة فحرف الهمزة لا وجود له مطلقاً في الكتابة ، وحروف الجر غالباً ما تدمج في أول الكلمة بحيث يصعب على القارئ التعرف على معنى الكلمة إلا بعد ممارسة طويلة وذلك مثل إدماج حرف (على) في اسم الإشارة (ذلك) فتكتب هكذا (عليذلك) وإدماج حرف الجر (في) في اسم الإشارة

(ذلك) هكذا (فيذلك) ، وإدماج حرف (على) في كلمة (واقع) فتكتب هكذا (عليواقع) ، وإدماج الحرف (من) في كلمة (مدة) فتكتب هكذا (منمدة) ، وإدماج حرف (إن) في فعل (كان) فتكتب هكذا (إنكان) وغير ذلك من طرق الكتابة التي لا وجود لها في الكتابة العربية الآن .

ورغم أن هذه المحاضر موجودة الآن في مكتبة مجلس الشعب إلا أن الوصول إليها دونه كل صعب ، كأنها سر من أسرار الدولة ، وقد كان وصولي إليها عن طريق المعارف وأهل الخير ممن يتعاطفون مع طالب العلم ، وكانت هذه المحاضر تنشر في جريدة الوقائع المصرية في ما بين سنتي ١٨٦٦-١٨٨٢ م .

ومما يؤسف له أن هذا التراث من تاريخ بداية الحياة النيابية في مصر لم يطبع بعد ومازال مخطوطاً إلى الآن ، ولعل في مستقبل الأيام ما يتيح لغيرنا الفرصة لإخراجه من الظلام الذي يعانيه حتى نتعرف على تاريخ نشأة الحياة النيابية في مصر وموقف أسلافنا في بداية حياتهم الديمقراطية .

## ثانياً : المطبوعات :

يأتي في مقدمة المطبوعات الوثائق الرسمية التي نشرها الأستاذ محمد خليل صبحي في كتابه : تاريخ الحياة النيابية في مصر من سنة ١٨٢٤-١٩٣٨ م ، وعلى الرغم من أن اسم الكتاب يوهم من أول مرة بأنه تاريخ للحياة النيابية ، إلا أنه في الواقع ليس تاريخاً لها وإنما هو عبارة عن الوثائق الخاصة بمجموعة اللوائح والساتير والقوانين النظامية وقوانين الانتخاب واللوائح الداخلية ، وأسماء أعضاء المجالس النيابية في هذه الفترة .

ولقد يكون غريباً أن يؤلف من كتاب ما الجزء الخامس والسادس فقط ، ولكن الأستاذ محمد خليل صبحي رحمه الله كان قد عقد العزم على تأليف



كتاب في تاريخ الحياة النيابية في المدة المذكورة فقام بجمع الوثائق الخاصة بها وأخرجها في مجلدين هما الخامس والسادس ولم تسعفه ظروف حياته في إخراج الأجزاء الأولى من الكتاب التي وعد بكتابتها عن تاريخ الحياة النيابية في مصر .

وقد استعنت بهذه الوثائق القيمة فيما يختص باللوائح والداستاتير والقوانين النظامية وقوانين الانتخاب ، وفيما يختص بأسماء أعضاء مجلس شورى النواب وما إلى ذلك من الفوائد الجمة التي يجدها الباحث ميسرة أمامه في هذا الكتاب التي قامت بطبعه دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٩م في طبعة لم تتكرر بعد .

### الصحف الوطنية :

ولقد رجعت إلى الصحف الوطنية وخاصة جريدتي (مصر) و(التجارة) لمحررهما أديب اسحق ، ويوجد بهاتين الجريدتين مادة علمية موفورة لكل باحث في تاريخ تطور الوعي السياسي في مصر في هذه الفترة وخاصة أن الجريدتين كانتا منبراً حراً للسيد جمال الدين الأفغاني وتلاميذه : الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، وأديب اسحق ، الذين كانوا يكتبوا مقالات جريئة قل أن توجد في أي جريدة مصرية ، وقد أشرنا إلى بعض هذه المقالات التي كان يحررها الحكيم الأفغاني وتلميذه أديب اسحق المحرر الجريء في الفصل الثالث من هذا البحث .

وجريدة (الوطن) لرئيس تحريرها ميخائيل أفندي عبد السيد وهي جريدة وطنية سياسية ولهجتها حرة وكانت منبراً أيضاً لتلاميذ الأفغاني أمثال الشيخ على الليثي والشيخ محمد عبده وغيرهما وأغلب هذه الجرائد كانت موجودة بدار الوثائق بالقلعة ثم نقلت مؤخراً إلى دار الوثائق الجديدة بساحل

روض الفرّج ، والمؤسف أن هذه الجرائد كاد بعضها يبلى من كثرة الاستعمال وليست هناك جهود لصيانة هذا التراث أو تصويره كما تفعل الدول المتحضرة وخاصة أن هذه الجرائد والمجلات تمثل المرحلة الأولى من تاريخ إصدار الجرائد والمجلات وهي مهمة في تاريخ نضالنا الوطني إبان نشأة هذه الجرائد .

ومما يتصل بالصحافة كتاب : (تاريخ الصحافة العربية) لمؤلفه : الفيكونت فيليب طرازي فالواقع أنه يرشد الباحث الذي يطلع على الصحافة العربية المبكرة وخاصة أنه يكتب تراجم قيمة لأعلام الصحافة في مصر أمثال أديب اسحق وإبراهيم المويلحي والأفغاني ويعقوب صنوع (أبو نضارة) وغيرهم .

ويكاد يكون الأستاذ عبد الرحمن الرافعي هو المؤرخ الوحيد الذي يؤرخ للحياة النيابية وقد وجدت في كتبه ميزة قيمة تنفرد بها عن سواها التي كتبت في تاريخ مصر الحديث خاصة فيما يتعلق بتاريخ الحركة الدستورية وهي الناحية التي تتصل ببحثنا هذا اتصالاً وثيقاً ، فالرافعي قد أرخ لتطور الحياة النيابية تاريخاً يكاد يكون كاملاً ، بينما نجد مؤرخاً آخر من مؤرخي عصر إسماعيل وهو إلياس الأيوبي يكتب عن مجلس شورى النواب حوالي ست صفحات رغم أهمية الموضوع ، والأستاذ الرافعي يكتب في نفس الموضوع نحو مائة صفحة فضلاً عن كثير من التراجم لأعلام كان لهم أثر كبير في تطور الحياة النيابية ، ولعل ذلك راجع لدراسة الأستاذ الرافعي الحقوقية من ناحية ونزعة الوطنية المتدفقة من ناحية أخرى ، ومما هو جدير بالذكر أن الأستاذ إلياس الأيوبي حصل على جائزة الدولة سنة ١٩٢٢م لتأليف كتابه (تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل) .

## مثال للبحث عن الوثائق :

ولنأخذ مثلاً عن طريقة جمع الوثائق والأصول التاريخية لموضوع معين مثل : " مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني " فالباحث في هذا الموضوع في دور الوثائق المصرية عليه أن يتجه إلى أرشيف الشهر العقاري بالقاهرة بجانب دار القضاء العالي ، فيجد بها سجلات الديوان العالي إبان العصر العثماني ، والتي كانت تسجل بها وثائق الصرة الشريفة وغلل الحرمين ، وعليه أولاً بالاطلاع على فهرس تلك السجلات لكي يوفر عليه جهداً في البحث عن الوثائق في شتى السجلات ، وبعد ذلك يتناول السجلات ، وسيجد بها معلومات وافية عن مخصصات الحرمين التي كانت ترسل من مصر كل عام من أموال وغلل بصحبة أمير الحج المصري سواء كانت هذه المخصصات حكومية أو أهلية .

وسيجد بهذا الأرشيف أيضاً سجلات المحاكم الشرعية إبان العصر العثماني وبها كانت تسجل أوقاف الحرمين الشريفين ، فعليه أن يتناول فهارس تلك السجلات أولاً لكي تعينه في الوصول السريع إلى مطلوبه ، وسيحصل في النهاية على مادة علمية غزيرة في مجال موارد مخصصات الحرمين الشريفين ، وبذلك تكتمل لديه معلومات تاريخية أصلية لا بأس بها عن هذا الموضوع إبان العصر العثماني .

ويذهب إلى دار الوثائق القومية بالقاهرة فيجد بها بعض محافظ خاصة بالصور الشريفة علي أهل الحرمين الشريفين ، وبعض المعلومات المتناثرة في محافظ الحجاز وسجلات دفاتر الميزانية ، وبعض الوقفيات في محافظ الحجج الشرعية ، فينتقل منها ما شاء وتوفير الوقف عليه أن يطلب تصوير جانب من تلك الوثائق .

ثم يذهب الباحث بعد ذلك إلى أرشيف وزارة الأوقاف بالقاهرة حيث يجد العديد من الوثائق الأصلية الخاصة بالأوقاف على الحرمين الشريفين ومنافع الحج وطريق الحج والحجاز بصفة عامة .

ويجب على الباحث أن يصور في هذه الأماكن المختلفة جزءاً من الوثائق التي تهتمه بطريقة (الفوتوستاب) أو (الميكرو فيلم) بحسب الضرورة حتى تكون نماذج يستدل بها في بحثه ودليلاً واضحاً على الكثير من الحقائق التي عرضها في موضوعه .

## الفصل الثاني

### المخطوطات

نعني بالمخطوطات [الكتب العلمية التي وصلتنا عن فترة التاريخ الحديث (وغيرها من الفترات) ولا زالت مخطوطة ولم تنشر حتى الآن] ، وبها صورة حية عن عصورها لا غنى عنها لمن شاء الوقوف على جوانب تاريخ العالم العربي الحديث ، ثم هي من حيث الأصالة والتوثيق تأتي في المقام الثاني بعد الوثائق ، فكثر منها مكتوبة بخطوط مؤلفيها ، أو منقولة عن نسخ المؤلفين الأصليين .

وتلك المخطوطات موزعة على شتى مكتبات العالم ، وقد ورد كثير منها في كتاب تاريخ الآداب العربية لبروكلمان <sup>(١)</sup> وقام معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة بمجهود ضخم في مجال تصوير هذه المخطوطات من جميع أنحاء العالم ولديه مكتبة ضخمة تضم العديد من صور هذه المخطوطات (بالميكرو فيلم) وعمل لها فهرساً في عدة مجلدات المجلد الثاني منه خاص بالتاريخ ، وضعه الدكتور لطفي عبد البديع ، وقد التزم فيه بذكر عنوان الكتاب ومؤلفه وتاريخ وفاته وبيان موضوع الكتاب وأبوابه وصلته بما كتب قبله من كتب إن كان ذيلاً عليها أو صلة أو تكملة ، وإن كان الكتاب مقسماً إلى أجزاء ذكر بداية كل جزء ونهايته من حيث ترتيب السنين والحوادث أو الطبقات أو الأعلام ووصله بما قبله وما بعده ، ثم تبع ذلك بذكر الوصف المادي للمخطوطة كما ورد في البطاقة التي يحملها كل فيلم وأشار إلى المصدر الذي صورت منه المخطوطة ورقمها فيه ورقم الفيلم في

(١) ترجم هذا المؤلف إلى العربية في خمسة مجلدات ، الأول والثاني والثالث ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ، والرابع والخامس ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر ، ونشرته دار المعارف بالقاهرة .

خزانة المعهد ، وضم الأجزاء المتفرقة من كتاب واحد بعضها إلى بعض لتتكمّل النسخ ، كما جمع المعهد بين المخطوطات المتماثلة في موضع واحد ليكون ذلك عوناً للباحث ، يقف منه على الأصول المختلفة لكل مخطوطة <sup>(٢)</sup> .

وتمثل المخطوطات عنصراً هاماً في توضيح المظاهر التاريخية لأي عصر من العصور ، وتعدّ الكتابات التاريخية التي كتبت عن عصور التاريخ الحديث مبتورة حتى يتم استكمالها من تلك المخطوطات (والوثائق أيضاً) والأبحاث التي تعدّ للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه لا يعتد بها إلا إذا قدمت إضافات أساسية من العصور التي تناولتها معتمدة في ذلك على المعلومات المستفادة من الوثائق والمخطوطات .

وعلى الرغم من نشر بعض المخطوطات العربية في مجال الدراسات التاريخية والاجتماعية في القرنين الأخيرين إلا أننا ما زلنا نحصل على بعض المخطوطات الأصلية لتلك الكتب المنشورة كانت في طي النسيان وتقدم إضافات لا بأس بها تختلف في كثير من النواحي عما نشر من تلك الكتب .

وأوضح دليل على ذلك ما قام به كاتب هذه السطور عندما حصل على كراسة من المذكرات الأصلية للجبرتي عن فترة الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) محفوظة في مكتبة جامعة ليدن بهولندا تحت عنوان : (تاريخ مدة الفرنسيين) بمصر من سنة ١٢١٣ إلى سنة ١٢١٦هـ) برقم (cod.or.٢٤٣٧) وحصل على صورة لهذه المخطوطة مصورة بالميكرو فيلم (photo copy) وقام بدراسة مقارنة بين هذه المخطوطة وبين ما نشر للجبرتي في كتابه : (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) و (مظهر التدريس بزوال دولة الفرنسيين) ، وتقدم بهذه الدراسة إلى الندوة العالمية التي عقدت

(٢) انظر: معهد المخطوطات العربية ، فهرس المخطوطات المصورة ، الجزء الثاني الخاص بالتاريخ ، أشرف على وضعه د. لطفي عبد البديع ، القاهرة سنة ١٩٦٥ م .

بالقاهرة في أبريل ١٩٧٤م حول عيد الرحمن الجبرتي المؤرخ وعصره تحت عنوان : (مخطوطة في تاريخ الجبرتي في ليدن دراسة مقارنة بينها وبين "عجائب الآثار" و "مظهر التقديس" ) .

وقد أوضحت هذه الدراسة مدى ما تحتوي عليه المخطوطات من إضافات علمية قيمة حتى ولو كانت هذه المخطوطات مكررة لمؤلف واحد فالجبرتي سجل أحداث الحملة الفرنسية بادئ ذي بدء في يوميات خاصة كان يحتفظ بها لنفسه ، وكان في هذا التسجيل الأول مؤرخاً أميناً يوجه النقد إلى جميع الأطراف بموضوعية ونزاهة ، ولم تؤثر فيه عوامل المعاصرة كالرغبة في نوال الحكام والرهبة منهم أو التحرج من بعض الأشخاص ذوي النفوذ ، أو من له بهم صلة علمية أو أدبية ، وهي الأمور التي أثرت فيه إلى حد كبير في كتابه ( مظهر التقديس ) ، وإلى حد ما في كتابه الكبير (عجائب الآثار)، وفيما يلي نورد عرضاً لهذه الدراسة :

---

مخطوطة من تاريخ الجبرتي في ليدن بعنوان :  
تاريخ مدة الفرنسيين بمصر من سنة ١٢١٣ إلى ١٢١٦ هـ -  
دراسة مقارنة بينها وبين (عجائب الآثار) و (مظهر التقديس)

الدراسة المقارنة بين نصوص مختلفة لمؤرخين مختلفين لها طبيعتها الخاصة ، حيث يتجه جهد الباحث فيها إلى التعرف على منهج كل مؤرخ على حده ، ثم إبراز مظاهر الاختلاف والاشتراك بين كل منهم والعوامل التي أدت إلى ذلك سواء كانت إجتماعية أم سياسية وما إلى ذلك من العوامل التي تؤثر في المؤرخ .

أما الدراسة المقارنة بين نصين مختلفين أو أكثر لمؤرخ واحد لفترة زمنية واحدة فلها منهج آخر حيث يتجه جهد الباحث إلى دراسة الظروف والملابسات السياسية التي دفعت المؤرخ لكتابة هذه الأعمال المتباينة ثم الإشارة إلى مواطن الاختلاف في كل منها .

وعلى هذا المنهج الأخير سوف تكون دراستنا لقطعة أو كراسة مخطوطة من يوميات الجبرتي الخاصة عن فترة الحملة الفرنسية ، دراسة مقارنة بينها وبين كتابيه : (عجائب الآثار) و (مظهر التقديس) .

دون الجبرتي أحداث الحملة الفرنسية بادئ ذي بدء في يوميات خاصة بخط يده، وقد عثرنا على قطعة منها وحيدة محفوظة بمكتبة جامعة ليدن بهولندا وقد أشار إليها المستشرق (موريه Moreh) في مقال كتبه عن مجموعة من مخطوطات الجبرتي الأصلية في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية ( Bulletin of the school of oreintal and African )



(studies) (٣) . وقد حصلنا علي نسخة منها عن طريق التصوير بالميكروفيلم ، ويقوم كاتب هذه السطور حالياً بإعدادها للنشر .  
وهذه القطعة من ناحية الشكل تقع في إحدى وخمسين صفحة تؤرخ لسبعة أشهر من أوائل المحرم ( ١٠ منه ) ١٢١٣ هـ حتى رجب من نفس السنة وهي مكتوبة بخط الرقعة الجميل ، وعدد الأسطر في كل صفحة يتراوح بين ٢٥ ، ٣٢ سطرا ما بين ١٠ ، ٢٠ كلمة وتوجد بها الإضافات الهامشية لبعض الأحداث التي نسيها الجبرتي أو لم تكن في متناول يده إبان كتابتها ، فاستدركها بعدئذ وسجلها بالهامش بالخط ذاته ، ويوجد علي صفحة العنوان الكتابة الآتية :

هذا تاريخ مدة الفرنسيين بمصر من سنة ١٢١٣ هـ

إلى سنة ١٢١٦ هـ هو تأليف العلامة عبد الرحمن

الجبرتي المصري بخطه رحمه الله

ومكتوب على ذات الصفحة في الركن الأيسر فوق العنوان تملك باسم الشيخ محمد الأمير الحنفي الرشدي بتاريخ ٦ ج (جمادى الأولى) سنة ٨١ (١٢٨١ هـ) ومدون عليها ثمنها وقتذاك وهو ٩ قروش .

ويتبين لنا من صفحة العنوان الحقائق التالية :

أولاً : التنويه بأنها مخطوطة بخط الجبرتي ، مما يجعل لها أهمية خاصة ، وقد رجح المستشرق (موريه Moreh) أنها بخط الجبرتي لأن خطها يتفق مع مخطوطة أخرى لمظهر التقديس مودعة بمكتبة جامعة كمبرج مكتوب عليها أنها بخط الجبرتي ، ويتفق أيضاً مع مخطوطة ثالثة للجزء

(٣) S. Moreh , Reputed autographs of Abd Al-Rahman Al-Jabarti and related problems, (BSOAS) , London ١٩٦٥ , vol. XXVIII , part ٣ , p. ٥٢٤-٥٤٠ .

الثالث من عجائب الآثار في مكتبة جامعة كمبرج أيضاً مدون في نهايتها أنها بخط الجبرتي <sup>(٤)</sup> .

ثانياً : أن هذه المخطوطة انتقلت إلى حوزة الشيخ الرشدي عن طريق الشراء بعد وفاة عبد الرحمن الجبرتي بحوالي أربعين سنة هجرية <sup>(٥)</sup> .

ثالثاً : أن هذه المخطوطة من تأليف المؤرخ عبد الرحمن وحده ، وهي بذلك تختلف عن كتاب مظهر التقديس الذي اشترك في تأليفه مع الجبرتي صديقه الشيخ حسن العطار ، فهي بذلك تحمل طابعه في الكتابة وحده وأسلوبه ومنهجه .

رابعاً : يستفاد من عنوان المخطوطة أن الجبرتي كان قد دون (تاريخ مدة الفرنسيين) كاملاً في مؤلف خاص به إبان حوادث الحملة <sup>(٦)</sup> ، وقد ضاعت بقية هذا المؤلف ولم يبق منه سوى قطعة تؤرخ لمدة سبعة أشهر التي تضمنتها هذه المخطوطة <sup>(٧)</sup> .

(٤) المرجع السابق .

(٥) انظر : لوحات رقم : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ .

(٦) أشار الجبرتي إلى هذا المؤلف في مقدمة مظهر التقديس بقوله : (ولقد كنت سطرت ما وقع وحصل من الوقائع من ابتداء غلبت الفرنسيين لأرض مصر إلى أن دخلها مولانا الوزير في أوراق غير منظومة في سلك الاجتماع والاتفاق وكثيراً ما كان يحظر بياني وإن لم يكن ذلك من شأن أمثال أن أجمع اهراقها وألبسها بالترصيف انساقها ليكون ذلك مطلعاً لليب على عجائب الأخبار وغرائب الآثار وتذكرة بعدنا لكل جيل) ويبدو من هذه الإشارة أن هذا المؤلف كان عبارة عن قطع في كرايس تشتمل كل قطعة منها على عدة أشهر ، ولهذا فضلنا تسمية هذه المخطوطة التي نعرضها الآن باسم قطعة من يوميات الجبرتي .

انظر : (مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين) طبعة لجنة البيان العربي في مجلد واحد ، تحقيق حسن

جوهر وعمر الدسوقي ، القاهرة ١٩٦٩ م ، ص ١٤ .

(٧) بذلك يكون الجزء الصانع هو غالبية تلك المخطوطة (من بداية شعبان ١٢١٣ هـ حتى أواخر صفر ١٢١٦ هـ لأن هذه المدة هي التي حددها الجبرتي في كتابه (عجائب الآثار) فهو يقول : (فكانت مدة الفرنسيين وتحكمهم بالبلاد المصرية ثلاث سنوات وإحدى وعشرين يوماً فلهم ملكوا بر إمبابة والجزيرة وكسروا الأمراء المصرية يوم السبت تاسع عشر صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وكان انتقامهم ونزوحهم من القلاع وخلو المدينة منهم والخلعهم عن

وعلى ذلك لم يكن الجبرتي في حاجة إلى أن يعدل في كتابه ( مظهر  
التقديس ) ويخرج منه الجزء الثالث من (عجائب الآثار ) كما ذهب إلى ذلك  
بعض المؤرخين <sup>(٨)</sup> لأن الجبرتي كان لديه مؤلف خاص لتاريخ مدة الفرنسيين  
بمصر اعتمد عليه في إخراج الجزء الثالث من عجائب الآثار بعد ما أضاف  
إليه تاريخ مصر من سنة ١٢١٦هـ إلى سنة ١٢٢٠هـ مع إضافات بسيطة  
من أشعار صديقه الشيخ حسن العطار التي كان يشير إليها بقوله : (كما قال  
صاحبنا الشيخ حسن العطار) .

### الظروف السياسية التي كتب فيها الجبرتي هذه المخطوطة:

كانت مظالم المماليك بزعامة إبراهيم بك ومراد بك قد عمت آفاق القطر  
المصري في أواخر القرن الثامن عشر ، وأصبحت الحياة في مصر لا تطاق  
وفجأة هبطت الحملة الفرنسية أرض مصر في صيف عام ١٧٩٨م وسرعان  
ما ظهر فشل مؤسسة المماليك العسكرية في الدفاع عن البلاد ، وزحف الجيش  
الفرنسي على القاهرة بعد اجتياح الإسكندرية بلا مقاومة تذكر واكتسح أمامه  
قوات المماليك المنهارة وسقطت عاصمة البلاد في يد الفرنسيين ، ووجد  
الشعب نفسه أعزل أمام قوات أجنبية مسيحية لأول مرة في تاريخه الحديث .  
أثرت هذه الأحداث بتلاحقها في نفسية الشعب المصري الذي كان  
يخضع لحماية الدولة العثمانية المسلمة التي يرى فيها رمزاً للخلافة الإسلامية

---

النصف والتحكم ليلة الجمعة الحادي والعشرين من شهر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف) وبذلك تكون المدة  
التي اعصرها الجبرتي هي مدة إقامتهم بالقاهرة وضواحيها فقط أما المدة من بداية احتلالهم الإسكندرية حتى جلائهم  
عنها فهي من ١٩ محرم ١٢١٣هـ إلى نهاية ربيع الثاني ١٢١٦هـ (٢ يوليو ١٧٩٨م - ٨ سبتمبر ١٨٠١م) ، انظر:  
عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، طبعة المطبعة العامرية الشرقية ، القاهرة سنة ١٣٢٢هـ (ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ص  
٢٠٧) .

(٨) د. محمد أنيس ، الجبرتي بين مظهر التقديس وعجائب الآثار ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، العدد ١٨ سنة  
١٩٥٦م ، ص ٦٣ .

ويشعر في ظلها بالأمن والطمأنينة والسلام والاستقرار ، وقد سجل لنا الجبرتي في هذه المخطوطة صوراً حية من أحاسيس الشعب المصري يروي فيها وقوع الصدمة بصدق وأمانة وواقعية .

وبدراسة هذه المخطوطة نرى أن الجبرتي قد سلك فيها منهجاً معتدلاً ، فالحقائق والأحداث التاريخية وإن كانت بها ثابتة وتتفق مع ما جاء في كتابيه : (مظهر التقديس) و (عجائب الآثار) إلا أن تفسير الجبرتي لهذه الأحداث وتعليقه عليها هو الذي يختلف .

وجه الجبرتي نقده إلى جميع الأطراف (العثمانيون والمماليك والفرنسيين وحتى العلماء) وأصدر أحكامه عليهم غير هياب ولا وجل ، ولم تؤثر فيه عوامل المعاصرة التي تؤثر في المؤرخ كالرغبة والرغبة التي ظهرت إلى حد كبير في كتابه (مظهر التقديس) وإلى حد ما في كتابه (عجائب الآثار) لأن نظام الحكم الذي كان قائماً قد تحطم ، وأصبح في مأمن من عسف الحاكم في ظل احتلال لم يستقر بعد .

وعلى سبيل المثال نراه ينتقد الموقف العثماني المملوكي برمته لتقصير العثمانيين والمماليك في الدفاع عن البلاد وحمايتها من الغزو الفرنسي عقب سماعه بنزول الحملة بالإسكندرية وذلك عندما علق على الاجتماع الذي عقد بالقصر العيني بالقاهرة ودارت فيه مناقشة حامية بين العلماء وأمرأه المماليك فيقول : (فركب إبراهيم بك إلى قصر العيني وحضر عنده مراد بك والأمراء والقاضي والمشايخ وتكلموا في شأن ذلك ، فقال بعض المشايخ كل هذا من تغافل أمر الثغور وإهمال الأمور حتى تمكن العدو وملك نجر الإسلام ، فقال مراد بك وإيش نعمل وإذا قصدنا تعمير ذلك وتحصينه تقولوا مرادهم العصيان على السلطان فهذا هو المانع لنا من ذلك ) ثم علق على كلام مراد بك بأنه (أوهى من بيت العنكبوت لأن الثغر من أيام علي بك لم يلتفتوا له جملة كاملة

بل أخذوا ما كان به من آلات القتال والمدافع ومنعوا عنه المرتبات التي كانت للمرابطين والعسكر المتقدين وألوا علوفاتهم وقطعوا عوايدهم ولم يبق به شئ من آلات الحرب إلا بعض مدافع مكسرين لا تنفع ولا تدفع حتى أنهم احتاجوا مرة لضرب مدفع العيد بارود فلم يجدوا التعميرة بل اشتروها من عند العطار بعد أن كانت إسكندرية وأبراجها في غاية العمارة والتحصين وحولها السور المتقن الذي اعتنت به الأوائل وبه ثلاثمائة وستين برجاً على عدد أيام السنة كل برج بجبخته وعدده ورجاله ، فأهمل ذلك جميعه حتى لم يبق منه شئ وتهدم السور وما به من أبراج وساوت حيطاته من بعض الجهات الأرض إلى غير ذلك ) .

وعندما صدرت توصية من المجتمعين في قصر العيني بكتابة عرضحال إلى الدولة العثمانية بخبر الحملة وإرساله إليها ، علق الجبرتي على ذلك متهمكاً بأسلوب لاذع : (ظنوا أن المروج أو المريض الملسوع يستمر بحاله حتى يأتيه الترياق من العراق) <sup>(٩)</sup> .

ويلاحظ أن هذه المناقشة وما أعقبها من تعليق لم يسجلها الجبرتي في (مظهر التقديس) وإنما قال : (وأما ما كان من حال الأمراء فإن إبراهيم بك راكب لقصر العيني ، وحضر عنده مراد بك من الجيزة لأنه كان مقيماً بها وحضروا بقيم الأمراء والقاضي والعلماء وتكلموا في شأن هذا الأمر الذي دهم المسلمين فاتفق الرأي على أنهم يرسلون مكاتبة للدولة العلية بخبرة هذه الحادثة فأرسلها باشا مصر إلى ذاك وهو بكر باشا على يد قاصد من جهة البر) <sup>(١٠)</sup> .

(٩) الجبرتي ، تاريخ مدة الفرنسيس بمصر من سنة ١٢١٣هـ إلى سنة ١٢١٦هـ ، ص ١-٢ .

(١٠) مظهر التقديس ، ص ٢٦ .

ونراه ينتقد قيادة مراد بك ويذكر أن الشعب تنبأ بهزيمته عند خروجه لملاقات الفرنسيين فيقول : (ثم أنهم اتفقوا على خروج عساكر وصارى عسكرهم مراد بك ، فتحدث الناس بأن مراد بك لم يتوجه إلى جهة ويحصل لها النصر) <sup>(١١)</sup> .

وعندما التقى مراد بك بالجيش الفرنسي عند شبراخيت وانهزم قال : (التقى العسكر المصري مع الفرنج قلم تكن إلا ساعة وانهزم مراد بك ومن معه ولم يلبثوا لحربهم ... واحترقت ذهبية مراد بك بما فيها من الجبجبة والعدد ... فلما عاين ذلك مراد بك ولى منهزماً وترك أثقاله وحملة من المدافع وتبعه عساكره وكان في عدة وافرة) <sup>(١٢)</sup> .

وتحدث عن العوامل التي تسببت في خذلان المماليك أمام الفرنسيين وقارنها بما للجيش الفرنسي من صفات وأثنى عل نظام الفرنسيين العسكري المحكم في الضبط والربط وإطاعة الأوامر ، وتقشفهم في حياتهم العسكرية وغير ذلك من الأشياء التي هي من سمات الجيوش المنظمة فيقول :

" وهذا بخلاف الطائفة الأخرى الفرنسية فإنيهم بالعكس في جميع ما ذكر كأنهم مقتفين لآثار الأمة في صدر الإسلام ويرون أنفسهم مجاهدين ولا يستكثرون عدد عدوهم ولا يبالون بمن قتل منهم ، ويرون أن من ولى منهم كفر وخرج من دينه وطريقته ينقادون لأمر أميرهم ويمثلون طاعة كبيرهم ، مظلة أحدهم غطاء رأسه ومركبه قدميه وطعامه وشرابه بلغة وجرة معلقان تحت إبطه ومتاعه وما يغيره من ملبوسه معلق خلف ظهره كالوسادة ، فإذا نام اضطجع عليها كالعادة ولهم علامات وإشارات فيما بينهم يقفون عندها ولا يتعدون حدها "

(١١) تاريخ مدة الفرنسيين بمصر ، ص ٢ .

(١٢) المصدر السابق ، ص ٩ .













"وعملوا محمد أغا المسلماني كتخدا<sup>(٢٧)</sup> مستحفظان والوالي علي أغا الشعراوي والمحتسب حسن أغا محرم وذلك بعد علاج ، وقولهم لا يتولى المناصب جنس مملوك وقول المشايخ أن سوقة مصر لا يخافون إلا من جنس المملوك"<sup>(٢٨)</sup> .

ومن الأمور التي لجأ فيها الجبرتي إلى استعمال الغموض ، موضوع قيام الشيخ محمد المهدي سكرتير ديوان القاهرة بصياغة منشورات بونابرت باللغة العربية .

فقد كان الشيخ محمد المهدي هو الذي يتولى صياغة منشورات بونابرت باللغة العربية بعد أن تكتب بالفرنسية ثم تقوم بترجمتها إلى العربية أجهزة الترجمة الملحقة بالحملة ، وقد ذكر الجبرتي ذلك صراحة في مخطوطة ليدن فقال في نهاية المنشور الذي كتبه الفرنسيون على لسان المشايخ إلى أقاليم مصر ، بعد قمع ثورة القاهرة الأولى :

"وذلك إنشاء كاتب الديوان الشيخ محمد المهدي"<sup>(٢٩)</sup>.

ثم عاد الجبرتي فحذف اسم الشيخ المهدي عندما أخرج كتابيه : "مظهر التقديس" و "عجائب الآثار" واكتفى بالإشارة الغامضة إلى الشيخ المهدي ، إشارة يفهمها معاصروه ، فذكر عن المنشور الذي أذاعه بونابرت على لسان أعضاء الديوان عقب عودته من الحملة على سوريا أنه "من ترصيف وتنسيق بعض الفصحاء"<sup>(٣٠)</sup> وهو يقصد الشيخ المهدي . وتتفق المراجع الفرنسية مع

(٢٧) الأصح : أغا مستحفظان (يعني رئيسا لقوات حفظ الأمن بالقاهرة) أما منصب كتخدا (وكيل أول نائب) مستحفظان فقد عين به برتلمي اليوناني كما ذكر الجبرتي بنفس الصفحة .

انظر : تاريخ مدة الفرنسيين بمصر ، ص ١٥ .

(٢٨) المصدر السابق ، ذات الصفحة .

(٢٩) تاريخ مدة الفرنسيين بمصر ، ص ٤٦ .

(٣٠) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٧٣ ، مظهر التقديس ، ص ١٥٥ .

مخطوطة ليدن في أن الشيخ المهدي هو الواضع لمنشورات بونابرت في قالبيها العربي ، فقد ثبت في رسالة بعث بها بونابرت من يافا إلى "بوسليج" مدير الشئون المالية بالقاهرة أثناء الحملة على سوريا يقول ما ترجمته :

"عليكم أن تأمروا بطبع كل المنشورات التي يبعث بها فانتور إلى الديوان وأن تضيفوا إليها المحسنات والتعميمات التي يرى الشيخ المهدي إدخالها وأن تنشروها في أنحاء مصر"<sup>(٣١)</sup> .

ومن الأمور التي أوضحتها هذه المخطوطة أيضاً ، أن الشيخ السادات هو الذي تدخل لحل الموقف المتأزم بين مشايخ الديوان وبين بونابرت بسبب الخلاف على وضع بعض الشارات الفرنسية ، وقد شعر بونابرت بنوع من الإهانة من شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوي رئيس ديوان القاهرة عندما رمى بالشارة الفرنسية على الأرض بعد أن وضعها له بونابرت ، وأبى أن يزين بها كتفه .

فقد حدث أن استدعى بونابرت إليه الشيخ الشرقاوي ومعه جماعة من العلماء ، فلما استقر بهم المجلس نهض بونابرت وأتى بشارة الجمهورية الفرنسية ، والتي يسميها الجبرتي "الطيلسان" المثلث الألوان ، ووضعها على كتف شيخ الأزهر تكويماً له ، ولكن شيخ الأزهر "رمى به إلى الأرض وامتنع لونه واحتد طبعه"<sup>(٣٢)</sup> ، كما تغير وجه بونابرت لهذه الإهانة وتميز غضباً ، فتدخل الترجمان وقال للعلماء "يا مشايخ أنتم صرتم أحبأباً لصارى عسكر وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم بزيه وعلامته فإن تميزتم بذلك عظمتمكم العساكر والناس وصار لكم منزلة في قلوبهم"<sup>(٣٣)</sup> فرد عليه المشايخ قائلين : لكن

(٣١) الرافعي ، تاريخ الحركة القومية ، ج ١ ، ص ٣١١ .

(٣٢) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ١٧ .

(٣٣) المرجع السابق ، ذات المكان .

قدّرنا يضيّع عند الله وعند إخواننا من المسلمين " فاغتاظ بونايرت من ذلك ، وطلب بقية العلماء من بونايرت إعفائهم من لبسها ، فأذن بونايرت لطلبهم في أمر هذه الطيبالس ، ولكنه أصر على أن يضعوا في صدورهم - على الأقل - الشارة المثلثة الألوان (الجوکار) <sup>(٣٤)</sup> فطلب العلماء منه مهلة اثني عشر يوماً .

بيد أن بونايرت أرسل في اليوم ذاته إلى الشيخ محمد السادات فحضر إليه ، وصادف أعضاء الديوان منصرفين ، ولما استقر به المجلس تملقه بونايرت وأخذ يتحدث إليه بلطف القول الذي يعربه الترجمان ويضاحكه "ويقبل يده تارة وركبته <sup>(٣٥)</sup> أخرى" <sup>(٣٦)</sup> وأظهر بونايرت للسادات المحبة والصدقة ، وأهدى إليه خاتماً من الماس ، وطلب منه الحضور في اليوم التالي ، وعند حضوره وضع بونايرت له الجوکار على كتفه ، فسكت السادات وسايره ، وهذا مجمل ما ذكره الجبرتي في مظهر التقديس وعجائب الآثار <sup>(٣٧)</sup>.

---

(٣٤) الجوکار : ذكر الجبرتي في وصف هذه الشارة أنها : "العلامة المعروفة بالوردة وهي عبارة عن ثلاث دوائر من جوخ أو غيره متلاصقة ثلاثة ألوان : أزرق وأبيض وأحمر في قدر مقعر الكف وأصغر وأكبر دوايرها متصاغرة الثانية أصغر من الأولى والثالثة أصغر منها بحيث تبقى الألوان الثلاثة ظاهرة ، وربما شرشروا أطراف الدواير وتفتتوا في تحسبها وهي عبارة عن الطاعة وعلامة على الامتثال " أما الطيلسان : فيذكر الجبرتي عنه أنه مكون من "ثلاث شقق (أشروط) أبيض وأحمر وكحلي" توضع على الكتف وسماها الجبرتي باسم آخر وهو "الشالات" لأنها تشبه الشال في وضعها على الكتف وتدل على الصدر .

انظر : الجبرتي ، تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ص ٢٣-٢٤ .

(٣٥) لسيس في رواية الجبرتي هذه مبالغة لأن بونايرت هو الذي قال لأحد جنرالاته فيما بعد وهو يهرب من روسيا في غير هودة : "إنني حين أكون في حاجة إلى زيد من الناس لا أحجم عن شيء فإنني أقبل (...)"

انظر : كرسوفر هيرولد ، بونايرت في مصر ، ترجمة فؤاد أندراوس ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة

١٩٦٧ ص ٢٥٦ .

(٣٦) الجبرتي ، مظهر التقديس ، ص ٦٠ .

(٣٧) انظر : مظهر التقديس ، ص ٥٩-٦٠ وانظر أيضاً : عجائب الآثار ج ٣ ، ص ١٧ .

غير أن الجديدي في مخطوطة "ليدن" أن الجبرتي يذكر أن الشيخ السادات تدخل في اليوم ذاته لحل الموقف المتأزم بين مشايخ الديوان وبين بونابرت ، فقال للمشايخ في الجلسة نفسها : "اجبروا أنتم الآخرين خاطر صارى عسكر ولا تخالفوه في وضع الوردة وإذا قمتم من مجلسه ارفعوها فسكتوا ونهض (بونابرت) فرشق لكل واحد واحدة وهم مظهرين البشاشة وهو مسرور بذلك" (٣٨) أي أنه أشار عليهم بأن يجعلوهم جواز مرور (٣٩) .

ويبدو أن الجبرتي لم يشر إلى هذا الموقف الأخير المتعلق بتوسط السادات بين بونابرت والمشايخ في مظهر التقديس وعجائب الآثار ، مخافة أن يتهم العثمانيون السادات بالتعاون مع جيش الاحتلال الفرنسي ، كما كان للشيخ السادات نفوذ شعبي جارف يخشى جانبه ، وكان الجبرتي على علاقة وثيقة به (٤٠) .

وعلى الرغم من أن الشيخ السادات لم يقبل عضوية ديوان القاهرة أو الاشتراك في أي نشاط سياسي آخر مع الفرنسيين ، إلا أنه كان دائم الاتصال ببونابرت كما يبدو من مخطوطة ليدين ، فقد سجل بها الجبرتي أن الشيخ السادات أقام حفل عشاء بمناسبة الاحتفال بمولد السيدة زينب في أوائل رجب ١٢١٣ هـ ، ودعا إليه بونابرت وجماعة من خواصه ، يقول في ذلك :

(٣٨) تاريخ مدة الفرنسيين بمصر ، ص ٢٣-٢٤ .

(٣٩) عندما وجد بونابرت أن الشعب (زعامة علمائه) لا يقبل شارة الجمهورية الفرنسية ألغاه بالنسبة للعامة ، ونادى مناد بإبطال هذه الشارة عن العامة ، وما لبث الأمر كله أن أُلغى بعد قيام ثورة القاهرة الأولى ، على الرغم من أن بونابرت كافح من أجل هذا الغرض كثيراً لدرجة أنه ارتدى يوماً الملابس الشرقية المكونة من العمامة والقفطان لستقبل بها أعضاء الديوان حتى يجعل المشايخ وبمعلمهم على أن يضعوا الشارة على الأقل .

(٤٠) قال في هذا الصدد "وقد كنت أصاحبه في الذهاب إلى مساكنهم (مساكن الفرنسيين) والتفرج على صنائعهم ونقوشهم وتصاويرهم" .

انظر: الجبرتي ، عجائب الآثار ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ .

"ففي ثالثه (أي في الثالث من رجب) عمل الشيخ السادات مولد السيدة زينب بقطاير السباع ودعى صارى عسكر بونابرتة فحضر في عصريتها في البيت الذي سكن به الشيخ وهو بيت أيوب جاويش وتعشى هناك هو وخواصه ثم ركب و عاد إلى داره" (٤١) .

ولم يشتر الجبرتي إلى هذه الواقعة مطلقاً في كتابه مظهر التقديس ، مراعاة لجانب السادات وحفاظاً على سمعته لدى العثمانيين بعد عودتهم ، ثم عاد فأشار إليها بصفة عامة بعد وفاة السادات عندما ترجم له في عجائب الآثار فقال :

"ولما قدمت الفرنساوية إلى الديار المصرية في أوائل سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف لم يتعرضوا له في شئ وراعوا جانبه وأفرجوا عن تعلقاته ، وقبلوا شفاعته وتردد إليه كبيرهم وأعاضهم وعمل لهم ولائم" (٤٢) .

ومن الإضافات الجديدة التي أبرزتها هذه المخطوطة ، مطالبة علماء الأثر بمرتباتهم التي كانوا يتقاضونها قبل مجيء الحملة ، وقطعت عنهم بسبب ظروف الاحتلال الفرنسي ، فطالبوا بها مراراً وتكراراً ، بيد أن الفرنسيين ما ظلّوهم ولم يدفعوا لهم شيئاً ولم يدفعوا لهم شيئاً ، وقال الجبرتي في حوادث شهر ربيع الأول ١٢١٣هـ :

"فيه طلب المشايخ رواتبهم في الضربخانة وكانوا سألوا في ذلك عدة مرار وهم يواعدوهم وبعد ذلك قال لهم الترجمان اكتبوا قائمة بعلم الذي يخصكم فكتبوا بذلك قائمة فكان الذي يخصهم ويخص بعض أفراد نحو ألف فضة في كل يوم فلما اطلعوا على ذلك وواعدوهم بامضاه عدة مرار ، قالوا لهم في هذه المرة نعطيكم عوضه التزام فقالوا وايش نعمل بالالتزام ، وهذا

(٤١) تاريخ مدة الفرنسيين بمصر ، ص ٤٩ .

(٤٢) عجائب الآثار ، ج ٤ ، ص ٢٠٥ .



شئ متفرق الجزئيات ، فينا من له خمسين فضة ومن له ثلاثين ومن له عشرين ، فقالوا يتولى ذلك أحدهم ويجمعه ويفرقه على إخوانه في كل سنة فلم يرتضوا ذلك ثم أعرضوا عن ذلك لتحقيقهم شحة نفوسهم به "

ثم أورد مقدار ما كان يتقاضاه العلماء في كل يوم قبل مجيء الحملة

فقال :

"وكانت المرتبات قبل مجيئهم نيفا واثنين وثلاثين ألف فضة في كل يوم"<sup>(٤٣)</sup> وقد حذف الجبرتي هذا الموضوع ولم يشير إليه مطلقاً في كتابيه مظهر التقديس وعجائب الآثار مخافة أن يتهم العلماء بالتعامل مع الفرنسيين وحرصاً على أن تظل صفحاتهم مضيئة أمام العثمانيين .

ومن المعلومات الطريفة التي سجلها الجبرتي في هذه المخطوطة ، ذلك التفسير المعقول للصراع الإنجليزي الفرنسي والعوامل التي دفعت الفرنسيين لاحتلال مصر ، قال في حوادث ربيع الأول ١٢١٣هـ أثناء تعرضه لرواية معركة أبي قير البحرية (٦ ربيع الأول ١٢١٣هـ - ١٨ أغسطس ١٧٩٨م) :

"وخبر هولاء (هؤلاء) الإنجليزي أنهم معادين لطايفة الفرنسيين وأن الفرنسيين (بونابرت) لما أغار على البنادقة والونديك والجورنه وغيرهم قصد الإغارة على الإنجليزي أيضاً فلم يتمكن للعبور إليهم من طريق البر فحاربهم في البحر فلم يطيقوهم لأن الإنجليزي موصوفون في الشدة وقوة البأس في محاربة المراكب في البحر والفرنسيين بالعكس فعلم الفرنسيين أنه لا يتمكن من غرضه معهم إلا من جهة البر ولا طريق له إلا من الهند ، ولا طريق للهند إلا من بحر القلزم والإنجليز يعلم فلما وجده ملك الإسكندرية وعبر الممالك المصرية علم أنه يصل إليهم بعد ذلك من هذه الجهة ولا بد من تتابع الإمداد

(٤٣) تاريخ مدة الفرنسيين بمصر ، ص ٢١ .

والعساكر فحضر على أثرهم بعدة مراكب مشحونة بالمقاتلين إلى الإسكندرية وحاربوا المراكب التي وجدوها خارج المينة وبوقير فنالوا منهم ... واستمروا بمراكبهم قبالة الإسكندرية يذهبون ويجيئون ويشرقون ويغربون وينتظرون ما يأتي للفرنسيين من المدد أو يرسلونه إلى بلادهم فيقطعون عليهم الطريق ويقفون لهم في كل مضيق " (٤٤) .

ولم يتعرض الجبرتي لهذا الموضوع بمثل هذه الإضافة في كتابيه مظهر التقديس وعجائب الآثار ، وكل ما ذكره أنه أورد خبر معركة أبي قير في صورة موجزة ، تكاد تتفق في كلا المؤلفين ، فقال :

"وفيه تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الإنجليز إلى ثغر إسكندرية ، وحاربوا مراكب الفرنسيين بالميناء وكانت أشيعت هذه الأخبار من مدة أيام وتحدثت بها الناس فصعب ذلك على الإفرنج وشق عليهم " (٤٥) .

ولذا نرى أن الجبرتي أدرك تطورات الصراع الإنجليزي الفرنسي ، ولسنا نعرف ما هي الدوافع التي جعلته يحذف هذه المعلومات عندما أعاد كتابتها في مظهر التقديس وعجائب الآثار .

ومما يلحظ على هذه المخطوطة بوجه عام ، تلك الأمانة المتناهية في المحافظة على الوثائق التاريخية التي وقعت في يد الجبرتي وسجلها في يومياته ولم يغير في صيغتها أو يصحح ما بها من أخطاء لغوية .

ويظهر هذا الأمر جلياً في منشور بونابرت الأول الذي أعلنه على الشعب المصري ، فقد سجله الجبرتي كما وصله بما فيه من أخطاء صارخة صحت غالبيتها في "مظهر التقديس" و "عجائب الآثار" عند طبعهما ، وكان في استطاعته تصحيح تلك الأخطاء ، ولكن أمانته في المحافظة على النص

(٤٤) تاريخ مدة الفرنسيين بمصر ، ص ١٩-٢٠ .

(٤٥) انظر : مظهر التقديس ، ص ٥٤ .

وصلت إلى درجة متناهية أملت عليه أن يسجله كما هو ، ثم أشار إلى هذه الأخطاء وعقب عليها تحت عنوان :

"تفسير ما أودع هذا المكتوب من الكلمات المفككة والتراكيب الملعبكة " ولم يكن الهدف من هذا التعليق هو إعراب المنشور إعراباً نحوياً فحسب ، بل كان الهدف الأكبر هو دحض إدعاءات بونايرت التي أوردت بهذا المنشور ، بطريقة الإعراب التهكمي <sup>(٤٦)</sup> ، وعلى سبيل المثال قوله : في إعراب "واحترم نبيه" وقوله واحترام نبيه معطوف على ما قبله وعطف الكذب على الكذب لأنه لو احترمه لآمن به وصدقه واحترم أمته" وقوله في إعراب "مسلمين" من جملة "أن الفرنساوية وهم أيضاً مسلمين" مسلمين صوابه الرفع ونكتة العدول إلى النصب إشارة إلى أن إسلامهم نصب <sup>(٤٧)</sup> . وغير ذلك من الأخطاء التي أشار إليها وأوضح ما اشتملت عليه من مزاعم ظاهرة البطلان .

ولعل هذه الأمانة في المحافظة على النص عند الجبرتي تعطي لنا مثلاً لأسلوب الجبرتي بوجه عام ، فهو يستعمل اللغة الشعبية الدارجة في رواية الحوادث احتراماً لنص الرواية التاريخية التي نقلها الرواة إليه ، فهو بذلك ينقل لنا صوراً حية عن أحداث العصر ، فيضع يد القارئ على نبض الحياة المصرية فيجعله يحس أنه يعيش في الجو الحقيقي لمصر في عصر الجبرتي <sup>(٤٨)</sup> .

(٤٦) وذلك مثل طريقة الخطيب الشربيني في إعراب قصيدة أبي شادوف في كتابه (هر القحوف في شرح قصيد أبي شادوف) .

(٤٧) تاريخ مدة الفرنسيس بمصر ، ص ٧-٨ .

(٤٨) يعبر الجبرتي في أسلوبه عندما يترجم لأحد الأعلام ، ففراه يصحّر الألفاظ الجذلة ويلتزم السجع ، فيبدو في كتابه الصنعة والمحافظة عن طابع الكتابة الذي كان سائداً في عصره .

والمؤرخ الذي يتناول تاريخ الجبرتي بالدراسة لا يرى في أسلوبه عيباً أو نقصاً يقلل من قيمته التاريخية ، لأن الوثيقة التاريخية لا يعيبها رداءة أسلوبها ، ومادامت الحقائق التاريخية بها واضحة فالاستفادة منها كاملة .

كما يلحظ أخيراً ، أن مخطوطة ليدن ليس لها مقدمة ، ولا تحتوي على البسملة ، وبدأها الجبرتي مباشرة بذكر اسم سلطان الدولة العثمانية "السلطان سليم بن مصطفى العثماني" ، وأسماء حكام مصر والشام وعكا ، وأسماء أمراء مصر من المماليك وأتباعهم ، وليس لها خاتمة وإنما أنهاها بقوله : "والحكم لله الواحد القهار" <sup>(٤٩)</sup> . ويبدو من بدايتها أن عبد الرحمن الجبرتي كان يعتبرها من مقتنياته الخاصة وليست للتداول ، نظراً لما تحتوي عليها من آراء لا يرضى عنها أهل العصر ، ولو كانت معدة للتداول لالتزم فيها القواعد السائدة في التأليف في عصره ، وهي البداية بالبسملة ووضع مقدمة وخاتمة . غير أنه مما لا شك فيه أنه اعتمد عليها فيما بعد في إخراج كتابيه : "مظهر التقديس" و "عجائب الآثار" ، بعد أن حذف منها تلك الآراء الصريحة والأخبار التي تسيء إلى سمعة بعض الأشخاص ، والواقع أن الجبرتي قد تغيرت آراؤه بتغيير الظروف والملابسات السياسية عندما أعاد كتابة فترة الحملة الفرنسية في كل من كتابيه السالفين وبقي علينا بعد ذلك أن نتعرف على تلك الظروف التي غيرت آراء الجبرتي ، وهذا ما سوف نحاول التعرف عليه فيما يلي :

عقب جلاء الفرنسيين عن القاهرة في صفر ١٢١٦هـ (يوليو ١٨٠١ م) دخلت القوات العثمانية مدينة القاهرة بقيادة الصدر الأعظم يوسف باشا ضياء وعادت البلاد بذلك إلى حظيرة الدولة العثمانية مرة ثانية ، بعد احتلال

(٤٩) انظر: لوحة رقم ٢ ، ٤ .

دام أكثر من ثلاث سنوات ، وابتهج المصريون بهذا الحادث ابتهاجاً عظيماً ، لأن الشعب في مصر كان ينظر إلى الدولة العثمانية على أنها دولة الإسلام الكبرى ، تظل المسلمين بظلها الظليل ، كما كان يرى فيها رمزاً للخلافة الإسلامية.

وكان الجبرتي كغيره من المصريين سعيداً بهذا الحدث ، وقد صور لنا شعوره وشعور مواطنيه في كتاب كتبه عن أحداث الحملة اشترك في تأليفه معه صديقه الشيخ حسن العطار ، فقد أعاد الجبرتي صياغة ما كتبه عن فترة الحملة في يومياته الخاصة "تاريخ مدة الفرنسيين بمصر" وأضاف إليه ما نمقه صديقه العطار (٥٠) وأخرجنا من ذلك كتاباً سمياه : "مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين".

بدأ الجبرتي في تصنيف هذا الكتاب على أثر خروج الفرنسيين من القاهرة في أواخر صفر من عام ١٢١٦ هـ ، وانتهى منه كما يقول في سُلخ شعبان (آخره) (٥١) من السنة نفسها ، أي أنه استغرق في ذلك حوالي ستة أشهر ، وأهداه إلى الصدر الأعظم ، فقال في خاتمته : "ثم في الختم به إيماءة إلى أن من ألف الكتاب باسمه وحليت ديباجته برسمه ، وهو مولانا الوزير دام علاه وتحلت الأيام بوجودها فيه وبقاه .. ثم لسدته التي هي ملثم شفاه الإقبال ، ومحط رحال أفاضل الرجال أهدى كاسد هذا التصنيف وخامل هذا الترتيف ،

---

(٥٠) يشير الجبرتي في مقدمة مظهر التقديس إلى اشتراك العطار بقوله : "وكان ممن اعتنى بجمع تلك الأخبار ونقل غرائب هايتك الآثار قطب الفضلا .. صاحبنا العلامة حسن بن محمد الشهير بالعطار نظماً الله وإياه في مسلك الأخبار فقصمتم ما غنقه مع بعض منظومه ومنتوره بحسب المناسبة إلى هذا السفر لينتظم معنا في سلك حسن الذكر وسمياه : مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين " ص ١٤ .

(٥١) المصدر السابق ، ص ٣٨٣ .

فإن لاحظته بعين القبول ، وذلك هو المبتغي والمأمول ، راج في معالم الأدب  
سوقه وبطابع السعود لاح شروقه" (٥٢) .  
ويبدو من هذا الإهداء أن الكتاب ألف بإشارة من الصدر الأعظم ، فأخذ  
بذلك طابعه الرسمي .

والكتاب من حيث اشتراك العطار في تأليف يختلف بعض الشيء عما  
سجله الجبرتي في يومياته الخاصة (مخطوطة ليدن) ، فهو يحمل بذلك طابعاً  
مزدوجاً لمنهج المؤلفين (الجبرتي والعطار) ، حيث نرى فيه اهتماماً  
بالمحسنات اللفظية في كثير من المواطن ، وتضمن كثيراً من القطع الأدبية  
والشعرية ، لأن العطار أديب وشاعر يأسره الأسلوب الأدبي ، ويعبر عن  
الحوادث بشعر أخاذ ، وعلى سبيل المثال ، قال في قصيدته التي أهداها إلى  
الصدر الأعظم :

لا رعى الله ما مضى من زمان	فيه سارت أسافل الأوغاد
واستبدت بملك مصر الفرنسيس	وعاثوا فيها بكل فساد
حل فيها منهم شياطين أنس	هم بقايا الهلاك من قوم عاد
شوهوا حسننها بأسود كفر	حين جاعوا بجيشهم كالجراد
واستباحوا الأموال والدم والدم	عرض وجاعوا بالخسر والإلحاد
ثم زالوا عنها سريعاً وبادوا	وعليهم خزي المخاوف يادي
بقدم الوزير دام علاه	مقدم الغيث حل محل البلاد
فاكتست مصر بهجة وسناء	وأماطت عنها ثياب الحداد(٥٣)

(٥٢) المصدر السابق ، ص ٣٨٠-٣٨١ .

(٥٣) المصدر السابق ، ص ٣٦٢ ، وانظر أيضاً للعطار بعض القطع الأدبية صفحات ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ،

٢٤٠ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٦٧ و ٣٦٢-٣٦١ .

والكتاب من حيث تأليفه (برسم) الصدر الأعظم يعد بمثابة التاريخ الرسمي للحملة ، فاشتمل على مقدمة ضافية حمل فيها الجبرتي الممالك وحدهم مسئولية وقوع البلاد تحت وطأة الاحتلال الفرنسي ، وأرجع ذلك إلى تطرق الخلل إلى دولتهم بسبب ما إبتدعوه من المصادرات التي أفقرت البلاد ، وإهمالهم تحصين الثغور حتى داهمها الفرنسيون . وأثنى على حكومة الدولة العثمانية بقيادة سلطانها ( الغاز سليم ) التي " توجهت إبتصارا للإسلام عزيمته وتسامت لإستنقاذ مصر من أيدي أولئك الأشرار همته فوجه إليها بوجوه دولته وعساكر حمايته من كل رئيس بصير بأمور العواقب " (٥٤) ، ورحب بعودة الجيش العثماني بقيادة الصدر الأعظم "لأنه أزال دولة الكفار وجدد دولة الأخيار وعادت به بهجة مصر بعد انمحاقها وأشرق شمس طلعه على آفاقها فاتصلح بعد الفساد حالها " (٥٥) .

ومن ثم كان طابع الكتاب الظاهر هو الإشادة بالدولة العثمانية ، بالثناء عليها والخط من قدر الممالك الذين انحدرت جماعتهم ، وأهملوا أمر الدفاع عن البلاد ، ثم الحملة الشديدة على فترة الحكم الفرنسي الأجنبي للبلاد ، وإظهار الفرح بزوالهم ، وحذف كثيراً من المواقف التي ظن أنها تسيئ إلى سمعة العلماء أو تضعف من مركزهم أمام السلطات العثمانية العائدة .

والكتاب من ناحية ثالثة ؛ يمثل تسجيلاً أميناً لشعور المصريين وابتهاجهم لجلاء الفرنسيين عن البلاد ، وتعليقات الجبرتي فيه تدل على كراهية ظاهرة لهذا الاحتلال ، ومرد هذه الكراهية ما رآه من استيلاء دولة أجنبية لوطنه تختلف في دينها وعاداتها وتقاليدها عن المصريين المسلمين ، رأى الجبرتي تبرج النساء وشرب الخمر علناً ، وتحويل بعض البيوت إلى

( ٥٤ ) المصدر السابق ص ٩ .

( ٥٥ ) المصدر السابق ص ١٢-١٣ .

أماكن عامة للتسليية والمجون ، تقدم الخمر لروادها وتهيئ لهم الاختلاط بالنساء ، وفتح الفرنسيون كثيراً من المحال للدعارة في بعض أنحاء القاهرة ، كانت هذه العادات والتقاليد الخليفة تتعارض مع تقاليد المصريين الإسلامية فسلط عليها الجبرتي قلمه الناقد <sup>(٥٦)</sup> .

وتأصلت كراهية الفرنسيين في نفسية الجبرتي بسبب فظائعهم التي ارتكبوها في البلاد بسبب مقاومة الشعب لهم ، وخاصة أنهم استهدفوا الأزهر بسخطهم ، وأنزلوا بأهله أشد ضروب الانتقام ، وكانت أشد الفعّال وقعاً في نفسية الجبرتي ، هي دخول الفرنسيين الجامع الأزهر بخيولهم بعد قمع ثورة القاهرة الأولى (في ليلة الثلاثاء ١٣ جمادى الأولى ١٢١٣هـ - ١٣ أكتوبر ١٧٩٨م) يقول الجبرتي في وصف هذا المشهد:

"ثم دخلوا أولئك الوعول إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول .. وداس فيه المشاة بالنعالات ، وهم حاملون السلاح والبنديقيات وتفرقوا بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا بالأروقة والحارات وكسروا القناديل والسهارات .. وشققوا الكتب والمصاحف وعلى الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها ، وأحدثوا بالمسجد وبالوا وتغوطوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيهم وألقوها بصحنه ونواحيه ، وكل من صادفوه به عروة من ثيابه أخرجه " <sup>(٥٧)</sup> .

ويرجع الجبرتي هذا العمل الهمجي إلى العداوة الدينية فيقول : "وفعلوا بذلك الأزهر ما ليس عليهم بمستنكر لأنهم أعداء الدين وأخصام متغلبون وغرماء متشمنون".

(٥٦) انظر حديث الجبرتي عن هذه البدع في مظهر التقديس : ص ٣١٠ - ٣١١ .

(٥٧) مظهر التقديس ، ص ٨١ - ٨٢ .



ونلاحظ أن الجبرتي في كتابه "مظهر التقديس" يشير إلى الفرنسيين في كثير من المواطن بقوله : "الكفار" يقول : 'وإن من أعظم الدلائل على ما رميت به مصر وحل به لأهلها تنوع البؤس والاصر بحلول كفره الفرنسيين" وقوله عن الصدر الأعظم "أنه أزال دولة الكفر" و "عصاية الكفار" وقوله عنهم أيضاً "خسرة الكفار" ولا يذكر اسماً لقائد من قوادهم إلا مصحوباً بوصف مهين كقوله : "اللعين دبوي" و "التعس بونابرتة" وغير ذلك من الأوصاف التي يلحظها من يتصفح الكتاب (٥٨) .

ويمكننا القول بأن رؤية فرنسا غازية قاهرة لمصر ، وأعمالها الحربية القاسية التي باشرتها في البلاد ، ومخالفة الغزاة للمصريين في الدين والتقاليد واقتحامهم للأزهر بخيولهم ، كل ذلك أقام حاجزاً من عدم الثقة وسوء النية بين الغزاة وأهل البلاد ، وقد عبر الجبرتي عن شعور مواطنيه ، ووقف موقف الرافض لتلك الحملة مهما أبدت من جوانب حضارية نيرة ، وبرزت في كتابه "مظهر التقديس" حركة التمسك بالتبعية العثمانية والترحيب بعودة العثمانيين واعتبار عودتهم بداية لاتبثاق عودتهم بداية لاتبثاق فجر جديد .

سيد أن الجبرتي عندما أعاد كتابه فترة الحملة الفرنسية مرة ثالثة في كتابه الأخير "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" غير آراءه هذه ، وحمل على الدولة العثمانية في أحكامه واعتبرها مسنولة عن الشقاء الذي عانى منه المصريون ، ثم أثنى على الفرنسيين في عدة مواضع ، وكانت هناك ظروف وملابسات جعلت الجبرتي ينهج هذا المنهج الجديد ، وهذا ما نحاول أن نوضحه في النقطة الأخيرة من هذا البحث .

(٥٨) انظر هذه الأوصاف على سبيل المثال في مظهر التقديس ، صفحات ٤ ، ٢٣ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٧٩ .

عقب جلاء الفرنسيين رزحت البلاد تحت وطأة عهد من القوضى السياسية امتد من سنة ١٨٠١-١٨٠٥ ، فقد عاد الأتراك إلى مصر والفكرة المسيطرة على أذهانهم هي أنهم نظروا إليها على أنها فتح جديد ، ولهم بفضل هذا الفتح أن ينهبوا ويسلبوا أرزاق المصريين ويسينوا معاملة الشعب أبلغ إساءة ، وانعكست هذه الفكرة على معظم تصرفاتهم في البلاد عقب عودتهم ، فقد عزلوا قاضي القضاة المصري الشيخ أحمد العريشي الذي عينه الفرنسيون ، وعينوا تركيا مكانه .

وطلب القاضي العثماني الجديد من أرباب العقارات والأموال أن يشتروها مرة ثانية من الدولة العثمانية ، لأنها "صارت ملكاً للسلطان لأن مصر قد ملكها الحربيون وبفتحتها صارت ملكاً للسلطان فيحتاج أن أربابها يشترونها من الميري ثانياً" (٥٩) وعاد الفساد إلى القضاء مرة أخرى ، وتدخل العساكر العثمانيون في الدعاوي فكانوا يأخذون ضريبة لهم على الدعاوي الشرعية ، وقال الجبرتي في ذلك .

"وإذا تداعى شخص على شخص أو امرأة على زوجها ذهب معهم أتباع القلق (٦٠) إلى المحكمة إن كانت الدعوى شرعية فإذا تمت الدعوى أخذ القاضي محصوله ويأخذ مثله أتباع القلق على قدر تحمل الدعوى" (٦١) .  
وتمادى العثمانيون في سياستهم ، فامتدت أيديهم إلى أموال الشعب فراحوا ينهبون أرزاقه ويسينون معاملته أبلغ إساءة (٦٢) .

(٥٩) الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ .

(٦٠) تحريف للكلمة التركية (قوللق) وهو مركز العسكر أو ما نسميه الآن نقطة الشرطة . وتطلق على أحد رجال نقطة الشرطة .

انظر : محمد شفيق غربال ، مصر عند مفترق الطرق ، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، الجزء

الأول ، عدد مايو ١٩٣٦ ، ص ٢٢ ، حاشية (١) .

(٦١) الجبرتي ، عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ .

وفي غضون ذلك بلغ التذمر الشعبي مداه بسبب خيبة الأمل التي منى بها الشعب ، فقد كان ينتظر العدل والإصاف من العثمانيين المسلمين بعد جلاء الفرنسيين المسيحيين ، وأعلن العلماء رفضهم للظلم أياً كان مصدره ، سواء أكان مصدره الفرنسيون (أعداء الدين) ، أم كان مصدره العثمانيون حماة الدين كما يدعون.

وبلغت موجة العداء للعثمانيين في هذه الأثناء درجة كبيرة ، جعلت علماء الأزهر يرحبون بمبعوث فرنسا (المسيو سباستياني) <sup>(٦٢)</sup> (Sebastiani) الذي وصل القاهرة في ٢٦ من أكتوبر ١٨٠٢م ، وصارحوه بأنهم يمتنون عودة الحكم الفرنسي لمصر مرة أخرى .

فقد بادر المبعوث الفرنسي بعد وصوله إلى القاهرة بزيارة الشيخ عبد الله الشرفاوي شيخ الأزهر في بيته في ٢٧ من أكتوبر ، وعقد معه اجتماعاً حضره عدد كبير من كبار العلماء ، ودار الحديث حول اهتمام بونابرت بمصر ، وأظهر العلماء في كلامهم مقدار ما يكونه لشخص بونابرت من محبة وود ، وعلق سباستياني على هذا الاجتماع في تقريره إلى حكومته بقوله : "أنه

(٦٢) راجع أعمال السلب والنهب وإيذاء الشعب التي عرضها الجبرني في عجائب الآثار ، ج ٣ ، صفحات: ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٠ .

(٦٣) كان المسيو سباستياني قد وصل إلى مصر في ١٦ من أكتوبر ١٨٠٢م ، بوصفه وزيراً مفوضاً من بونابرت للوقوف على آخر التطورات بمصر بعج خروج الفرنسيين ، ومعرفة موقف كل طائفة من الطوائف المتصارعة على السلطة والاتصال بهم جميعاً ، وكان من خطة المبعوث الفرنسي مقابلة كبار العلماء والتعرف على ميولهم بعد هذه الفسرة التي مضت منذ خروج الفرنسيين ، وقد دون المسيو سباستياني ملاحظاته في تقرير قدمه إلى حكومة القنصل الأول ، وقد قامت الحكومة الفرنسية بنشر هذا التقرير الخاص بمهمته في الجريدة الرسمية في ٣٠ من يناير ١٨٠٣ ، بعد حذف فقرات منه اقتضت الحكمة السياسية حذفها .

انظر : د. محمد فؤاد شكرى ، مصر في القرن التاسع عشر ، ج ١ ، ص ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٦ .

دهش مما أبداه المشايخ من شجاعة في إعلان رغبتهم في أن يصبحوا مرة أخرى رعايا القنصل الأول" (٦٤) .

ويبدو من تقارير المسيو سياستياني أن علماء الأزهر بدأوا يعيدون تقسيمهم لفترة الحكم الفرنسي لمصر ، وبدأوا يقرون أن العدل يمكن أن يتأتى من الحاكم غير المسلم ، وأن الحكام المسلمين ليسوا في كثير من الأحيان عادلين .

وقد ترجم الجبرتي عن هذا التغيير الجديد عندما أعاد كتابة تاريخ الحملة الفرنسية مرة ثالثة ، وأخرج عنها الجزء الثالث من كتابه الضخم : "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" بعد أن أضاف إليها حوادث ما بين ١٢١٦ هـ وسنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠١-١٨٠٥م) ، ففي هذه الصياغة الأخيرة تظهر آراء الجبرتي المعتدلة ، فقد أشاد ببعض أعمال الفرنسيين ، وأبدى إعجابه ببعض نظمهم الحضارية ؛ في عدة مواضع من كتاب عجائب الآثار ، وكان قد أغفل الإشارة إليها في كتابه مظهر التقديس .

مثال ذلك إعجابه بتفوق الفرنسيين العلمي ، وكان قد سجله في مخطوطة ليدن " تاريخ مدة الفرنسيين بمصر" (٦٥) ثم أشار إليه إشارة سريعة في مظهر التقديس (٦٦) ، ثم توسع فيه أخيراً في عجائب الآثار (٦٧) .

وقد سجل الجبرتي منشور بوناپرت الأول الذي أعلنه على الشعب المصري في يومياته الخاصة "تاريخ مدة الفرنسيين بمصر" ، وفي "مظهر التقديس" ، وعلق عليه بالنقد والتجريح لجميع ما فيه من أخطاء ومزاعم ،

(٦٤) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٧-٣٨ .

(٦٥) تاريخ مدة الفرنسيين بمصر ، ص ٤٨-٤٩ .

(٦٦) مظهر التقديس ، ص ٩٥-٩٦ .

(٦٧) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٣٥-٣٧ .

وذلك تحت عنوان : "تفسير بعض ما أودعه هذا المكتوب من الكلمات المفككة والتراكيب الملعبكة" (٦٨) . وهي التعليقات التي سبق أن أشرنا إليها ، أما في عجائب الآثار فقد حذف هذا النقد برمته .

ثم أثنى على تنظيمهم للديوان ، وإعطائهم مرتبات مجزية لأعضائه تغنيهم عن الارتشاء ، فيقول في ذلك : " ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة أربعة عشر ألف فضة في كل شهر عن كل يوم أربعمائه نصف فضة وللقاضى والمقيد والكاتب العربى والمترجمين وباقي الخدم مقادير متفاوتة تكفيهم و تغنيهم عن الارتشاء " (٦٩) .

ولعل أوضح صورة لهذه المقارنة تظهر عندما نقارن ما كتبه الجبرتي عن حادثة مقتل كليبر ومحكمة قاتليه - في كلا المؤلفين : ففي (مظهر التقديس) (٧٠) يورد خبر الحادثة موجزاً ، ولا يسجل محاضر التحقيق ولا محاضر جلسات المحاكمة التي نشرتها الفرنسيون في حينها .

أما في عجائب الآثار فيورد هذه المحاضر بنصها العربى كما نشرت ؛ ويعلق عليها تعليقاً يدل على إعجابه الظاهر بنظامهم القضائى وضبطهم الأحكام ؛ فيقول : " وقد كنت أعرضت عن ذكرها (يعني محاضر التحقيق) لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم فى اللغة ، ثم رأيت كثيراً من الناس تتشوق نفسه إلى الإطلاع عليها لتضمنها خبر الواقع وكيفية الحكومة (المحاكمة) ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بسدين وكيف قد تجري على كبيرهم ويصوب بهم رجل آفاقي أهوج وغدره وقبضوا عليه وقرروه ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد

(٦٨) مظهر التقديس ، ص ٣١-٣٥ .

(٦٩) عجائب الآثار ، ج ٣ ، ص ٤٥ .

(٧٠) مظهر التقديس ، ص ٢٤٦-٢٥٠ .

الإقرار بعد أن عثروا عليه ، ووجدوا معه آلة القتل بدم ساري عسكرهم وأميرهم بل رتبوا حكومة ومحكمة وأحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام مرة بالقول نفذوا الحكومة ( الحكم ) فيهم بما اقتضاه التحكيم . . . .  
بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش الصاكر الذين يدعون الإسلام ويزعمون أنهم مجاهدون ويقتلون الأنفس وتجاريهم علي هدم البنية الإنسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية مما سيتلى عليك بعضهم بعد " (٧١) .

ويؤخذ من قول الجبرتي الأخير "مما سيتلى عليك بعضه بعد" أنه قد وضع فلنفسه منهجا جديدا لبيان مفسد النظام العثماني والمقارنة بينه وبين الحكم الفرنسي، وهذا ما أوضحه في تلك الصياغة الأخيرة لأحداث الحملة في كتابه "عجائب الآثار" .

ويتضح من هذا العرض السريع ؛ أن الجبرتي سجل أحداث الحملة الفرنسية بادئ ذي في هذا التسجيل الأول مؤرخا أمينا ، يوجد النقض إلى جميع الأطراف بموضوعية ونزاهة ، ولم تؤثر فيه عوامل المعاصرة كالرغبة في التقرب إلى الحكام والرهبة منهم ، أو التحرج من بعض الأشخاص ذوي النفوذ ، أو من له بهم صلة ، وهي الأمور التي ظهرت إلى حد كبير من كتابه مصدر التقديس ، وإلى حد ما في " عجائب الآثار" .

### انتحال المخطوطات :

في أثناء قراءتي لبعض المخطوطات التاريخية بمكتبة الحرم<sup>(٧٢)</sup> المكي في عام ١٩٧٨م وقع في يدي مخطوطة بعنوان : "تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام" ومكتوب على ورقة خارجية حديثة ليست من أوراق المخطوطة الأصلية أن المخطوطة من تأليف محمد بن أحمد الصباغ المتوفى سنة ١٣٢١هـ (١٩٠٣م) والصباغ قال عنه الزركلي وكحالة بأنه مكي من أصل مصري له اشتغال بالتاريخ ولد بمكة وتوفي في رحلة له بالمغرب ، له "تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام" مخطوط في مجلد ينتهي إلى سنة ١٢٨٧هـ يظن أنه بخطه (الأعلام ١٢/٦ الطبعة الخامسة) .

وقد اعتمد الزركلي في كلامه هذا عن الصباغ وكتابه لا على رؤية المخطوط وإنما اعتمد على معلومات استمدها من مقال للشيخ عبد الوهاب الدهلوي في مجلة المنهل ٣٤٤/٧ وعلى نظم الدرر ، والفهرس التمهيدي ٣٦١ : ورصا كحالة معجم المؤلفين ٢٦٢/٨ زاد بأنه مالكي .

ولكن بعد قراءتي لهذه المخطوطة تتضح الملاحظات التالية :

أولاً : هناك شطب وطمس في عدة مواقع من المخطوط الأمر الذي يجعل القارئ يشك في أن هناك دوافع وراء هذا الشطب لأن المخطوطات لم يكن يستعمل فيها هذا الشطب وإذا أراد المؤلف أو الناسخ تصحيح شيء فإنه يكتب فوقه علامة (صح) ويضيف التصحيح المراد في الهامش طبقاً للنقائيد العلمية المعروفة لدى العلماء في نسخ وكتابة المخطوطات ، وهذا الشطب هو الذي استوقفني .

<sup>(٧٢)</sup> كنت في هذا العام أعمل أستاذاً زائراً في جامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة والتي تحولت فيما بعد إلى جامعة أم القرى .

ففي مقدمة المخطوط بعد البسملة يشير المؤلف إلى نفسه فيقول: "يقول العبد الفقير إلى ربه القدير (شطب) الحنفي مذهباً المكي بلداً" فيلاحظ أن هنا شطب لاسم المؤلف وهو يتحدث عن نفسه ولم أستطع أن أقرأ الاسم لأن الذي شطبه استعمل المداد الأسود وترك مذهب المؤلف وهو حنفي بينما مذهب المنتحل مالكي كما سنرى . والقاعدة أن اللص يترك أثراً يدل على عمله ، فأصبح لدينا إشارتين إلى مذهب المؤلف أن المؤلف يشير إلى نفسه في المقدمة ويقول بأنه حنفي بينما الإشارة إليه في نهاية المخطوط بخط مغاير بأنه مالكي والأوثق عندنا ما هو مكتوب بالمقدمة لأنها هي الأصل .

وفي موضع آخر من المقدمة يشطب المنتحل تاريخاً يدل على الوقت الذي كان المؤلف يكتب فيه هذه المقدمة ، ويقول المؤلف الأصلي : "وأتمته بذكر أمراء مكة من الأشراف وغيرهم طبقة بعد طبقة إلى وقتنا هذا ———" وذكر التاريخ الذي حاول المنتحل شطبه بالحبر الأسود أيضاً ، ولكنني استطعت أن أتبينه بتعريض الورق للضوء ، وهو سنة ألف ومائتين وتسعة وثمانين للهجرة (١٢٨٩هـ) .

وكتب المنتحل في نهاية المخطوط إضافة بقلم آخر وخط مغاير تماماً وتنظيم آخر في صفحتين وخمسة سطور جاء في نهايتها "انتهى ما كتبه محمد بن أحمد الصباغ المالكي النيجاني ، وكان الفراغ من تأليفه سنة ألف وثلاثمائة وعشرين " ١٣٢٠هـ .

فكان المنتحل قد شطب اسم المؤلف الأصلي وترك مذهبه الحنفي ، ومحا السنة التي أشار إليها إبان تأليفه للمخطوط وأثبت اسمه في نهاية الكتاب وسنة انتهائه من تأليفه وهي سنة ١٣٢٠هـ . ولما كان المؤلف الأصلي وقف في حوادثه إلى سنة ١٢٨٨هـ فأصبحت هذه زلة أخرى للمنتحل تدل على انتحاله ، فقد فاتته أن يضيف إلى المخطوط تاريخ السنوات ما بين



١٢٨٨هـ - سنة ١٣٢٠هـ وقد حاول في هذا المجال ولكنه لم يستطع أن يضيف سوى صفتين وخمسة سطور بخط وتنسيق وحبر وأسلوب مغاير للمؤلف الأصلي أضافهما بطريقة واضحة قبل الفهرس النهائي .  
كما يلاحظ أن الورقتين المضافتين من نوع مغاير للورق الأصلي ، فالأصلي ورق سميك خاص بالمخطوطات والمضافتان من ورق ضعيف لم يكن يليق بالمخطوطات .

ومن الشطب الذي يعين على معرفة المؤلف الأصلي عبارة تتصل بذكر صلة النسب الذي بين المؤلف وبين بعض من ترجم لهم وهو الشيخ محمد بن عبد الله ابن يحيى بأفضل المتوفى يوم السبت الموافق لخمس وعشرين مضت من ذي الحجة سنة ألف ومائتين وواحد وثمانين وصلى عليه بالمسجد الحرام بعد العصر ودفن بالشبيكة ثم شطب المزور بعد ذلك العبارات التالية ، وهي : "وكان متزوجاً بأخت الفقير رحمه الله تعالى وقد تمكنت من قراءتها بتعريض الأصل للضوء وعبارة الفقير كانت تستعمل يومئذ للإشارة إلى المؤلف تواضعاً وكل من يتحدث عن نفسه ، فكلما أشار إلى نفسه قال الفقير من باب التواضع .

ويلاحظ أن المنتحل نزع ورقتين هما ٢٠٤ ، و ٢٠٥ وكتب غيرهما بخط مغاير لخط المخطوط الأصلي كما أهمل المغير ترقيمهما والمعلومات بهما عن الفترة التي تلي إمارة الشريف محمد بن عبد المعين ١٢٧٢هـ وأضاف في الورقة ٢٠٤ ترجمة الشريف عبد المطلب غالب وهذه الإضافة ظهرت في التغيير الذي أحدثه في الفهرس حيث أنه غير في الفهرس أيضاً بنفس الحبر والخط الجديد ، ولو كانت هذه الإضافة موجودة في الأصل لما لزم إضافتها إلى الفهرس ، ولا نعرف الدوافع وراء هذه الإضافة وهذا التغيير ، كما أننا

بالتالي لا نعرف ما كان موجوداً بالأصل من معلومات وربما كانت تتصل بالمؤلف الأصلي لأنه معاصر لهذه الأحداث .

وقد قام فاعل مجهول غير المنتحل ربما دوافعه تختلف عن الأول بمحاولة شطب كثير من سطور المخطوط وذلك بنفس الطريقة حيث استعمل المداد الأسود ولكن قليل الطمس بحيث تبدوا الكلمات المشطوبة واضحة لمن يدقق في قراءتها وخاصة إذا عرضها لضوء ونظر من الناحية الأخرى وغالبية المواضيع المضروب عليها أي المشطوبة تتعلق بذكر المقامات والقباب.

ومن ذلك على سبيل المثال ما حدث في ورقة ١٧٠ عند الحديث عن قبر محمود بن إبراهيم بن أدهم يقول المؤلف " وممن دفن في غير مقابر مكة سيدي محمود بن إبراهيم بن أدهم دفن بمكة بأول جروول كذا في تاريخ الرحمت علي من فات" ثم شطب بعدها العبارات التالية ولكنها تقرأ بسهولة : "وقد بني عليه قبة في زمن السلطان عبد المجيد خان ثم هدمت القبة المذكورة وبني غيرها قبة عالية إبراهيم الشرباص ينة ثمانية وثمانون بعد الألف والمائتين " .

### عنوان الكتاب :

يقع هذا المخطوط في ٢٢٦ صفحة عدا الفهرس ، في كل صفحة من أوراقه ما بين ثلاثة وعشرين وأربعة وعشرين سطراً وفي كل سطر من سطوره ما بين ١٢ كلمة و ١٥ كلمة .

أما بالنسبة لعنوان الكتاب فقد أشار إليه المؤلف في المقدمة بقوله

(صفحة ٢) :

"وسميته تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم" وجاء في صفحة العنوان بخط نسخ واضح ومداد أحمر ما نصه :

"هذا تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام " فهناك اختلاف طفيف بين عبارة المقدمة وعبارة صفحة العنوان وذلك بزيادة لفظتي : "ولاتها الفخام" .

أما الإشارة إلى الكتاب في فهرس مكتبة الحرم المكي فتأتي على النحو التالي : تحصيل المرام في أخبار البلد الحرام" رقم ١١ تاريخ مخطوط دهلوي . وبذلك يرى القارئ أن هناك تباين واضح في اسم الكتاب ويبدو أنه وقع عن طريق الخطأ وعدم الدقة في إثبات اسم الكتاب في فهرس مقتنيات مكتبة الحرم المكي .

والأصح من هذه العناوين كلها ما هو موجود في مقدمة المؤلف فهو أدعى للثقة من غيره الذي لم يلتزم كاتبه الدقة في إشارتهم إلى عنوان المخطوط كما نوه به مؤلفه في المقدمة .

ويوجد تمليك على صفحة العنوان باسم : أبو الفيض عبد الستار الصديقي الحنفي وهذا نصه : "في ملك الفقير أبي الفيض عبد الستار الصديقي الحنفي عفى عنه" وهذا التملك مؤرخ بسنة ١٣٢٢هـ .

ويلي اسم الكتاب في صفحة العنوان سطر بالمداد الأسود به العبارات التالية "اللهم اجعل آخر كلامي لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم" يلي هذا عبارة تنص على وقف الكتاب بالمكتبة الفيضية المباركشاوية البكرية وهذا نصها :

"الوقف لله بالمكتبة الفيضية المباركشاوية البكرية حرسها رب البرية عن كل آفة وبلية آمين" .

يلي هذا بخط رقعة وحبر أزرق من الأخبار الحديثة ما نصه :

### تأليف

العلامة الشيخ محمد بن أحمد المعروف بالصباغ المكي من علماء القرن

الثالث عشر .

### مصادر المؤلف :

أوضح المؤلف المجهول في المقدمة المصادر التي استقى منها مادته العلمية حيث قال في المقدمة بكل أمانة : إنه انتخبه من كتب عديدة منها : السيرة النبوية للشيخ علي بن برهان الدين الحلبي ، ومن شفاء الغرام والعقد الثمين للسيد تقي الدين الفاسي مؤرخ مكة ، ومن كتاب المواهب اللدنية للحافظ أحمد بن محمد الخطيب القسطلاني وشرحها للشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني والبحر العميق لأبي البقاء محمد بن أحمد بن محمد أبي الضيا المكي العمري القرشي ، ومن كتاب "الأعلام لأهل بلد الله الحرام للشيخ قطب الدين (النهروالي) محمد بن أحمد المكي الحنفي مؤرخ مكة ، ومن كتاب "درر الفرايد" للشيخ عبد القادر الأنصاري الجزيري الحنبلي مؤرخ مكة ، وكتاب "زبدة الأعمال في فضائل مكة" للشيخ سعد الدين الاسفراييني ، وكتاب "أخبار مكة" للأزرقي وكتاب : "منايح الكرم في أخبار البيت وولاية الحرم" للخواوي ، وكتاب "توضيح المناسك" وحاشيته لشيخ المؤلف الشيخ حسن بن إبراهيم بن حسين عامر المغربي مفتي المالكية بمكة (توفي سنة ١٢٩٢هـ - (٧٣) ) وغيرهم (٧٤) .

(٧٣) الأعلام ، للأزرقي .

(٧٤) انظر المخطوط ص ٢ .

والكتاب ممتاز لخص فيه مؤلفه ما كتب عن أخبار مكة والحرم حوالي ثلاثة عشر قرناً من كتب شتى ويهتم بوجه خاص بما جرى على الحرم المكي من تغييرات خلال العصور المختلفة والعمائر التي قام بها الملوك والسلاطين ، كما يذكر طرفاً من تاريخ الأشراف بمكة .

### ملخص المخطوط :

يشتمل هذا المخطوط على مقدمة وستة أبواب يشتمل كل منها على فصول ، وخاتمة في ذكر أمراء مكة .

فالباب الأول : في بناء البيت الحرام وذكر من بناه وأول من بناه ، وذكر الكسوة ، فضائل البيت وما يتعلق بالحجر الأسود والمطاف وسدنة البيت الحرام ، ويشتمل على ١٨ فصلاً .

والباب الثاني : في ذكر زمزم وأول من حفرها ومشروعية السعي ، وحفر عبد المطلب لها ، وذرع زمزم ، وساقية العباس رضي الله عنه ، فضائل زمزم ، ويشتمل هذا الباب على ثلاثة فصول .

الباب الثالث : فيما كان عليه وضع المسجد في الجاهلية وصدر الإسلام ، ويشتمل على تسعة فصول .

والباب الرابع : في ذكر مكة المشرفة وأسمائها وفضل جبالها والأماكن المباركة فيها ، ومساجدها ، ويشتمل على ثلاثة فصول .

والباب الخامس : في فضل مكة المشرفة وفيما جاء في تحریم حرّمها وفضل أهلها ، وحكم المجاورة بها وفضلها ، وفي أن مكة والمدينة أفضل بقاع الأرض ، ويشتمل على خمسة فصول .

والباب السادس : في ذكر عيون مكة والبرك والآبار والسقايات مما هو بها وبالحرم وما قاربها ، وذكر مياضيها والمدارس والأربطة الموقوفة ، ويشتمل على أربعة فصول .

الخاتمة : يذكر أمراء مكة من الأشراف وغيرهم وذكر بعض الحوادث وهناك تعليقات شتى في هوامش الكتاب بخط ومداد مغاير للأصل .  
وأخيراً أتمنى لو أن كتاباً آخرين أسهموا في كشف اسم المؤلف الأصلي لهذا المخطوط ، هذا والله أعلم بالصواب .

### الإضافات الهامشية :

هناك إضافات هامشية بحبر مغاير وخط مغاير أيضاً ، وفي هذه الإضافات تأتي فوائد مثل إثبات تاريخ معين أو ترجمة علم أو إضافة خبر أو إثبات كلمة سقطت سهواً من الناسخ .

فمن الإضافات التوضيحية للأمكنة (ص ٨) عند الحديث عن بناء آدم للكعبة وأنه بناها من عدة جبال منها جبل رضوى ، فجاء عند جبل رضوى وأضاف في الهامش قوله :

"رضوى كسرى وهو جبل بقرى ينبع في طريق المدينة "

وقد وردت في ص ٢٩ الحديث عن كسوة الكعبة فيقول "كانت الكسوة تارة من قبل سلاطين مصر وتارة من قبل ملوك اليمن إلى أن اشترى الملك الناصر قلاوون قريرتين من قرى مصر ووقفها على كسوة الكعبة أحدهما اسمها بيسوس والأخرى سندبيس " .

وعند ذلك أضاف المضيف الإضافة التالية في الهامش بخط ومداد مغايرين : "قال المهودي وفي عشر السنين وسبع مائة اشترى السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد قرية من بيت مال المسلمين بمصر ووقفها على

كسوة الكعبة المشرفة في كل سنة وعلى كسوة الحجرة والمنبر في كل خمس سنين مرة ، وذكر التقى القاسي والزين المراغي إلا أنه قال في كسوة الحجرة في كل ست سنين مرة تعمل من الديباج الأسود مرقوماً بالحرير الأبيض ولها طراز منسوج بالفضة المذهبة ... إلخ".

وهناك إضافة في صدر ص ١٦٤ تحدث فيها المضيف عن جواز زيارة القبور فقال تحت عنوان فائدة : "في المدخل لابن الحاج المالكي أما زيارة القبور فجاز خصوصاً إن كان ممن ترجى بركته أو قرابته للنبي صلى الله عليه وسلم فيجوز التوسل بهم إلى الله وأن الله قد اختارهم وشرفهم وكرمهم فكما ينتفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم فإنهم الوسيلة إلى الله تعالى لخلقهم وما زال الناس من العلماء والأكابر كابر عن كابر يتبركون بهم شرقاً وغرباً يتبركون بزيارة قبورهم ويجدون بركة ذلك حساً ومعنى ...". إلى آخر ما أضاف من أقوال تتعارض مع الإيمان الصحيح ، مما يدل على أن كاتب هذه الإضافة ممن يخالفون الدعوة السلفية في الحجاز ويعترض على إزالة القبور التي قام بها السلفيون في الحجاز .

والملاحظ أن هذه الإضافة الهامشية بنفس الخط والحرير الذي كتبت به الإضافة الأخيرة في نهاية الكتاب والتي رجحنا أنها من إضافة المنتحل وهو محمد الصباغ الذي أورد فيها اسمه وسبق أن أشرنا إليها .

وإضافة أخرى في (ورقة ١٦٩) بخط نسخ ومداد أسود خفيف عن مداد الأصل وهي ليست بخط المنتحل الذي أشرنا إليه سالفاً وهي تتعلق بالتعليق على (حي الزاهربكة) عندما ذكر قصة بعض العلويين الذين استشهدوا بالزاهر فقال في الهامش : "والزاهر المذكور قال ابن بطوطة في رحلته لما حج سنة سبعمئة وخمسة وعشرين قال : فيه أثر دور وبساتين

وأسواق وعيون ونخيل وفيه عين ماء مجراها من المشرق إلى المغرب بقرب  
الجبل الذي تحته قبر عبد الله بن عمر انتهى باختصار".  
ومن الإضافات أنه علق على فترة ولاية الشريف مسعود بن سعد بن  
زيد الذي توفي سنة ألف ومائة وخمسة وأربعين ١١٤٥هـ (خمسة وستين  
من تصحيح المعلق) فقال: "ومما كان من الحوادث في دولة الشريف مسعود  
أنه نادى على جميع الغربا من جميع الأجناس بالتوجه إلى بلادهم وشدد في  
ذلك وسبب ذلك كثرة الغربا بمكة حتى صاروا يتعاطون بيع الأقوات واستولوا  
على باقي الدفاتر السلطانية من المرتبات فسافر خلق كثير وكان ذلك سنة (١١٤٩هـ)  
" من تاريخ شيخنا أحمد دحلان . [انظر ظهر ص ٢٠٠] .



## الفصل الثالث

### الكتابات التاريخية عن العصر العثماني (بصفة عامة)

تعد الكتابات التاريخية التي كتبها مؤرخو العصر العثماني قليلة إذا ما قورنت بالكتابات الضافية التي وصلتنا عن فترة عصر المماليك (البحرية والجراكسة) ، مما يدل على تأخر الكتابة التاريخية في العصر العثماني ، وذلك على الرغم من وجود مصادرها الأصلية التي سبق أن أشرنا إليها ، فهي من وجهة نظرنا تعتبر فترة مظلومة وليست مظلمة كما يحلو للبعض أن يصفها ، الجبرتي يحاول في مقدمة كتابه (عجائب الآثار) أن يفسر لنا سبب هذا النقص فيقول بعد أن ذكر عدة مراجع تاريخية :

(هذه صارت أسماء من غير مسميات ، فإنا لم نر من ذلك كله إلا بعض أجزاء مدشته بقيت في بعض خزائن كتب الأوقاف بالمدارس مما تداولته أيدي الصحافيين وباعها القومة والمباشرون ونقلت إلى بلاد المغرب والسودان) أي أنها تسربت في نظرة إلى خارج البلاد .

ثم يقول في موضع آخر : (ثم ذهب البقايا في الفتن والحروب وأخذ الفرنسييس ما وجدوا إلى بلادهم ، ولما عزمت على جمع ما كنت سودته وأردت أن أصله بشيء قبله فلم أجد بعد البحث والتفتيش إلا بعض كراريس سودها بعض العامة من الأجناد ركيكة التركيب مختلفة التهذيب والترتيب وقد اعتبرها النقص في مواضع من خلال بعض الوقائع ، وكنت قد ظفرت بتاريخ من تلك الفروع ، ولكنه على نسق في الجملة مطبوع لشخص يقال له أحمد

جلبي عبد الغني مبتدئاً فيه من وقت تملك بني عثمان للديار المصرية ، وينتهي كغيره ممن ذكرناه إلى خمسين ومائة وألف هجرية ، ثم أن هذا الكتاب استعاره بعض الأصحاب وزلت به القدم ووقع في صندوق العدم ومن ذلك الوقت إلى وقتنا هذا لم يتقيد أحد بتقيد ولم يسطر في هذا الشأن شيئاً يفيد ، فرجعنا إلى النقل من أفواه الشيوخ المسنين ، وصكوك دقاتر الكتبة والمباشرين وما انتقش على أحجار ترب المغبورين) .

وفي موضع ثالث يذكر أن السبب يرجع إلى نظرة أهل العصر إلى علم التاريخ وعدم اهتمامهم به وتوفرهم على غيره من المؤلفات فيقول : (نبذه أهل عصرنا وأغفلوه وتركوه وأهملوه وعدوه من شغل الباطلين وقالوا أساطير الأولين)<sup>(١)</sup> .

وبالإضافة إلى الأسباب السالفة التي أشار إليها الجبرتي فإننا نستطيع القول بأن التدهور العام الذي أصاب الحياة الفكرية في العصر العثماني قد ألقى بظله على الكتابة التاريخية بدورها<sup>(٢)</sup> .

ومع ذلك فقد ظهر في مصر في العصر العثماني عدد لا بأس به من المؤرخين الذين ألفوا كتباً في التاريخ العام و تاريخ مصر بصفة خاصة و يأتي في مقدمتهم المؤرخ محمد بن إياس المصري المتوفى سنة ١٥٢٤م (٩٣١هـ) وأحمد بن زنبيل المحلي الرمال المتوفى بعد سنة ١٥٥٢م ومحمد بن أبي السرور البكري الصديقي المتوفى سنة ١٠٨٧هـ ومحمد بن عبد المعطي الإسحاقى من رجال القرن الحادي عشر الهجري (١٧ ميلادي) ،

(١) انظر: عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار ، طبعة المطبعة العامرة الشرقية ، القاهرة سنة ١٣٢٢هـ ، ج ١ ، ص

١١-٩ .

(٢) انظر عرضاً وافياً لخصائص الحياة العلمية في العصر العثماني للدكتور محمد أنيس ، في كتابه : مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني ، من مطبوعات معهد الدراسات العربية القاهرة ، سنة ١٩٦٢م ، ص ١٣-١٨ .

وعبد القادر الأنصاري من رجال القرن العاشر الهجري (١٦م) وعبد الرحمن الجبرتي ذائع الصيت المتوفى سنة ١٢٤٠ (١٨٢٥م) وغيرهم .  
أما (أحمد بن زنبيل المحلي الرمال) فقد كان من الأجناد الذين لم تكن صنعتهم كتابة التاريخ بل تناولوه بدافع الرغبة والهواية وهؤلاء أطلق عليهم الجبرتي لفظ العامة حين قال : (ولم أجد بعد البحث والتفتيش إلا بعض كراريس سودها بعض العامة من الأجناد ركيكة التركيب مختلفة التهذيب والترتيب) .

وقد كتب ابن زنبيل كتاباً في تاريخ الفتح العثماني لمصر سجل فيه حوادث الفتح يوماً بعد يوم سماه (تاريخ أخذ مصر من الجراكسة) ، وله كتاب آخر في التاريخ باللغة التركية وهو يشتمل على حكام مصر العثمانيين في زمنه ، وكتاب ثالث في الجغرافيا أطلق عليه اسم : (تحفة الملوك والرغائب لما في البر والبحر من العجائب والغرائب ) وكلها مازالت مخطوطة حتى الآن .  
**محمد بن إياس المصري :**

محمد بن إياس المصري الحنفي من أصل مملوكي ويعتبر من المؤرخين المخضرمين الذين عاصروا نهاية دولة المماليك وبداية العصر العثماني في مصر ، وقد ولد بالقاهرة سنة ١٤٤٨م وكان جده الأكبر ويدعى أزدمر العمري الناصري الشهير بالخازندار وكان من أمراء الدولة المملوكية البحرية الأولى وتقلد عدة وظائف عامة فيها وكان جده لأبيه واسمه إياس الفخري من ممالك الظاهر برقوق وتولى وظيفة الدواوير الثاني زمن السلطان فرج بن برقوق أما والد بن إياس واسمه شهاب الدين أحمد فكان كما وصفه ابنه من مشاهير الفرقة المملوكية التي ضمت أبناء الأمراء الذين كانوا يحصلون على إقطاعات من الدولة ، وكان محبباً إلى كثير من أمراء الدولة

وأربابها ، وذكر ابن إياس أيضاً أن والده هذا قد عمر نحواً من أربع وثمانين سنة ومات سنة ١٥٠٢م وخلف بنتاً واحدة وصبيان أحدهما محمد بن إياس نفسه وأخيه الجمالي يوسف بن إياس.

ويتضح من ذلك أن ابن إياس نشأ في وسط مملوكي بحت ، وأنه قد اتصل ببعض رجال الدولة المملوكية في عصر قايتباي والغوري بصلة المصاهرة والقرابة وقد حج ابن إياس سنة ١٤٧٧م دون أن تسند إليه وظيفة معينة في المركب المصري وشهد ما لقي الحجاج من عنت في تلك السنة وغلاء وفناء بمكة ، ووصف لنا ما حدث في موسم الحج في تلك السنة وصفاً دقيقاً يعطينا فكرة عما كان يقع بين السلطات المملوكية وبعض ذوات الحجاز وأمرائه .

وتمتع ابن إياس في معظم حياته بإقطاع وافر من الدولة ، فعاش عيشة راضية مكنته من التوفر على الكتابة والتأليف في التاريخ وكان بجانب اشتغاله بتسجيل الحوليات التاريخية يعالج نظم الشعر والزجل والمواويل والموشحات والمزدوجات في مناسبات شتى ، على أن منظومات ابن إياس لا ترقى إلى درجة الإجداد وكلها تدور حول مدح أو رثاء لبعض الأمراء والسلاطين ، ومنها ما هو تهنئة بالشفاء من مرض أو نجاة من محنة لعين من أعيان الدولة ومنها ما هو نقد أو تعقيب على بعض الأعمال الحكومية ويذهب البعض إلى أن هذه المنظومات التي كانت تدور حول رجال الدولة تعتبر من القرائن على أن ابن إياس تولى وظيفة مؤرخ الدولة ( Historiographer ) في الحكومة المملوكية ، وذلك على الرغم من أن ابن إياس لم يذكر لنا شيئاً من هذا القبيل في كتبه برغم أن وظيفة بهذا الاسم لم تعرف في نظام الممالك ، ويبدو أنه غدا من رجال الأدب المشغوفين بالعيش على هامش الحاشية السلطانية المتصلين ببعض رجالها كابيه من قبل وأنه

اعتماد على نظم الشعر حباً للشهرة كلما واتته الفرصة ، وعلى كل حال فالواضح من أشعاره وأزجاله هذه والمناسبات التي قيلت فيها أنه عاش فرداً متنبعاً عن كتب حوادث المجتمع الذي عاش فيه ، وليس ذلك بصفة مؤرخاً معيناً بتدوين الحوادث والأخبار فحسب بل لأنه كان رجلاً يعيش عصره بكل ما فيه في دولة بدت عليها أعراض الاحتضار والاحلال ، وربما كان أوضح دليل على هذه الحساسية الخاصة بأحداث عصره قصيدته التي نظمها بصدد ضرائب المشاهدة التي ألغاهها السلطان الغوري أواخر أيامه ومرثيته التي قالها في وقعة الفتح العثماني لمصر .

وفي سنة ١٥٠٨م جرد السلطان الغوري كثيراً من الأمراء والأعيان ومنهم ابن إياس من اقطاعاتهم للصرف على شئون الدولة وذلك عندما نزلت الضائقة الاقتصادية بمصر بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح ، وتسببت هذه الإجراءات الاقتصادية في تعزيز صفو الحياة على ابن إياس إلى حين ، وعندما شكى ابن إياس سوء حالته إلى السلطان الغوري في سنة ١٥١٠م استجاب له ورد عليه اقطاعاته ومدحه ابن إياس من أجل ذلك بقصيدة طويلة من نظمه المعتاد .

### مؤلفات ابن إياس :

أهم مؤلفات ابن إياس على الإطلاق كتابه الكبير في تاريخ مصر المسمى (بدائع الزهور في وقائع الدهور) وهو كتاب شامل لتاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى أوائل العصر العثماني ووقف فيه ابن إياس إلى نهاية عام ٩٢٨هـ/١٥٢١م ، وهذا الكتاب هو الذي استحق به ابن إياس مركز الزعامة بين معاصريه من المؤرخين في مصر في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وأوائل القرن السادس عشر .

وابن إياس ينتمي في نظر مؤرخي العصر المملوكي أكثر من انتمائه إلى العصر العثماني ولذلك وضعه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة في عداد مؤرخي القرن الخامس عشر على الرغم من أنه مات في سنة ١٥٢٤م (٩٣١هـ) أي بعد الفتح العثماني بثماني سنوات شاهد فيها الفتح العثماني والتنظيمات العثمانية الأولى في مصر وأرخ لها (٣) .

ومن مؤلفات ابن إياس في التاريخ كتاب : (عقود الجمان في وقائع الأزمان) وهو مختصر مستقل لتاريخ مصر وليست له أية علاقة بكتابه الكبير ، ثم كتاب : (نزهة الأُمم في العجائب والحكم) وهو مؤلف صغير في تاريخ العالم ، وكتاب (مرج الزهور في وقائع الدهور) وهو مؤلف شعبي في قصص الأنبياء والرسل ، ويذهب البعض إلى أن هذا الكتاب الأخير ربما كان لغير ابن إياس من المؤرخين وذلك على الرغم من إشارته هو لبعض محتوياته في الجزء الأول من كتابه الكبير بدائع الزهور ، وله أيضاً كتاب : (تشق الأثرار في عجائب الأقطار) وهو كتاب في الفلك والهيئة وتركيب الكون وآثار مصر الفرعونية وملوكها .

على أن شهرة ابن إياس تستند كلية إلى كتابه الأول في التاريخ (بدائع الزهور في وقائع الدهور) فقد سار به ابن إياس عمدة المؤرخين في أحوال دولة المماليك وأخبارها مدة الطور الأخير من حياتها كما هو أيضاً المرجع الرئيسي لحوادث الفتح العثماني لمصر .

وأحدث طبعة لابن إياس هي الطبعة التي نشرتها جمعية المستشرقين الألمانية بتحقيق محمد مصطفى في خمسة أجزاء طبعت بالقاهرة بدار إحياء

(٣) يمكن الرجوع في دراسة ابن إياس إلى ما كتبه الدكتور محمد مصطفى زيادة في كتابه (المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي) وإلى ما كتبه المؤرخ البريطاني مارجولوث في كتابه محاضرات في المؤرخين العرب :

الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) ظهر الجزء الرابع منها سنة ١٩٦٠ والخامس سنة ١٩٦١م والثالث سنة ١٩٦٣م إلى أن طبع الجزء الأول وهو الأخير في الطباعة سنة ١٩٧٥م .

وقد عالج ابن إياس الفتح العثماني في هذا الكتاب ولم يكن من المؤيدين للسلالة الجدد ولذلك تلمس في حديثه عن الفتح العثماني وسياسية العثمانية في مصر الكثير من التحقير والنقد اللاذع غير أن أمانته العلمية ودقته فوق مستوى الشبهات فهو لا يزال المرجع الأول حول فترة الفتح العثماني .

والواقع أن ابن إياس كان على جانب كبير من القدرة في النقد فلم يقف عند سرد الحوادث والوقائع والوفيات على وتيرة أغلب السالفين من كتاب التاريخ بل وقف بين الحادثة والأخرى يشرح ويحلل ويعقب ويفلسف على شيء من القسوة في الحكم والجراة في التقدير والمغلاة نوعاً ما في التصوير .

ويتضمن هذا الكتاب أخبار مصر منذ أقدم العصور وما ورد عنها في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة ، وأقوال العلماء والشعراء في أخبارهم والتقسيم الجغرافي في البلاد ويعطي فكرة عن أعمال الديار المصرية وكورها ويذكر من دخل مصر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن كان بمصر من الحكماء في أول الدهر ، ومن دخلها من الصحابة والتابعين .

ثم يتحدث بأسلوب العاشق عن فضائل مصر وما خصت به من المحاسن دون غيرها من البلاد ثم يتناول أخلاق أهل مصر وطبائعهم وأمزجتهم وما أشبه ذلك ، وما قاله الشعراء في وصف مصر ونيلها ويذكر من ملك مصر في أول الزمان ومن ملكها من الفراعنة ، ثم يتحدث عن الأقباط بمصر وبعد ذلك يعد وسريعاً إلى تاريخ دخول الإسلام بمصر وفتحها على يد

عمرو ابن العاص سنة ٢١هـ ويتناول في سرعة ذكر أخبار مصر في عصر الولاة من قبل الخلفاء الراشدين والأمويين ، ثم العباسيين ، والدولة الطولونية والأخشيدية والفاطمية والأيوبيّة ودولة المماليك الأولى حتى يأتي إلى الفترة التاريخية التي عاصرها من تاريخ الدولة المملوكية الثانية وذلك ابتداء من الجزء الثالث من هذا الكتاب ابتداء من سلطنة الأشرف قايتباي (٨٧٢هـ) وذلك حتى سنة ٩٢٨هـ ، وهذه الفترة (سنة ٨٧٢هـ - سنة ٩٢٨هـ) تعتبر أهم ما كتبه ابن إياس ذلك لأنه عاصرها وعاشها وكتب عنها بملاحظته الشخصية لأحداث عصره أما ما ورد في الجزء الأول والثاني من الكتاب فقد نقله من المؤرخين السابقين له كالطبري وابن عبد الحكم وابن الأثير والمسعودي والمقرئزي وغيرهم .

ولذلك فالمعول لدى الباحثين على الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتاب ابن إياس. وقد ارتفع ابن إياس في هذا الجزء لدرجة المؤرخين المجيدين ولذا ميزة مارجوليوث عن جمهرة المؤرخين المسلمين في مصر وغيرها بقوله : (إن أسلوبه في الكتابة والتأليف وعظمه في التفكير ينم كل منها عن فردية واستقلال في الرأي قل أن يدانيه فيه معظم المؤرخين .

أما عن أسلوبه فهو أسلوب شعبي دارج ويقع في كثير من الأخطاء اللغوية الظاهرة ويستعمل الألفاظ العامية كما ينطقها أبناء الأحياء الشعبية من السوق والحرافيق ولذلك يقع ابن إياس عرضة للنقد الموجه نحو هذا الأسلوب وخاصة من الباحثين في المحال الأدبي لأن الأديب تأسره الألفاظ الأدبية الرنانة ، بيد أن المؤرخ لا ينظر إلي كتابات ابن إياس من ناحية رونق الأسلوب وبلاغته وإنما من ناحية الأخبار وصدقها وطريقة عرضها ومعايشة المؤرخ لها ، بصرف النظر عما فيها من أخطاء فالرواية التاريخية أهم شئ فيها الصديق بغض النظر عن الأسلوب الذي صيغت به ، فالاستفادة منها كاملة في



أي أسلوب وضعت ، والمؤرخ الأمين (كابن إياس) أشبه شيء بالمصور المبدع الذي ينقل صوراً كاملة عن المجتمع بكل ما فيه من عيوب ، فكتابات ابن إياس صورة صادقة لعصره وهي من هذه الزاوية تعتبر مجالاً لدراسة اللغة العربية وتطورها .

أما عن أخلاق ابن إياس فلا سبيل لمعرفة ما اشتهر به من صفات عند معاصريه لندرة ما كتب عنه في كتب المعاصرين له ، على أن كتبه التي ألفها وملاحظاته التي أودعها إياها عن نفسه وحوادث عصره ورجاله تدل على الكثير من كنة شخصيته الكبيرة ، فضخامة مؤلفاته برهان على أنه ظل طول حياته مجداً في الكتابة ، وقسوته في الحكم على الناس تخبر بعلو مستواه الخلقى ، وتناوله الحكم العثماني في مصر بالنقد والسخرية أحياناً لإهمال رجاله مصالح المصريين ، يعطيه مكانة سامية بين مفكري عصره إذا علمنا مبلغ ما أحاط السيادة العثمانية في القاهرة من رهبة وخشية .

غير أن ابن إياس يقف عند بداية العصر العثماني لذلك لتصور كتاباته تحول المجتمع المصري من العصر المملوكي إلى العصر العثماني ، والواقع أن المراجع فقيرة في هذه الناحية .

### محمد بن أبي السرور البكري :

هو من علماء القرن الحادي عشر الهجري (١٧ ميلادي) وقد نشأ في بيئة علمية ذات ثراء واسعة النفوذ مكنته من أن يكون أكثر إماماً بأحداث عصره من معاصريه وكان والده من كبار علماء الأزهر ولقبه ابنه (أبو السرور) بشيخ الإسلام وكان عميداً لأسرة البكري المعروفة بمصر والتي

تنتسب إلى أبي بكر الصديق <sup>(٤)</sup> وله أربعة كتب تاريخية مازالت مخطوطة هي

:

- ١- الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة ، وفيه يؤرخ لولاية مصر وقضاة العسكر في العصر العثماني إلى سنة ١٠٥٤هـ .
  - ٢- عيون الأخبار ونزهة الأبصار ، وهو تاريخ مختصر لمصر والدول التي تعاقبت عليها إلى آخر عصر المماليك الجراكسة .
  - ٣- المنح الرحمانية في الدولة العثمانية ، وفيه يؤرخ السلاطين آل عثمان وينتهي إلى سنة ١٠٢٩هـ .
  - ٤- النزهة الزهية في ذكر ولاية مصر والقاهرة المعزية ، وهو بحث مختصر في ذكر خلفاء وملوك مصر ونوابهم منذ أقدم العصور إلى دولة السلطان مراد ابن السلطان أحمد في سنة ١٠٤٢هـ ختمه بحديث عن خصائص مصر وعجائبها .
- له بحث خامس منشور <sup>(٥)</sup> تحت عنوان : كشف الكربة في رفع الطلبة يتحدث فيه عن الصراع الذي نشب منذ الربع الأخير من القرن السادس عشر بين جند الحامية العثمانية من جانب و الباشوات العثمانيين من جانب آخر ، يوضح فيه أسباب هذا الصراع وتأثيره على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر من ناحية وعلي الحكم العثماني نفسه من ناحية أخرى .

### محمد بن عبد المعطي الإسحاقى :

هو محمد بن عبد المعطي بن أبي الفتح بن أحمد بن عبد الغنى بن علي الإسحاقى المنوفى الشافعى ، وهو من رجال القرن الحادى عشر الهجرى

(٤) انظر بحثاً وافياً عن (بيت الصديق) محمد توفيق البكري ، مطبوع بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ .

(٥) انظر: د. عبد الرحيم عبد الرحمن ، دراسات في مصادر تاريخ مصر في العصر العثماني (تحقيق وتقديم كتاب كشف الكربة في رفع الطلبة) منشور في مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، المجلد الثالث والعشرون سنة ١٩٧٦م .

(١٧م) وقد ترجم له المحيي في كتابه (خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر) فقال عنه : " أنه كان قاضياً عالماً ومؤرخاً كثير النظام صحيح الفكرة ، وله تاريخ لطيف ، ورسائل كثيرة ، قرأ ببلده علي شيوخ كثيرين وكان يتردد علي مصر (القاهرة) وأخذ بها عن أكابر علمائها ، وتوفي في نيف وستين وألف ببلده منوف كتابه التاريخي الذي سماه : " لطائف أخبار الأول في من تصرف في مصر من أرباب الدول ) ويعرف بتاريخ الإسحاقى .

وقد قسم الإسحاقى كتابه هذا إلي مقدمة عن فضائل مصر وذكرها في كتاب الله تعالى وما ورد عنها من أحاديث وعشرة أبواب في تاريخ مصر منذ عصر الخلفاء الراشدين حتى سنة ١٠٣٣ هـ ، وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة طبعاات مختلفة في السنوات : ١٢٧٦ هـ ، ١٢٩٦ ، ١٣٠٠ هـ . ويمتاز كتاب الإسحاقى بالمعلومات الاقتصادية الوفيرة ، فهو يتناول أسعار السلع في كثير من مواطن كتابه مما يضيف علي كتابه أهمية خاصة في التاريخ الاقتصادي ، وبه معلومات قيمة عن أوقاف الحرمين الشريفين،والصرة الشريفة لأهالي الحرمين الشريفين وعن قافلة الحج المصرية .

### حسين أفندي الروزنامجى :

هو مؤرخ النظم المصرية في العصر العثماني وكان من رجال الروزنامة (الإدارة المالية ) في مصر أبان الحملة الفرنسية علي مصر ، وابان حوادث الحملة (١٢١٣ - ١٢١٦ هـ - ١٧٩٨ - ١٨٠١ م) اهتم الفرنسيون بمعرفة طرق حكم الديار المصرية ونظام أرضها وكيفية جباية أموالها ، ولقي الفرنسيون عناء شديداً تجاه جمع المعلومات المطلوبة ، وذلك لفرار الباشا والروزنامجى واستعان مدير المالية الفرنسى استيف (Esteve) برجل من

رجال الروزنامة في مصر وهو حسين أفندي الروزنامجي فأجابه على الأسئلة التي وجهها إليه ، ونظم حسين أفندي إجاباته في ستة عشر باباً ، وكان هذا بتاريخ ١٣ من المحرم سنة ١٢١٦هـ (أواخر مايو سنة ١٨٠١م) أي قرب انتهاء العهد الفرنسي ، وتقع هذه الأبواب في خمس وسبعين صفحة في مجلد مخطوط بقلم معتاد محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٥٢ تاريخ بعنوان : (ترتيب السديار المصرية في عهد الدولة العثمانية) وقد نشرها المرحوم المؤرخ شفيق غربال وعلق عليها في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة في المجلد الرابع - الجزء الأول - مايو سنة ١٩٣٦م .

وفي هذا المخطوط تعريف بمصر العثمانية ونظامها وأمرائها وصنائجها والأوجاقات السبعة وأسماؤها ، والتعريف برجال القضاء في مصر العثمانية وأفندية الروزنامة وخدمتهم والأقاليم المصرية والتعريف بالتزام الملتزمين والأراضي المصرية وضبط أطيائها إضافة من المخطوط .... إلخ ، وغير ذلك من الموضوعات الخاصة بالنظم المصرية في العصر العثماني . والذي يكتب في تاريخ النظم المصرية في العصر العثماني لا بد له من الرجوع إلى هذا الكتاب الهام .

عبد القادر الأنصاري الجزري :

هو من رجال القرن العاشر الهجري (١٦م) قضى معظم حياته موظفاً في إدارة الحج بالقاهرة ، وصحب قافلة الحج من مصر إلى الحجاز عدة أعوام ، وقد مكنته وظيفته من تأليف كتاب حول طريق الحج ومناسك الحج بعنوان : (درر الفوائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مكة المعظمة) وهو عبارة عن مذكرات شخصية كتبها الجزري عن تجاربه في وظيفة ضمنها معلومات قيمة عن أخبار الحج ومنازله وكيفية الرحيل والنزول والإقامة ، وأرخ فيه لمن حج بالناس من الخلفاء والصحابه والأمراء والأعيان من مختلف القاع والأماكن ،

كما شرح مناسك الحج على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ورتب الحوادث فيه على السنين الهجرية<sup>(٦)</sup>.

وتوجد من هذا الكتاب نسخة في المكتبة الأزهرية تحت رقم ٢٨٤٤ تاريخ وهي بخط المؤلف ، ومنه نسخة ناقصة في دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وأخرى في المكتبة التيمورية<sup>(٧)</sup>.

### أحمد الدمرداش (كتخدا غربان) :

من مؤرخي الأجناد ، ومن الواضح من لقبه أنه كان يتولى منصب الكتخدانية بأوجاق غربان (وكيل رئيس الأوجاق) وهو يأتي بعد منصب الأغا قائد الأوجاق كما كان أوجاق غربان يأتي في المرتبة التالية لأوجاق الاتكشارية . وقد ألف الدمرداش كتاباً سماه : (الدرة المصانة في أخبار الكنانة) وهو مخطوطة ضخمة في جزئين بالمتحف البريطاني بلندن .

ويتناول كتاب الدمرداش تاريخ مصر السياسي من سنة ١٠٩٩هـ حتى سنة ١١٦٩هـ ويبدو أن الدمرداش توفي بعد هذا التاريخ لأنه ذكر في آخر مؤلفه ما يلي: (هذا وقد نهيت تاريخي على ذلك وإن أعطاني الله عمراً زدته مما أراه عياناً) ، ومن هنا يعتبر كتاب الدمرداش مكمل لكتاب الجبرتي (عجائب الآثار) لأن الجبرتي بدأ يكتب بدقة وإفاضة منذ عام ١١٩٠هـ ، وتأتي أهمية كتاب الدمرداش من ناحية أن الفترة التي تناولها بالتاريخ كان معاصراً لأحداثها بل اشترك فيها ولذلك تتميز كتاباته بالإدراك العميق للنزعات المملوكية العثمانية في تلك الفترة في صراعها على السلطة.

(٦) انظر : د. جمال الدين الشيال ، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاسع عشر ، القاهرة سنة ١٩٥٨ م ، ص ٦

- ٧ -

(٧) أقوم الآن بدراسة حول هذا المخطوط .

وبالكتاب مجموعة من المصطلحات التاريخية بالعصر العثماني في مجال الإدارة والجيش والمالية . ويتناول التركيب الطائفي للمجتمع ، وهو مجال للدراسات الاقتصادية حيث يكثر فيه الدمرداش من ذكر الأسعار ارتفاعاً وانخفاضاً ، كما يقدم صورة واضحة من الحياة الاجتماعية بما فيها من عادات وتقاليد وطنية ودينية (٨) .

وقسم الدكتور محمد أنيس مدرسة التاريخ المصري في العصر العثماني إلى ثلاثة أقسام أو مدارس :

أولاً : مدرسة المؤرخين العلماء المتأثرة بمدرسة التاريخ الإسلام ي كابن إبّاس وأحمد شلبي عبد الغني والإسحافي وابن أبي السرور البكري وعبد الرحمن الجبرتي وعبد الله الشرقاوي .

ثانياً : مدرسة التراجم ، ومنهم العيني في القرن العاشر والمحيبي والزبيدي والجبرتي في القرنين الحادي عشر والثاني عشر .

ثالثاً : مدرسة الأجناد : وهي التي اهتمت بصفة خاصة بحوادث الحروب والفتن بين الحاميات العثمانية التي ملأت هذا العصر ، وهي تبعد كثيراً عن مدرسة العلماء في فهمها للتاريخ فهي تكتب بدون خطة للبحث وبأسلوب شعبي دارج ويمثلهم ابن زنبيل الرمال والدمرداش ومصطفى بن الحاج إبراهيم في القرن الحادي عشر (٩) .

### المراجع الأجنبية :

بجانب ما تقدم من مراجع عربية هناك أيضاً كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا مصر في فترة العصر العثماني والمستشرقين الذين تناولوا تاريخ

(٨) انظر : د. محمد أنيس ، مرجع سبق ذكره ، ص ٥٥-٥٧ .

(٩) المرجع السابق ، ص ١٨ .

مصر في أبحاثهم ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر الرحالة الفرنسي فولني .

هو قسطنطين فرانسو فولني (١٧٥٧-١٨٢٠)

#### Constantin Francois Volney

وقد استطاع فولني بفضل ثروته وحبه للإطلاع والبحث أن يسافر إلى مصر وبلاد الشام وقضى بها ثلاثة أعوام من ١٧٨٣ حتى ١٧٨٥ ، وقد مكث معظم هذه الفترة في بلاد الشام بسبب اضطراب أحوال مصر العامة ولم يزر من المدن المصرية سوى القاهرة والإسكندرية ورشيد والسويس ونشر رحلته عام ١٧٨٧م تحت عنوان:

#### “Voyage en Syrie et en Egypte”

وتعتبر رحلته من أدق كتابات الرحالة الأوروبيين عن مصر في القرن الثامن عشر ونشرت في بيروت سنة ١٩٤٩م تحت عنوان (ثلاثة أعوام في مصر وبر الشام) .

وكتب الأستاذان : (هاملتون جب H. Gibb) و (هارولد بوون Harold Bowen) كتابهما القيم (المجتمع الإسلام ي في القرن الثامن عشر) وهي دراسة أكاديمية تعتمد على الوثائق العربية والتركية والأوروبية أتمها المؤلفان ونشرت في لندن عام ١٩٥٠م ، وتوضح هذه الدراسة في ستة فصول نظام الدولة العثمانية وعلاقتها بالشرعية الإسلام ية والخلافة الإسلام ية والهيئة الحاكمة بها ، والإدارة في الولايات العربية ، والفلاحون وحيازة الأراضي والزراعة ، والمدينة والصناعة والتجارة .

وقد ترجم هذا المؤلف إلى العربية الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى وراجعته الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ونشرته دار المعارف بمصر عام

١٩٧١م في مجلدين تحت عنوان (المجتمع الإسلام ي والغرب) وبه توضيح لكثير من المصطلحات التركية .

ومن المراجع الأجنبية الهامة عن فترة الحكم العثماني وعصر الحملة الفرنسية تلك الموسوعة الكبيرة التي كتبها علماء الحملة تحت عنوان : (وصف مصر) *Description de l'egypte* وعلى الرغم من قيمة هذا الكتاب إلا أنه مازال باللغة الفرنسية ولم يترجم إلى الآن ، وتوجد الطبعة الثانية منه في حوزة دار الكتب المصرية في ٢٦ جزءاً .

وقد طبع هذا السفر الذي اسمى بحق انسكلوبيديا مصرية مرتين : الأولى : وقد استغرق العمل فيها من ١٨٠٩ إلى ١٨٢٢ وظهرت في تسعة مجلدات ضخمة في تاريخ مصر منذ أقدم العصور حتى عصر الحملة الفرنسية. أما الطبعة الثانية : فهي في ٢٦ جزء بالإضافة إلى ١١ مجلدًا للوحات وهو جدير بالذكر أن محتويات المجلدات ٢٦ هي نفسها محتويات المجلدات ال ٩ في الطبعة الأولى ، وغاية ما في الطبعة الثانية أنها وزعت على مجلدات أصغر حجماً من الطبعة الأولى ، وقد بدأ العمل في هذه الطبعة من عام ١٨٢١ وانتهى في عام ١٨٢٩ .

وللمرحوم الأستاذ ( زهير الشايب ) جهود صادقة في مجال تعريف قراء العربية بمحتويات هذه الموسوعة الضخمة فقد قام بمجهود فردي لترجمة بعض محتوياتها نشر بعضها في مجلة الثقافة ، ونشر منها قبل وفاته سنة ١٩٨٢ م الأعداد التالية :

١- المجلد الأول : دراسة في عادات وتقاليده سكان مصر

المحدثين ، تأليف دي شابرون من علماء الحملة الفرنسية ، القاهرة ١٩٧٦م ، مطبعة الجملاوي / القاهرة .



- ٢- المجلد الثاني : العرب في ريف مصر وصحراواتها ، تأليف  
نخبة من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجي ،  
القاهرة ١٩٧٨ م .
- ٣- المجلد الثالث : المدن والأقاليم المصرية ، تأليف نخبة من  
علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٨ م .
- ٤- المجلد الرابع : الحياة الاقتصادية في القرن الثامن عشر -  
الجزء الأول ( الزراعة - الصناعات والحرف - التجارة )  
تأليف نخبة من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجي ،  
القاهرة ١٩٧٨ م .
- ٥- المجلد الخامس : الحياة الاقتصادية في مصر في القرن  
الثامن عشر - الجزء الثاني ( النظام المالي والإداري في  
مصر العثمانية ) تأليف نخبة من علماء الحملة الفرنسية ،  
مكتبة الخانجي ، القاهرة ١٩٧٩ م .
- ٦- المجلد السادس : الحياة الاقتصادية في مصر في القرن  
الثامن عشر - الجزء الثالث ( الموازين والنقود ) تأليف  
صمويل برنار من علماء الحملة الفرنسية ، مكتبة الخانجي  
، القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٧- المجلد السابع : الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين ،  
تأليف فيوتو ، من علماء الحملة ، مكتبة الخانجي ،  
القاهرة ١٩٨١ م .

## إدوارد ولیم لین :

يعتبر المستشرق الإنجليزي إدوارد ولیم لین أعظم وأشهر مستشرق إنجليزي وقد زار مصر ثلاث مرات ، الأولى من ١٨٢٥-١٨٢٨م والثانية من ١٨٣٣-١٨٣٥ والثالثة من ١٨٤٢-١٨٤٩م ، وتظاهر باعتناق الإسلام وتسمى باسم منصور ، وعاش بحي السيدة زينب ودرس بالأزهر على طائفة من علمائه وبرع في العربية ، وترجم كتاب (ألف ليلة وليلة) إلى الإنجليزية ثم أصدر قاموسه الشهير في العربية والإنجليزية ، ووضع عدة كتب عن مصر أشهرها كتابه المعروف (عادات المصريين المحدثين وشمائلهم) :

### Manners and Customs of the Modern Egyptians

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية الأستاذ عدلي طاهر نور عام ١٩٥٠م في ترجمة موجزة حذف منها بعض فصول الأصل الإنجليزي ، ثم ترجمه مرة أخرى ترجمة وافية لكل محتويات الأصل الإنجليزي ، ونشر بالقاهرة سنة ١٩٧٥م ، نشر دار النشر للجامعات المصرية ، وذلك تحت عنوان :

(المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم في القرن التاسع عشر) ثم نشر الأستاذ عدلي طاهر نور أيضاً كتاباً عن ترجمة حياة إدوارد ولیم لین و أعماله وفترة إقامته بمصر بعنوان (المستشرق الكبير إدوارد ولیم لین) ونشر في نفس الدار السالفة سنة ١٩٧٣م.

وقد تناول إدوارد ولیم لین في كتابه السالف عادات المصريين وملابسهم ونظام الأسرة والحياة المنزلية ، وعادات المجتمع العامة ، واللغة والآداب والعلوم والخرافات السائدة على أيامه والسحر والتنجيم وأثر هذه الأشياء في الناس من وجهة نظره ، ثم تناول الصناعات والألعاب والموسيقى والرقص وغيرها وتناول الأعياد الدينية والوطنية ، والوفاة والطقوس

الجنائزية وغيرها من الأمور التي لاحظها ووصفها بدقة وحللها وعلق عليها من وجهة نظره .

وتعتبر كتابات لسين مكملة لكتابات الجبرتي حيث أن لين كانت له ملاحظاته على بعض العادات والتقاليد التي لا تلفت نظر الجبرتي لتكرارها في الحياة المصرية ، بيد أنها تلفت نظر الأجنبي فيسجلها ، ومن ثم يجد القارئ في كتاب لين وغيره من الكتب الأجنبية ما لا يجده في المؤلفات العربية ، ولذلك فكتابات الرحالة الأجانب تعتبر مكملة للكتابات العربية في هذه الناحية ، مع ملاحظة أنه يجب على القارئ لكتب الرحالة الأجانب أن يأخذ بحذر كل ما يتعلق بتفسيرهم وتحليلهم للظواهر الاجتماعية فغالبية آرائهم في هذا المجال تعتبر من وجهة نظرهم فقط وقد تصيب أحياناً وتخطئ أحياناً كثيرة . وفيما يلي نص بحث بعنوان : مصر في نظر المستشرق الإنجليزي إدوارد ولين لين ، قدمته في ندوة عقدت بجامعة الأزهر بعنوان : مصر في الآداب العالمية .

### مصر في نظر المستشرق الإنجليزي " إدوارد ولين لين " :

يعتبر المستشرق الإنجليزي "إدوارد ولين لين" أعظم وأشهر مستشرق

إنجليزي ، وقد زار مصر ثلاث مرات:

الأولى : من ١٨٢٥-١٨٢٨م

والثانية : من ١٨٣٣-١٨٣٥م

والثالثة : من ١٨٤٢-١٨٤٩م .

وتظاهر بالإسلام وتسمى باسم : (منصور) ، وعاش بحي السيدة

زينب ودرس بالأزهر على طائفة من علمائه وبرع في العربية ، وترجم كتاب

( ألف ليلة وليلة ) إلى الإنجليزية ، ثم أصدر قاموسه الشهير في العربية والإنجليزية ، ووضع عدة كتب عن مصر أشهرها كتابه عن ( وصف مصر )  
 Description of Egypt في ثلاثة مجلدات مازالت مخطوطة وكتابته  
 الشهير ( عادات المصريين المحدثين وشمائلهم ) Manners and Castoms  
 of the Modern Egyptians طبع سنة ١٨٣٦ م .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية الأستاذ عدلي طاهر نور عام ١٩٥٠م  
 في ترجمة موجزة حذف منها بعض فصول الأصل الإنجليزي ، ثم ترجمه مرة  
 أخرى ترجمة وافية لكل محتويات الأصل الإنجليزي ، ونشر بالقاهرة سنة  
 ١٩٧٥م بدار النشر للجامعات المصرية وذلك تحت عنوان : " المصريون  
 المحدثون شمائلهم وعاداتهم في القرن التاسع عشر " .

ثم نشر الأستاذ عدلي طاهر كتابا عن حياة المستشرق إدوارد وليم لين  
 وأعماله وفترة إقامته في مصر بعنوان : " المستشرق الكبير إدوارد وليم لين  
 " ونشر أيضا في دار النشر للجامعات المصرية بالقاهرة سنة ١٩٧٣ م .

وقد تناول إدوارد وليم لين في كتابه السالف عادات المصريين  
 وملابسهم ونظام الأسرة والحياة المنزلية ، والعادات العامة في المجتمع ،  
 واللغة والآداب والعنوم ومجتمع العلماء بالأزهر ، والخرافات السائدة على  
 أيامه والسحر والتنجيم وأثر هذه الأشياء في الناس من وجهة نظره ، ثم  
 تناول الصناعات والألعاب والموسيقى والرقص وغيرها ، وتناول الأعياد  
 الدينية والوطنية ، والطقوس الجنائزية في الوفيات وغيرها من الأمور التي  
 لاحظها ووصفها بدقة وحللها وعلق عليها من وجهة نظره . وسنتناول هذه  
 الملاحظات التي أبدأها "لين" عن الشعب المصري ومجتمع علماء الأزهر ونبذه  
 عن حياته فيما يلي :

## من هو إدوارد ولیم لین ؟

ولد إدوارد ولیم لین في ١٧ من سبتمبر ١٨٠١م بمدينة (هرفورد) التي تقع غربي لندن على بعد ١٦٦ ميلا بطريق القطار ، وينتمي إلى عائلة متوسطة ، فأبوه يدعى تيو فيلس لین Theophilus lane كان حاصلا على درجة الدكتوراه في الدراسات القانونية ، وكان قسيسا لبعض الكنائس يتناول مرتبا منها وتوفى والده وهو في الثالثة عشرة من عمره في سنة ١٨١٤م .

أما والدته فهي ( صوفيا جاردنر Sophia Gardiner ) تنسب إلى خالها الرسام الشهير توماس جنسبوره Thomas Gainsborough ( ١٧٢٧-١٧٨٨م) وأنها قضت فترة طويلة من طفولتها في مرسوم خالها وأنها عملت على تنمية الذوق الفني لذلك في ابنها لین .<sup>(١)</sup>

وكان لعمل والده في مهنة قسيس أثر في تربيته على المبادئ الدينية . وقد التحق لین بعد وفاة والده بمدارس مخصصة لدراسة أصول اللغة اللاتينية واليونانية ، وأقبل على العلم ولزمه منذ البداية ، وحقق في الأدبين الاغريقي والروماني وألم باللغات السامية والرياضيات .

وكان لین يعد نفسه للحصول على شهادة "جامعة كمبردج" ثم يسلك الكهنوت مع أبيه وكان ينتمي إلى الكنيسة البروتستانتية ، وطبقا لنشأته الدينية وتوجيه والدته التي تولت امر تربيته بعد وفاة أبيه ، وتركت في نفسه أثرا دينيا عميقا وقوة خلقية ساطعة . لكنه بعد فترة تخلى عن فكرة الالتحاق بـ"كمبردج" عندما عرف أن مستواها العلمي دون طموحه ، وأهمل بالتبالي فكرة الانتماء إلى الكنيسة .

(١) عدلي طاهر نور ، المستشرق الكبير إدوارد ولیم لین ، القاهرة سنة ١٩٧٣ ص ٢١ .

واشتغل مع أخيه "ريتشارد" في مهنة الرسم بالحفر في لندن في فن الطباعة واكتسب منها مهارة فن الرسم الذي أجاده عندما أخرج أدق الرسومات التي أوضح بها نصوص كتابيه: "المصريون المحدثون" و "وصف مصر" واتضح ولعه بالشرق وعلى الأخص مصر فبدأ يقرأ عنها فيما كتبه الرحالة ، وعلى الأخص رحلات "سافاري" .

وأخذ يدرس اللغة العربية قبل سفره إلى مصر ، ورحل إلى مصر سنة ١٨٢٥م وهو يعلم عنها ما يكفي ، وكان يتشوق إلى شمس الشرق لعله لازمته في لندن حيث أصيب بالتهاب رئوي مزمن بسبب حمى تيفودية ولذلك كان جسده هزيلا ضعيفا لا يقوى على العمل الشاق بسبب قسوة برد الشتاء في لندن ، ويحس بافتقاره إلى شمس الشرق .

وعرف لين أن العقبة التي تعترض أي رحلة أجنبي إلى الشعوب الإسلامية هي أن هذه الشعوب تنظر إلى أصحاب العقائد الأخرى نظرة عدائية فرأى أنه لكي ينجح في رحلته أن يتقدم إليهم في صورة مسلم وهذا الأمر لا يكلفه شيئا لأنه كان قد تعلم اللغة العربية ويحفظ بعض آيات القرآن الكريم ثم قرر أن يرتدى الملابس الشرقية وأن يحافظ على التقاليد الإسلامية ، وأخيرا عليه أن يتخذ اسما إسلاميا فسمى نفسه (منصوراً) وبذلك أصبح الذي يراه لا يشك في أنه شرقي بسبب هذا التخفي .

وكان هذا الأسلوب من التخفي شائعا بين كبار رحلة القرن الثامن عشر والتاسع عشر فالسير (ريتشارد بورتو) حج إلى مكة في ثياب درويش فارسي .

والأسباني (جفيرا) طاف بالمغرب على أنه مسلم ارتد عن المسيحية وأتخذ اسم القائد إسماعيل .

والفرنسي (رينيه كيليه) رحل إلى تمبوكتوا في صورة مسلم شرقي  
انفصل عن والديه منذ الطفولة .

والدكتور (لينز) أشقر الشعر ، ويجهل العربية تماماً ذهب من طنجة  
إلى تمبوكتوا متخفياً وراء مظهر طبيب عثماني وهكذا .

والأسباني (دومنجو باديا) قبل أن يذهب إلى رحلة له في إفريقيا ذهب  
إلى لندن حيث اختتن عند طبيب يهودي وحصل على الوسائل التي سوف  
يحتاج إليها في رحلته ، واستقر رأيه على أن يحمل اسم (على بك عبد الله)  
واستقر أخيراً على أن يصبح (على بك العباسي) وفي طنجة قدم نفسه على أنه  
سوري مسلم درس العلوم منذ طفولته في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا وإنجلترا  
وادعى أنه نسي لغته القومية وأنه أتى إلى الشرق ليتعمق في دين آبائه  
وأجداده . (١٠)

وكذلك إدوارد ولیم لين لبس الملابس الشرقية وادعى أنه تركي  
وتسمى باسم (منصور) وكان يعرف العربية لأنه تعلمها في بلاده ، ولا يشك  
أحد يقابله أنه مسلم ، أما اللكنة التي في لسانه فهي نظراً لأنه تركي ، وهنا  
فإن منظره هكذا كان مقبولاً لدى المصريين ، هذا بجانب أنه كان ودوداً لا  
يفعل شيئاً يتصادم مع عقائد المصريين المسلمين .

وما كاد لين يصل إلى سواحل الإسكندرية حتى نزل إلى الشاطئ  
متشوقاً وقد اشتد به الانفعال ، وقد وصف شعوره في تلك اللحظة بقوله : "   
اقتربت السفينة إلى الشاطئ وقد انتابتنى مشاعر بالاهتمام الشديد الذي يشوبه  
قلق عميق ، فيحد من بهجة تلك المشاعر " فكان يشعر وكأنه " عريس شرقي  
يوشك أن يرفع النقاب عن وجه عروسه التي لم يرها بعد " .

(١٠) طاهر أحمد مكي ، رحلة أسباني بصف الإسكندرية في مطلع القرن الماضي، العدد السابع من مجلة وجهات نظر ،  
ص ٤٦ .

ولم يكن لين مثل غيره يقصد مصر للترويج والتسليية ، فهو يحدثنا عن هدفه فيقول :

" لم تكن زيارتي لمصر لغرض اللهو ومشاهدة أهراماتها ومعابدها ومقابرها ثم أعادها إلى أماكن ومتع أخرى بعد أن أشبع فضولي ، وإنما كنت على وشك أن أقذف بنفسي كلية بين غرباء عني ، وسط شعب سمعت عنه الكثير من الأخبار المتناقضة ، وكان على أن آخذ لغتهم وشمالهم وملبسهم ، وكان هدفي لأستزيد في دراسة آدابهم ، أن أعيش المسلمين منهم بصفة خاصة " (١١) .

ويقول في المقدمة :

" والمقصود الأول من وضع هذا الكتاب هو تمحيص الأشياء وتحقيق الحوادث ، فلم أصح بالحقيقة في سبيل تجميل القصة ، أما الصور التي رسمت فيه فقد رسمتها للشرح لا للزينة " (١٢) .

ويعتقد بعض من درس حياة لين دراسة سطحية أنه اعتنق الإسلام ، والواقع أن علاقته بذلك الدين لا تزيد عن فهم أصوله واحترامها ، ولم تكن ممارسته لشعائره غير محاولة للتقرب من المسلمين ودراسة معتقداتهم وعاداتهم ، ولم تؤثر إقامته الطويلة في الشرق في عاطفته الدينية البروتستانتية ، وظل قائما على إيمانه بدينه منذ طفولته .

ويقول ستانلي بول حفيد أخته الذي كان يلزمه في أواخر

حياته :

" إن معرفة لين باللغات السامية التي كتب بها العهدان القديم والحديث ، وفهمه لأسلوب التفكير السامي قد غير بلا جدل بعض

(١١) المرجع السابق ، ص ٢٦ .

(١٢) إدوارد ولين ، المصريون المحدثون شمالهم وعاداتهم ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ص ٩ .



معتقداته الدينية الثانوية . غير أنه بقى مؤمناً بالتعاليم الجوهرية فلم تتغير عقيدته البروتستانتية ، ولم يكف عن القيام بواجباته الدينية في الكنيسة كلما استطاع إلى ذلك سبيلا يوم الأحد ، ويمضى بقية اليوم في دراسة الكتاب المقدس الذي كان يتخذهُ مرشداً في حياته الدنيوية <sup>(١٣)</sup> "

وقال الشيخ الدسوقي (الذي لازمه في رحلته الثالثة) عن تدين لين وهو الذي كان ملازماً له بالقاهرة مدة طويلة : " ومع ذلك لم يزل هذا الرجل عيسوي الدين معتقداً في صحة الإسلام وعقيدة المسلمين ، كأنه كان يظن عدم عموم رسالة "سيد ولد عدنان" ، وعدم نسخ دينه للأديان ، بروتستانتية المذهب مع عائلته يقولُ بنبوة عيسى ورسالته ، لا كما يعتقد بقية النصاري ممن صاروا في كلمة الله عيسى حيارى ، هذا وكان يعتقد حرمة تعاطي الخمر والخنزير ، ويقول إن أكابر الانجليز البروتستانتيين على هذا الرأي النضير ، معللاً ذلك بأنهما يضران بالصحة ، فانظر وفاقهم لنا في هذه اللوحة <sup>(١٤)</sup> "

ويذكر لين عن سماحة المصريين قوله :

" ومن بواعث الأدب أو الصالح الذاتي أن يتحدث المسلم أحياناً إلى المسيحي ، وخاصة الأوربي بلهجة كريمة ، وقد يصرح بصداقته ، وهو يضمن الأذراء له ، ولما كان المصريون المسلمون يحكمون على الفرنج بمقتضى ما يظهر من الذين يسكنون مدنهم ، وأكثرهم من شذاذ الآفاق ونفاية البلاد ، فمن الصعب لومهم على ازدراءهم ، ويعامل أهل مصر المسيحيين مع ذلك بلطف ، فالمسلمون ، قد عرفوا بالتسامح ، كما اشتهروا باحتقار الكفار <sup>(١٥)</sup> "

<sup>(١٣)</sup> على طاهر نور ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٠٥-١٠٤ .

<sup>(١٤)</sup> على مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ١١ ، ص ٢٩ .

<sup>(١٥)</sup> لين ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٣ .

## مؤلفات لين عن مصر :

أولاً: أشهر كتاب له ترجم إلى العربية وطبع عدة طبعات بالإنجليزية والعربية هو :

"المصريون المحدثون شمانلهم وعاداتهم " Manners and Customs of The Modern Egyptians .

ثانياً: كتاب "وصف مصر" Description of Egypt وهو مازال مخطوطا في ثلاثة مجلدات يصف مصر في الفترة من سنة ١٨٢٥ إلى ١٨٢٨م .

ثالثاً: " القاهرة منذ خمسين عاما " نشر سنة ١٨٩٦م

رابعاً: وله بالإضافة إلى ما تقدم كتاب عن " المجتمع العربي في العصر الوسيط " نشره في سنة ١٨٨٣م

خامساً: ثم قاموسه الشهير " مد القاموس " الذي وضعه بالاستعانة بالشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقي معتمدا على كتاب " تاج العروس " للزبيدي ، في اللغة . كما كتب " مختارات من القرآن الكريم " ونشر سنة ١٨٤٠م .

سادساً: ونشر أيضا ترجمة بالانجليزية لكتاب " ألف ليلة وليلة " صدرت أولا في أجزاء شهرية من سنة ١٨٣٨ إلى سنة ١٨٤٠م .

أما الكتاب الأول : " المصريون المحدثون ..... " فهو أشهر كتب إدوارد ولين لدوام نشره منذ الطبعة الأولى سنة ١٨٣٦م ومازال يطبع حتى الآن وترجم إلى عدة لغات أوربية أهمها الألمانية ، ونشر أيضا في أمريكا واستند إليه المؤلفون في أبحاثهم ، واقتبس منه البعض ، وأذكر أنني اعتمدت على المعلومات القيمة التي أوردها عن الأزهر والعلماء في رسالتي للدكتوراه وعنوانها : " دور الأزهر في الحياة المصرية إبان الحملة

الفرنسية ومطلع القرن التاسع عشر" <sup>(١١)</sup> كما اعتمدت عليه في كتابي عن "الحركة الوطنية وجذور النضال المصري".

ويتألف الكتاب من مقدمة و ٢٣ فصلا وبعض الملاحق ، يتحدث فيه عن البلد ومناخه والعاصمة والمنازل والسكان ، ومميزات المصريين المسلمين وملابسهم ، والطفولة وتربية الأطفال ، والدين والشريعة ، والحكومة ، والحياة المنزلية لشتى الطبقات ، وعادات المجتمع العامة واللغة والآداب والعلوم ، والخرافات ، والسحر والتنجيم ، والأخلاق ، والصناعة ، والمكيفات ، والألعاب ، والموسيقى ، والرقص ، والحواء ، والرواة ، والأعياد العامة والخاصة ، والوفاة وطقوس الجنائز ، وأهل الذمة من يهود وأقباط ، بالإضافة إلى كثير من الرسوم التي رسمها بنفسه توضيحا لتلك المشاهد .

وكتابة "لين" تمتاز عن غيرها من الكتابات التي كتبت عن مصر منذ رحلات ابن جببر وابن بطوطة والورثاني والعياشي والنبلسي وغيرهم من الرحالة المسلمين وكذلك تختلف عن كتابات "فولني" و "سافاري" وعلماء الحملة الفرنسية ، وذلك لأن "لين" عاش في مصر ثلاث فترات الأولى : من ١٨٢٥-١٨٢٨ م .

والثانية : من ١٨٣٣-١٨٣٥ م .

والثالثة : من ١٨٤٢-١٨٤٩ م .

وتغلغل في المجتمع المصري لتطاهره بالإسلام وتسمى باسم منصور ولبس الملابس الشرقية ودخوله الأثرر واختلاطه بالعلماء والشعب ويصور كل ذلك بريشة فنان مبدع في فن التصوير ، فهو من هذه الناحية يمتاز عن كل الرحالة الذين لم تدم مشاهداتهم إلا عدة أشهر فكتبوا ما كتبوا على عجل

<sup>(١١)</sup> نوقشت هذه الرسالة تحت إشراف المرحوم الأستاذ الدكتور عبد العزيز الشناوى سنة ١٩٧٤م وطبعت سنة ١٩٨٦م بالقاهرة.

ومن ثم كانت له ملاحظاته النافذة على مشاهداتهم السطحية سجلها في كتابه هذا .

ومن هذا المنطلق فالكتاب جدير بالأعتبار ، وحاز شهرة أدبية واسعة ، بالإضافة إلى تجرده من الهوى في كثير مما سجله .

وميزة الكتاب أنه سجل ما سجل عن مصر وهي في فترة "محمد على باشا" ، على مفارق الطرق بين القديم والحديث ومحمد على يقودها إلى العصور الحديثة ويغير مجتمعها تغييراً جذرياً بالأخذ من المدنية الأوربية بقدر ما يستطيع . ويسعى إلى تقليد الغرب ، فمن هنا فإن تغييرات محمد على تظهر أكثر ما تظهر بوضوح في كتابات لين لأنه عاصر هذه التغييرات وهو شاهد عيان لها ، محاييد ، يصف أوضاع مصر بأمانة نادرة وتجرد واضح .

وكانت القاهرة عندما زارها لين لا تزال تحافظ على هيئتها العربية الإسلامية ، وكانت قد تحولت إلى مركز للثقافة الإسلام ية العربية بعد أن أزال المغول الخلافة في بغداد وأخضعوا العراق لحكمهم مدة طويلة ، ولم تعد مدينة بغداد موطن الخلافة حيث انتقلت الخلافة إلى القاهرة ، وبلغت العلوم الإسلام ية والفنون أوج عظمتها في مصر في عهد سلاطين المماليك .

" وخلف هؤلاء في مساجد القاهرة آثارا رائعة لا تزال عنوان قوتهم وثقافتهم ، وخلف هؤلاء الحكام أيضا طابعا خاصا رسم الحياة اليومية ، وظل يسود آداب المجتمع القاهري وعقليته دون أن يغير ما به على مدى ثلاثة قرون من الحكم التركي ، وقد تبين "لين" ذلك عندما وجد في المصريين المعاصرين لزيارته الأولى للقاهرة (١٨٢٥-١٨٢٨م) من عادات وتقاليده ، وخرافات وملبس ، وغير ذلك ، صورة مطابقة لهم في قصص " ألف ليلة

وليلة " ، وقد ظهرت ترجمة لين لتلك القصص في أجزاء شهرية ابتداء من ١٨٣٨ إلى ١٨٤٠م <sup>(١٧)</sup> .

### العادات الشائعة في المجتمع :

عندما نزل "لين" في الاسكندرية وجد بها أخلاطاً من الإفرنج والأتراك والمغاربة والمصريين والشوام واليهود والأرمن وغيرهم ، وسرعان ما أدرك أن الاسكندرية ليست المدينة الشرقية التي تصورها ، فقد رأى أثناء تجولهم بها في الحى الأفرنجى قوما تجمعوا أمام مقهى ، ورأى بين خليط روادها من الأتراك والسكندريين والإفرنج جنديين تركيين وقد ذهب الغضب برشد كل منهما ، ويروى القصة فيقول :

" وقد عجزت عن معرفة سبب النزاع ، غير أنني لن أنسى سريعا ما أفضى إليه هذا النزاع ، كان الاثنان قد استثارهما السكر ، فاحتدم أحدهما إلى حد الجنون ، فقام من مقعده ، وانتزع مسدسه من حزامه ، ودفعه إلى وجه خصمه الجالس قبالة ، ثم أطلق النار ، غير أن ضحيته المرتقبة تفادت الطلقة ببراعة ، فأصاب جنديا آخر يقف إلى جانبها فسقط في التوجئة دامية ، واغتاز هذا الوحش وسحب سيفه ، وكاد يسيل مزيدا من الدماء لو لم يسارع من حوله بتجريده من سلاحه .... وقد ضرب عُنق الجاني بعد لحظة من اعتدائه <sup>(١٨)</sup> "

وغادر "لين" الإسكندرية على عجل واتخذ طريقه عن طريق الإبحار في سرعة المحمودية وبدأ يسجل ملاحظاته الدقيقة فذكر كل ما تراه عيناه ويشير انتباهه من السراب إلى أصوات السواقي ونقيق الضفادع ، وطريقة النوتية وطباعهم ونزولهم إلى الشاطئ ويروحون عن أنفسهم بالتدخين والغناء والنفخ

<sup>(١٧)</sup> عدلى طاهر نور ، المستشرق الإنجليزي ..... ، ص ٩٤ .  
<sup>(١٨)</sup> لين ، " وصف مصر " الفصل الأول ، مخطوط بالمتحف البريطاني . نقلا عن عدلى طاهر نور ، ص ٤٠ .

ففي المزمار ، ويملاؤن الليل ضجيجا بقرع طبولهم ، وأخيرا يفرشون الحصر وهم قانعون بحفلهم ، وسرعان ما يستسلمون للنوم ، بلا وسادة أو غطاء ، وهم في سعادة تامة . (١٩)

وسرعان ما وصل إلى القاهرة في الثاني من أكتوبر ١٨٢٥م واستقر بها ، ولم يلبث أن ترك ملايسه الإنجليزية وتزيا بزي الأتراك ، وانطلق إلى شوارع القاهرة يسجل بقلمه وفرشاه صوراً حية من عيشة الشعب المصري في المنزل والسوق والشوارع والمساجد والمدارس وهي الصور التي أصبحت الآن ذات قيمة تاريخية لا تقل روعة عما سجله علماء الحملة الفرنسية بل تزيد عنها دقة وإنصافاً .

واستطاع "لين" ما لم يستطعه أوربي آخر إلا نادراً ، استطاع أن يختلط بسكان القاهرة كواحد منهم ، وأن يتفهم دقائق لغتهم الدارجة وآدابهم الاجتماعية ، وأن يصل إلى أعماق فهمهم وعقليتهم . ورسم كثيراً من عاداتهم وملبسهم ، وساعده على ذلك تميزه بملامح تجعله قريب الشبه بالعرب .

### هيئة المصريين وأشكالهم :

يتحدث لين في الفصل الأول عن مميزات المسلمين العرب وملابسهم ويذكر عنهم أنهم يؤلفون غالبية سكان مصر منذ قرون ، وأنهم ينحدرون من عدة قبائل عربية قدمت إلى مصر ، وأصهر أفرادها إلى الأقباط ويتحدث عن هينتهم مفصلاً أشكالهم ، فيقول :

" فأدى اختلاطهم هذا إلى تكوين شعب كثير الشبه عامة بقدماء المصريين الذين ينتمون إلى الجنس " القوقازي " مع قرابتهم إلى الجنس الأسود ..... وفي بقاع مختلفة من مصر عشائر تنحدر من العرب الأولين

(١٩) علي طاهر نور ، المستشرق الإنجليزي إدوارد ولیم لين ، ص ٤٢-٤٣ .

وهؤلاء يصعب بل يستحيل ، تمييزهم من قبائل صحراء الجزيرة العربية ، ومسلمو القاهرة الوطنيون يسمون أنفسهم عادة " المصريين " و " أولاد مصر " و " أولاد البلد " وآخر تلك العبارات الثلاث أكثرها شيوعا في المدينة نفسها ، أما أهل الريف ، فيسمون " بالفلاحين " أو " المزارعين " وكثيرا ما يطلق الأتراك على المصريين لفظ " الفلاحين " ، ويقصدون به معنى الغلظة والجفاء ، أو ينبذونهم بأهل فرعون إهانة لهم ، فيرد عليهم المصريون كلما اجترأوا على ذلك بتسميتهم "أهل نمرود" . (٢٠) "

ويذكر أن من عادة المصريين في هذه الفترة أنهم يطلقون لحاهم بمقدار قبضة اليد تقريبا ، إقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم لمحافظتهم على السنة لا يُطِيلُونَ الشاربين ، ولا يمدونهما على الأقل فوق الشفة العليا حتى لا يضايقانهم عند الأكل أو الشرب وعادة الخضاب ليست شائعة في مصر لأنهم يحترمون الشيب (٢١) "

### ملابس المصريين :

كانت ملابس المصريين من الطبقتين العليا والوسطى : في النصف الأول من القرن ١٩ عبارة عن " سروال " فضفاض من الكتان أو القطن يشد حول الوسط بشريط طرْفَاءً مطرزان بالحرير الملون وإن كانا تحت الملابس الخارجية ، ويصل السروال إلى ما تحت الركبتين بقليل أو ينزل حتى الكعبين إلا أن الكثير من العرب لا يلبسون السراويل الطوال لأن النبي حرمها عليهم ، بعد ذلك " قميص " أكمامه واسعة جداً تصل حتى المعصم ، يصنع من نسيج الكتان الأبيض الرخيص أو من نسيج القطن أو الحرير الموصلى أو الحرير المخروط بالقطن وكلها مفوفة بيضاء . ويرتدى أغلب الناس فوق هذا ، عندما

(٢٠) إدوارد ولیم لین ، المصريون المحدثون .....، ص ٢٩-٣٠ .

(٢١) إدوارد ولیم لین ، المصريون المحدثون .....، ص ٣٢ .

يبرد الطقس " صديرياً " قصيرا من الجوخ أو من الحرير الملون الموقوف أو من القطن ، ولا أكمال له ، ويضاف إلى هذا " رداء " طويلا من الحرير الموقوف أو القطن يسمى " ققطان ينزل حتى الكعبين .... ثم يُلفُ حول هذا الثوب " شال ملون " ، وأخيرا الحلة الخارجية العادية ، وهي عبارة عن كساء طويل من الجوخ يسمى "جَبَّة " ..... وبعض الأشخاص يلبسون " البنش " وهو قباء من الجوخ ( يحل محل الجبة ) .... وهناك رداء آخر يسمى " فَرَجِيَّة " يشبه البنش ... يلبسها غالبا رجال العلم . (٢٢) " ويلبس الرجال فوق هذه الملابس العباية الصوفية في الشتاء ، أو شال من الحرير الموصلى يلف حول الرأس والكفتين ، وغطاء الرأس القلنسوة ، أو العمامة بالطربوش الأحمر . أما ملابس الطبقة السفلى: فهي جد بسيطة ، مكونة من "سروال" فوقه "قميص" طويل فضفاض أو ثوب أزرق واسع الأكمال من الكتان أو القطن ، أو من الصوف الأسمر .

أما غطاء الرأس ، فهو قلنسوة قطنية صغيرة ، أو العمامة الملفوفة على الطربوش من الجوخ الأحمر ، وقد يكتفى البعض بالطربوش الأحمر المغربي .

وتمتاز عمامة المسلم باللون الأبيض عن عمامة القبطى واليهودى ، فهؤلاء يعتمدون باللون الأسود أو الأزرق أو الرمادى أو الأسود الخفيف ، ويلبسون عادة الثياب القاتمة ، ويرجع استخدام الألوان للتمييز بين المذاهب والعشائر والأسر المالكة إلى عهد بعيد ، وعمامة الأشراف خضراء .

(٢٢) لين ، المصريون المحدثون ..... ، ص ٣٢-٣٨ .



## أما ملابس النساء :

فيقول "لين" : " أما ملابس نساء الطبقتين الوسطى والعليا: فتمتاز بجمال نسيجها ، وأناقة زيتها وقميص المرأة كقميص الرجل فضفاض ، ولكنه قصير ، وتلبس النساء "سروالا" من القطن أو الحرير وله حزام يسمى "دكة" ، وفوق القميص سترة طويلة تسمى "يلك" <sup>(٢٣)</sup> يشبه القفطان وله أزرار تشد إلى الجسم ، وغطاء الرأس " منديل " مربع ، وهناك " الطرحة " وهي قطعة طويلة من الموصلى الأبيض محبوكة الطرفين بالحرير الملون والذهب تطرح فوق الرأس وتتدلى على الظهر . وهذه في الغالب ملابس المنزل.

أما ثياب الخروج: فتسمى " تزييره " وتعنى هيئة الزيارة فعلاوة على الملابس السابقة فيلبس النساء عند الخروج " التوب " أو " السبله " يكاد عرض كميه يعادل طوله ، ويكون من الحرير ، ثم يضعن " البرقع " وهو غطاء للوجه ، وهو قطعة قماش من الموصلى الأبيض تحجب الوجه كله ما عدا العينين وتسقط من القدمين ، ويشد البرقع إلى الرأس بشريط ، ثم " الحبرة " من النسيج الأسود ، أما الحذاء فهو " الخف " من الجلد .

وهذه الملابس لإخفاء زينة المرأة وكل ما فيها من جاذبية وقد لاحظ لين أن نساء الطبقة السفلى حتى في العاصمة لا ينقبن والثياب الشائعة في معظم القطر المصرى هي القميص الأزرق أو الثوب والطرحة ، أما في الصعيد الأقصى فأغلب النساء يتغطين بقطعة من الصوف الأسمر القاتم تسمى " حُلّية " تُلف حول الجسم وطرحة ويتحلين بحلى زائفة مختلفة من أقراط وعقود وأساور <sup>(٢٤)</sup> .

<sup>(٢٣)</sup> يلك : بالفارسية قميص نسائي ، ويعنى في التركية ( صديرى ) .

<sup>(٢٤)</sup> لين : المصريون المحدثون ..... ، ص ٤٢-٤٨ .

## علماء الأزهر:

دخل "لين" الأزهر واتصل بعلمائه أمثال: الشيخ المهدي والعروسي والشيخ العطار شيخ الأزهر ، والشيخ ( إبراهيم الدسوقي ) الذي كان يقرأ له الكتب وخاصة كتب اللغة ، وقد اختار الشيخ الدسوقي عن طريق صديق فرنسي هو المستشرق (فرينيل) المقيم بالقاهرة وكان لين يود أن ينسخ له الدسوقي كتاب " تاج العروس " للزبيدي<sup>(٢٥)</sup> ، ولذلك كان يشترط فيمن يقوم بهذه المهمة أن يكون عالماً بأصول المفردات وأن يكون له بين علماء الأزهر مكانة تؤهله لثقة الناس به ، فيستطيع بتلك الصفة أن يستعير المخطوطات من المساجد .

فيقول لين : " أعتقد أنه من الضروري لنجاح عملي أن أتجنب ما قد يجلب لى أو للشيخ الذي يعاونني في الحصول على المواد اللازمة لكتابي ، إزدراء علماء القاهرة أو غيرهم من السكان المسلمين . والواقع أنني ما كنت أستطيع الحصول على مخطوط ما من مكتبة ملحقة بالمسجد بدون وساطة ذلك الشيخ الذي كان يستعير المخطوط لنفسه ، فيمكنني من استخدامه بتلك الطريقة " .

ولين يصف الشيخ الدسوقي بالشح وحدة الطبع ، ولكنه فطن إلى أن الاستغناء عنه قد يجعل منه عدواً له ، ويدفعه إلى إرباك عمله ، علاوة على أنه كان يدرك صعوبة اختيار الرجل المناسب لهذا العمل بنفسه ، وهو لا يملك الوقت الكافي .<sup>(٢٦)</sup>

<sup>(٢٥)</sup> هو الشيخ محمد مرتضى الزبيدي من أصل يمني كان يعيش في مصر وتوفي سنة ١٢٠٥ هـ . راجع ترجمته في كتاب عبد الرحمن الجبرتي عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، ج ٢ ، ص ٢٠٨-٢٢٣ ، طبعة المطبعة العامة الشرقية ، القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ .  
<sup>(٢٦)</sup> عدلي طاهر نور ، مرجع سبق ذكره ، ص ٩٩-١٠٠ .

إلا أن الشيخ الدسوقي<sup>(٢٧)</sup> يثنى على لين في رسالة له كتبها عن صاحبته بلين إبان إقامته بالقاهرة وأعطاهها لعلى مبارك فأودعها على مبارك في كتابه الخطط عند ترجمته للشيخ إبراهيم عبد الغفار الدسوقي .

فقال الشيخ الدسوقي كثيرا من الثناء على لين فيذكر عنه أنه " صاحب الطبع اللين الماهر الأملع والأديب اللوذعي رب الأخلاق الجميلة المقرونة بحلى الفضيلة المتميز في جنسه بالفطنة الوقادة البارع "منصور أفندى زاده" المعروف في بلده بالمستر لين.

وقال عنه عند أول لقاء له : " وتأملته فإذا إنسان قد وخطه الشيب ، وليس في لسانه لكنه ولا عيب ، طويل القامة كبير الهامة تلوح عليه إمارة ، فصيح العبارة ، كأنه عدنانى أو قحطانى ، إلا أنه ذو زى عثمانى ، لا يتكلم إلا بفصيح الكلام ، وله بفنون الأدب إمام ، فهزتنى إليه أريحة الطرب ، وتعجبت من فصاحته مع أجنبيته كل العجب ، فالتمس منى الذهاب إلى وطنه ( مسكنه ) ليعرفنى محل سكنه ، فلم يكن منى إلا الامتثال وموافقته على ما قال ، فرأيت له عادة المصريين في مأكله ومشربه ، وزى الأتراك في حليته وأدبه ووقع بينى وبينه الاختيار على أن أمر عليه آخر النهار عند رجوعى من تصحيح كتب الرياضة بمدرسة المهندس خانه الفياضة ، فربط لى ماهية مع قلة الزمن عظيمة لها عند الفقير وقع في النفس وقيمة ، على أن نقرأ معا كل يوم نحو نصف كراسة من شرح متن القاموس المسمى "بتاج العروس" ..... للزبيدي مع التفهم والتفهيم لما صعب أو كان غير مستقيم مع مراجعة ماكان عنده من معتبرات اللغة الصحاح<sup>(٢٨)</sup> "

(٢٧) كان الشيخ الدسوقي رئيسا للمصححين بمطبعة بولاق ، وكان يصحح الكتب الطبية المطبوعة لطلبة مدرسة الطب مع الشيخ الهراوى ومدرسة المهندسين خاتة وكان يدرس اللغة العربية لطلبة مدارس محمد على ، وكان محررا في جريدة الوقائع المصرية ، وتوفى عام ١٣٠٠ هـ . انظر : على مبارك ، الخطط التوفيقية ، الجزء ١١ ، ص ٢٢-٢٧ ، الطبعة الثانية ، القاهرة سنة ١٩٩٤م ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢٨) على مبارك ، الخطط التوفيقية ، الجزء ١١ ، ص ٢٢-٢٤ .

وبعد مفارقتي إياه كل يوم في العشية يكون قد ترجم ما قرأناه إلى لغته الانجليزية مرتباً له ترتيب المصباح كعادة المعجمات اللغوية قبل ظهور ترتيب الجوهري صاحب الصحاح برد كل فصل من فصول القاموس إلى محله المعتبر في الترتيب الأول المأثوس (٢٩) "

وعندما حدثت له (لين) مشكلة مالية بضياح ماله في "بنك" بسبب إفلاس البنك وحزن لذلك قال له الشيخ الدسوقي: "لا تفكر في هذه القضية فسترى منى ما يسترك بالكلية" وأخذ يدرس له بلا مقابل إلى أن تحسنت حالته فشكره لين على وقوفه معه وقت الشدة مع عدم قدرته على دفع ما هيته. وأعترف الشيخ الدسوقي بأنه كان يستفيد بعض المعلومات العلمية من لين وبعض المعارف التي حصلها لين في بلاده، فيقول: "على أنى كنت في لذة اكتساب معارف من هذا المجلس اليومي وهى عندي ألد من العوارف (٣٠) "

### رأى لين في علماء الأزهر :

كان الأزهر قد شهد نهضة فكرية وسياسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي (١٢ هـ) وأصبح مهياً لكي يلعب دوراً في الحياة المصرية بصفة خاصة وفي الحياة الإسلامية بصفة عامة، وتزعم علماء الأزهر النضال الشعبي إبان الحملة الفرنسية، وبعد خروج الحملة الفرنسية إلى أن تولى محمد على السلطة في البلاد برأيهم وبشروطهم، لكن محمد على خذلهم وخدعهم وعصف بأمانيتهم وعزلهم عن قيادة الشعب وتولى هو قيادة مصر وسار بها في طريق الإصلاح على طريقته هو.

ولكن ما انفك الأزهريون منذ خروج الحملة الفرنسية يفكرون في إصلاح معيهم، وكان في طليعة هؤلاء الشيخ حسن العطار الذي تولى

(٢٩) المصدر السابق، ج ١١، ص ٢٦.

(٣٠) المصدر السابق، ج ١١، ص ٢٧.

مشيخة الأزهر من ١٢٤٦-١٢٥٠هـ فقد كان له ولع بقراءة الكتب المترجمة من اللغات الأوربية خاصة في علمي : الجغرافيا والتاريخ وغيرها من العلوم ، وأوفد تلميذه رفاعه إلى فرنسا مع البعثة الأولى التي أرسلها محمد على ونصح به بأن يكتب كتابا عن مشاهداته في فرنسا .

وقابل الشيخ ( حسن العطار ) المستشرق الإنجليزي لين وتحدث معه ، ونوه لين بالعطار فقال عنه : " ويعتبر الشيخ حسن العطار ، وهو شيخ الأزهر الآن (في الرحلة الثانية ١٨٣٣-١٨٣٥م) أحد مشاهير العلماء المعاصرين ، وهو وإن لم يبلغ في التوحيد والفقه مبلغ بعض العلماء معاصريه كالشيخ القويسني خاصة ، ضليع في علم الأدب ، وهو مؤلف كتاب " الإتياء " الذي يعتبر مجموعة فائقة من الرسائل العربية في مختلف الموضوعات ، وضعها نموذجا للأسلوب الإتيائي . وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة بولاق " (٣١)

كما أثنى لين على الشيخ ( محمد شهاب ) الأديب الشاعر ، وكان أحيانا يعقد جلسات علمية في بيته ويحضرها لين فيقول عنه : " وقد اشتهر بحق أيضا الشيخ محمد شهاب بجودة أدبه ورقة شعره ، وكان أنسه ونكاؤه يجذبان الاصدقاء إلى منزله كل مساء ، وكنت أحيانا اشترك في مسراتهم . فكان الشيخ يستقبلنا في غرفة صغيرة مريحة ، فيدخل كل منا شبكه ، وتقدم إلينا القهوة ، وكان حديث الشيخ أعذب ما يقدم ، وأثنى على المؤرخ المصري الكبير عبد الرحمن الجبرتي، غير أنه لم يتمكن من رؤيته قبل وفاته فقال عنه : " ويستحق الشيخ عبد الرحمن الجبرتي وهو من مؤلفي القاهرة المتأخرين أن يشار إليه بصفة خاصة إذ أنه وضع تاريخا جليلا لحوادث مصر منذ القرن الثاني عشر للهجرة وقد توفي عام ١٨٢٥ أو عام ١٨٢٦م عقب قدومي

(٣١) إدوارد ولين ، المصريون المحدثون ..... ، ص ١٨٩-١٩٠ .

القاهرة لأول مرة (٣٢) " ويخص لين الجبرتي بالثناء في وقت ينقد فيه مناهج الأزهر في مجال المعرفة التاريخية فيقول : " وقلما يعرف علماء مصر تاريخ بلدهم معرفة جيدة ، وأقل من ذلك معرفتهم بتاريخ الأمم الأخرى (٣٣) "

ويعتقد لين أن الخرافة مازالت تهيم على الفكر في الأزهر في كثير من القضايا ، فقد ذكر لين أنه وقعت بين الشيخ ( محمد الأمير ) والشيخ ( محمد البهائي ) مناقشة حول وجود رأس الحسين بمسجده بالقاهرة ، وقد أنكر الشيخ الأمير وجود الرأس بالمشهد الحسيني في بعض دروسه ، لأنه لم يرق على وجودها أى دليل تاريخي .

ولقد تأثر لذلك القول الشيخ البهائي وبكى في نفس الليلة رأى رؤيا خلاصتها: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن حقيقة الأمر ، فنبأه بأن الرأس موجودة في المشهد حقيقة ، فذهب إلى الشيخ الأمير في الصباح الباكر وقص عليه رؤيته ، غير أن الشيخ الأمير اضطر إلى مجاملة الشيخ البهائي وذهب معه إلى المشهد وأعلن أمام المزار إيمانه بوجود الرأس فيه ورجع بذلك عن رأيه السابق .

ويدل هذا الموقف على أن الشيخ الأمير اضطر إلى مجارة ما يؤمن به السود الأعظم من أهل مصر ، وقد تثير آراء الأمير الجريئة غضب الجماهير ممن يؤمنون بالأساطير التاريخية وما نسج حولها من خرافات في مصر .

ولهذا يقول لين : " من المحقق أن العلماء المسلمين (في مصر) كان يعوقهم طابع الخرافة من الماضي في بعض مناهج الدرس ، وقد تتحكم الخرافة في البت في نقطة كانت موضع الجدل منذ عصور " (٣٤)

(٣٢) المرجع السابق ، ص ١٩٠ . والثابت تاريخياً أنه توفي في رمضان سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٥م) ، انظر : للمؤلف كتاب :

" دور الأزهر في الحياة المصرية " طبعة القاهرة ١٩٨٦م ، ص ٤٨٢ .

(٣٣) المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٣٤) المرجع السابق ، ص ١٨٨ طبعة ١٩٧٥ و ص ١٤٧-١٤٨ طبعة ١٩٥٠ .

وينفى لين أكنوبة شائعة في أوروبا عن عداة المسلمين للعلم ويذكر أن أوروبا تدين للعرب في مجال معرفة الطب والكيمياء فيقول :

"ويخطئ المسيحيون في أوروبا في اعتقادهم أن المسلمين أعداء العلم على اختلاف أنواعه تقريبا . والحقيقة أن العلم في الوقت الحاضر تحده حدود ضيقة فقل من يدرس الطب والكيمياء ( وندين بمعرفتنا بها للعرب ) والرياضيات وعلم الفلك . وتجد أغلب الأطباء والجراحين المصريين حلاقين ، يجهلون العلم الذي يباشرونه جهلا مضرا ، وتنقصهم المهارة فيما يمارسونه ويرجع بعض ذلك إلى تحريم الدين تشريح الجسد . إلا أن بعض المصريين الشبان يتلقون الآن دراسة أوربية في الطب والتشريح والجراحة وعلوم أخرى لخدمة الحكومة .

" وكثيرا ما يرفض المرضى من المصريين كل مساعدة طبية متوكلين على العناية الإلهية أو معتمدين على السحر . (٣٥) "

التوقيت المصرى في النصف الأول من القرن ١٩ :

كان المصريون حتى منتصف القرن ١٩ وقت وجود "لين" بمصر يقسمون السنة إلى ثلاثة فصول : "الشتاء" و"الصيف" و"النيل" ، ويستعمل الفلكيون المصريون تقويم "الأبراج القمرية" التي أعتاد أهل الجزيرة العربية تنظيم شئونهم المتعلقة بالفصول عليها.

ويبدأ اليوم في مصر من غروب الشمس إلى الغروب التالى ، فيُحَسَبُ الليل السابق مع النهار التالى ، وتسمى الليلة السابقة ليوم الجمعة مثلا ليلة الجمعة ، ويوافق غروب الشمس الساعة ١٢ فتكون الساعة واحدة بعد غروب الشمس بساعة . والثانية بعد غروبها بساعتين وهكذا حتى الساعة ١٢ صباحا وبعدها تبدأ الساعة واحدة مرة أخرى والساعة الثانية وهكذا .

(٣٥) لين ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٠-١٩١ .

ويملاً المصريون ساعتهم ويضبطونها عند كل غروب ، إذ أن الأيام تختلف طولاً وقصراً <sup>(٣٦)</sup> . يتوقع لين تقدماً علمياً وفكرياً في مصر منذ عهد محمد علي بسبب اقتباس العلوم الأوروبية . <sup>(٣٧)</sup>

### الخرافات :

يتحدث لين في فصول ثلاثة هي "العاشر" و"الحادي عشر" و"الثاني عشر" عن الخرافات والسحر والتنجيم . ويعتقد أن هذه الخرافات هي التي تعوق المصريين وتقف حجر عثرة في سبيل تقدمهم .

ومن هذه الخرافات "الجن" والاعتقاد بوجودهم وتأثيرهم على البشر وكذلك "العفاريت" . والاعتقاد في ولاية "الأبله" و"المجنون" وينسبون إليهما الكرامات وأكثر هؤلاء يسIRON عراة تقريباً ويتمتعون باحترام زائد ، ويأكل بعضهم التبغ والزجاج ويسمون "مجازيب" <sup>(٣٨)</sup>

ويحمل المسنمون المصريون (على اختلاف مذاهبهم ما خلا الوهابية) للأولياء المتوفين احتراماً وتقديساً لا سند لهما في القرآن أو الأحاديث أكثر مما يحملون للأحياء منهم ، ويشيدون فوق أكثر قبور الأولياء المشهورين مساجد كبيرة جميلة . ويزور المصريون هذه الأضرحة وغيرها أحياناً ، إما إجلالاً للميت ، وقياماً بأعمال تستحق الثواب لأجل هؤلاء المكرمين ، معتقدين أنهم سينزلون عليهم البركات ، وإما بقصد التماس البرء من مرض أو طلب النسل ، مقتنعين أن فضائل الميت تكفل قبول دعواتهم قبولاً مرضياً ، ويقدمون لهم النذور .

<sup>(٣٦)</sup> وكان مؤذن مسجد قريتنا " الدراكسة " دقولية في منتصف القرن العشرين بضبط ساعة المسجد كل يوم بهذه الطريقة الإسلامية ورأيت ذلك بنفسى - المؤلف .

<sup>(٣٧)</sup> لين ، المصدر السابق ، ص ١٩٥ .

<sup>(٣٨)</sup> المصدر السابق ، ص ٩٦-٢٠٥ .



وفي كل قرية تقريبا من قرى مصر ضريح لولى يزوره الكثيرون ولا سيما النساء في يوم خاص من الأسبوع ويحمل بعض النساء إليه الخبز والهدايا والنقود ، وقد اعتاد الفلاحون أن يحملوا إليه الذبائح ، وينذرون النذور التي تذبج عند قبره .

ويكثر الدراويش في مصر وأكثر طوائفهم : "الرفاعية" و"القادرية" و"الأحمدية" و"البراهمة" و"البيومية" و"الشعراوية" و"الشناوية" ، وغيرها من الطوائف المنتشرة في القاهرة والاقاليم . وتقوم أعمال الدراويش على الذكر واقفين في حلقة مستديرة أو مستطيلة أو في صفين متقابلين أو جالسين مرردين أسماء الله الحسنى وشهادة التوحيد والأدعية المختلفة . ويكررونها حتى تخور قواهم ويتميلون بطريقة رياضية مع مصاحبة بعض العازفين على " الناي " أو " الأرغون " .

ويتحدث "لين" عن الاعتقاد في "التمائم" و"الأحجبة" التي يستند أكثرها على السحر ويتوهم الناس أن ذلك كله له خاصية خفية عظيمة ، وبعضهم يعتقدون أنها تحميهم من الحسد وخاصة الأطفال الصغار .

ويذكر خرافات أخرى منتشرة مثل "ضرب الرمل" و"الودع" و"المندل" واعتقاد الناس فيها . (٣٩)

ويذكر "لين" عن أخلاق المصريين في النصف الأول من القرن ١٩ م ، أنهم كانوا يترددون في طبع الكتب وأنهم كانوا يخشون أن يدنس المداد الذي يطبع به اسم الله ، أو الورقة التي يطبع عليها ذلك الاسم المقدس أو أقوال من القرآن ، ويخشون أيضا أن تصبح كتبهم عند طبعها رخيصة الثمن فتقع بين أيدي من لا يصونها فيقول : " ومن ثم لم يطبع الكتب في مصر حتى الآن إلا الحكومة ، غير أن اثنين أو ثلاثة استأذنوها في طبع بعض الكتب في مطبعتها

(٣٩) السابق ، ص ٢١٧-٢٤٢ .

فأذنت لهم . وأعرف كاتبها هنا رغب طويلا في طبع كتب كان يثق بعظيم ربحها ولكنه لم يستطع أن يتغلب على تردده في شرعية هذا العمل" (٤٠) .

### القصاصون في مصر :

يخصص "لين" ثلاث فصول للحديث عن القصص والقصاصين في مصر ، وهى الفصول ٢٢، ٢١، ٢٣ ويبدأها لين بالحديث عن القصاصين الذين يَغشَوْنَ مقاهي القاهرة وغيرها من مدن الأقاليم ويسامرون الناس ببراعة تجذب القلوب ، وعلى الأخص طائفة الشعراء أكثر طبقات الرواة عدداً الذين يتخصصون في رواية قصص أبو زيد الهلالي وغيرها من قصص قبائل الهلالية والزغبية والزناتية ، ويصف هذه القصص ويبين قيمتها الاجتماعية والتاريخية ، ويرى أنها ذات قيمة أدبية قليلة ، وقيمتها الحقيقية في نظره تبرز في تصوير عادات البدو وشمالهم في جزيرة العرب وشمال أفريقيا .

ويتحدث عن طبقة أخرى من القصاصين يروون الحوادث من سيرة الظاهر بيبرس وهذه الطبقة من الرواة يتلون الشعراء من حيث العدد ، وطبقة ثالثة من الرواة والقصاصين يروون حوادث من سيرة عنتر بن شداد ويسمون " عنترية " وهم أقل عدداً من الطبقتين السابقتين ، ويروون أيضا سيرة " ذو الهمة " وسيف بن زى يزن ، وقصص " ألف ليلة وليلة " وهى القصص التى اهتم "لين" بترجمتها إلى الإنجليزية .

ويقدم لين للقارئ وصفا مختصرا لبعض وقائع هذه القصص ، ليعطى صورة من الكتب التى يستمد منها رواة القاهرة مادتهم لتسلية جمهور المستمعين .

ويعزف هؤلاء الرواة على نغمات الربابة الشعبية ، ويصحب الراوى عازف آخر على ربابة أخرى من نفس النوع ، وهو عزف بسيط يكتفى العازف فيه بنغمة واحدة مقدمة وفاصلا<sup>(٤١)</sup> .

ويتحدث "لين" في الفصل العشرين من كتابه عن نوع من التمثيل الشعبى الذى يوضح فساد القائمين على جمع الضرائب في مصر ، وهذه الفرق كانت تسمى فرق "المحيطين" يمثلون في حفلات الزواج والطهور ، وفي ميادين القاهرة العامة يضحكون الناس بنكات نقدية ولا يوجد بها عنصر النساء . وإنما يقوم بدورهم رجل أو صبي في ثياب امرأة .

ويورد لين نموذجا من تمثيلية للمحيطين مثلت أمام الباشا أثناء الاحتفال بختان ولد من أولاده ، وكان أشخاص الرواية : الناظرأ أى مدير إكليم ، وشيخ البلد وخادمة وكاتب قبطيا ، وفلاحا مدينا للحكومة وزوجه ، وبعض الموسيقيين والراقصين .

وتبدأ التمثيلية بالطبل والزمر والرقص ، ويظهر الناظر ويقول متسانلاً

: كم قرشا دين عوض بن رجب ؟

فيجيب العازفون الذين يقومون بأدوار الفلاحين :

" مر النصرانى بالبحث في السجل " فيسأله شيخ البلد :

" كم على عوض بن رجب؟"

فيجيبه : " ألف قرش "

فيسأله : كم دفع ؟

فيقول : خمسة قروش

فيخاطب الفلاح قائلا : " يا رجل لماذا لم تحضر النقود ؟

فيجيبه : ليس عندى نقود .

(٤١) لين ، الفصول ٢٣، ٢٢، ٢١، ص ٣٣٧ - ٣٥٩ .

فيصيح الشيخ : ليس عندك نقود ؟ اطرحوه .

ويأتون بسوط ويضربونه به .

فيستغيث الفلاح بالناظر وذيل حصانه وسروال زوجته وعصابة رأسها .

فينتهى الضرب بعد عدة صيحات ، ويقاد إلى السجن .

وتحضر امرأة الفلاح فيطلبون منها أن تأخذ شيئا من الكشك والبيض

والشعرية وتذهب إلى منزل الكاتب وتستعطفه ليخلص زوجها .

فتذهب الزوجة بالهدية إلى الكاتب وهو " المعلم حنا "

فتقول له : " يا معلم حنا تفضل بقبول هذه الهدية وأنقذ زوجي .

فيقول الكاتب لها : " أحضري عشرين قرشا أو ثلاثين رشوة لشيخ البلد

فتصرف وتعود بالنقود وتسلمها إلى شيخ البلد ، فيأخذها ويقول حسن جداً

وينصحها بأن تذهب إلى الناظر . فتتكحل الزوجة وتتخضب وتقصد الناظر

وتحييه وتبتسم له وتطلب منه تخليص زوجها ، وتظهر له أنها راغبة في

مكافأته على هذا المعروف .

فيقبل الناظر ويقوم بالدفاع عن زوجها ويخرجه من السجن . (١٢)

ولا شك أن هذا النوع من التمثيل كان يوضح فساد نظام جمع الضرائب

في مصر في هذه الفترة ، وانتشار الرشوة والمحسوبية .

ولم يلتفت أحد من مؤرخي مصر إلى تسجيل هذا الفن الناقد ، وهو

شبيهة بفن خيال الظل الذي كان منتشرًا في مصر في العصر المملوكي مع

وجود فارق وهو أن خيال الظل كان من وراء ستار ويستعمل الظل ، وتحدث

عنه ابن إياس في كتابه بدائع الزهور في وقائع الدهور .

ويستحدث لين عن أعياد المصريين وما فيها من خرافات في الفصول

٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨ ، وعادات سيئة واختلاط الرجال بالنساء في صور لا تمت

(١٢) لين ، ص ٢٣٥- ٢٣٦ .

إلى الإسلام بصلة كالاحتفال بيوم عاشوراء ، وهو اليوم العاشر من المحرم من كل عام وانتشار التسول في هذا اليوم وخاصة من المتسولات النساء ويرجع كثرة المتسولين في مصر إلى ميل المصريين إلى الإحسان ويقول "لين" بأنه يبدو أن تلك العادة أي الاحتفال بيوم عاشوراء نقلت عن اليهود .<sup>(١٣)</sup>

ومن الأعياد استقبال قافلة الحجاج العاندين من الحجاز ، ومن الأعياد الاحتفال بالمولد النبوي كل عام في ليلة ١٢ من ربيع الأول في بركة الأريكة ، وما يقوم به الدراويش السعدية ، حيث يركب شيخهم صهوة جواده وينام الدراويش منبطحين على وجوههم ويمشى الحصان على أجسامهم وكثيرا ما تحدث إصابات لهم ، وبعضهم لقي حتفه أو أصيب بضرر بالغ ويعتقدون خطأ أنها من الكرامات .<sup>(١٤)</sup> وتسمى هذه العملية بالدوسة .

نلاحظ أن بعض هؤلاء الرحالة له ملاحظات مغرضة وخاصة إذا كان إبان قيامه برحلة في مهمة سياسية ، وغالبية هؤلاء كان يقوم بتقديم بعض التقارير الرسمية لحكومة بلاده بعد عودته من رحلته .

## ستانلي لين بول :

ولا يفوتنا ونحن نتحدث عن إدوارد ولیم لين ، أن نتحدث عن حفيد أخته المستشرق (ستانلي لين بول) Stanley lane - poole مؤلف كتاب (سيرة القاهرة The story of cairo) والذي قام بمتابعة نشر مؤلفات لين التي مات قبل أن يتمها ، وستانلي باحث ومؤرخ للأثار العربية ، وكان يعمل أميناً لقسم النقود الأثرية في المتحف البريطاني بلندن ووضع دليلاً للنقود الشرقية في ١٤ مجلداً وأتم المعجم العربي الذي بدأه (لين) وقام برحلة إلى مصر سنة ١٨٨٣م ، واشتغل بين سنتي ١٨٩٥ - ١٨٩٧م بدراسة آثار

(١٣) السابق ، ص ٣٥٩ .

(١٤) السابق ، ص ٣٨٠ .

القاهرة تحت إشراف الحكومة المصرية ، وعين أستاذاً للغة العربية في جامعة دبلن من سنة ١٨٩٧ حتى ١٩٠٤م ، وأخرج ستانلي عدة مؤلفات نفيسة عن الشرق العربي والإسلام ي ، وكان نصيب مصر منها أوفر نصيب ومنها :

- ١- صور القاهرة ، ويصور فيه الحياة الاجتماعية في مصر Cairo sketches .
- ٢- دراسات في مسجد Studies in a Mosque يتناول الناحية الدينية من إقامة الصلاة والاحتفالات التي لا تمت إلى الدين بصلة .
- ٣- الحياة الاجتماعية في مصر Social life in Egypt (١٨٨٣) يبحث عن المجتمع المصري .
- ٤- ثم توج أعماله عن مصر بكتاب نفيس عن القاهرة كتبه في عام ١٩٠٢م تحت عنوان (تاريخ القاهرة) The Story of Cairo تحدث فيه عن القاهرة وآثارها منذ بنائها حتى عصره ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى العربية الدكتور حسن إبراهيم حسن ، د. علي إبراهيم حسن ، و إدوارد حلیم سنة ١٩٥٠م (طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية) (١٥) .

(١٥) انظر: مقدمة كتاب (سيرة القاهرة) الذي كتبها المترجمون ص ١١-١٩ .

## الفصل الرابع

### المصطلحات التاريخية

أثناء قيام الباحث بقراءة كتب مثل : "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لجمال الدين أبي المحاسن بن ثغري بردي (٨١٣-٨٧٤هـ) وكتاب "بدائع الرهور في وقائع الدهور" لمحمد بن إياس المصري (ت ٩٣٠هـ) ، وكتاب "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" لعبد الرحمن الجبرتي (ت ١٢٤٠هـ) أقول أثناء قراءة هذه الكتب تصادف الباحث بعض الكلمات الاصطلاحية من أصل فارسي أو تركي مستمدة من النظم الفارسية أو التركية إبان غلبة الأتراك وحكمهم لكثير من الدويلات الإسلامية ، وظلت هذه المصطلحات مستعملة في عصور الأتراك .

ونظراً لمعرفة الناس في تلك العصور بمدلول تلك المصطلحات فندر أن يتعرض مؤرخ من مؤرخي تلك العصور لتلك الكلمات بالشرح والتوضيح وتعيين المراد منها باللغة العربية ، ومن ثم غدت تلك المصطلحات تشكل عقبة أمام الباحثين المحدثين ، ويحتاج الباحث لحل تلك المشكلة إلى قراءة شتى الكتب في التاريخ والنظم والآثار والفنون والوظائف وكتب المصطلحات لكي يعرف معنى الكلمات مثل : (روزنامه) و (أميرآخور) و (استادار) و (جمنان) و (تفكشيان) و (أوجاق) و (برددار) و (طبردار) و (خاصكية) و (بشمقدار) وغيرها من الكلمات الاصطلاحية ، لأن معرفة المؤرخ باللغتين الفارسية والتركية قد لا تفيد كثيراً في معرفة تلك المصطلحات ، فأحياناً يكون المصطلح مكوناً من كلمتين إحداها عربية والأخرى فارسية أو تركية أو إحداها تركية

والأخرى فارسية إلى غير ذلك من التراكيب وذلك مثل : (أميرآخور) مصطلح عثماني واستعمل أيام المماليك أيضاً مركب من كلمتين إحداهما عربية (أمير) والأخرى فارسية وهي (آخور) ومعناها الاصطبل ، وكان هذا المصطلح يطلق على الشخص المنوط به أمور الخيل أي ناظر اصطبلات الخيل ، وكلمة (آخور) معناها في الأصل المزود الذي يأكل فيه الفرس ثم أطلقت على الاصطبل ، والأميرآخور متعدد ، فمنهم أميرآخور المهارة ، وأميرآخور الدشار وهو مختص بالجمال ، وأميرآخور السواقي وهو مختص بالبقر وللجميع رئيس يسمى (أميرآخور الكبير) .

وقد يختلف معنى المصطلح من عصر إلى آخر وذلك مثل : (استادار) : فهي كلمة فارسية كانت تطلق في الغالب على الذي يوكل إليه أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ والحاشية والغلمان ويمشي صحبة السلطان في رحلاته وأسفاره ، وله مطلق التصرف في بيوت السلطان وما يجري فيها من طعام وكسوة وغير ذلك من الشئون ، ولكن بالبحث في تاريخ المصطلح اتضح أن معنى (استادار) في الأصل الحاذق في صنعه، ثم استعملت في الخصبي من الآدميين ، وقد كتبت (استاد الدار) ويقال للجماعة (استدارية) وهي عند ملوك المشرق على الإطلاق رتبة من الرتب المعتمدة ، وكان حكام خوارزم يصنعون تحت إدارة الاستدار جملة أموال بعضها من الخزنة وبعضها من المديريات وتوزع بمعرفته على المخبز والمطبخ والاصطبلات والخدم ونحوها.

ويذكر تقي الدين المقرئ في كتابه "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" أن رتبة الأستاذار ظلت على ذلك حتى عهد السلطان الظاهر برفوق أيام المماليك في مصر فأقام :

"الأمير جمال الدين محمود بن علي بن أصفر عينه استاداراً ، وناظ به تدبير أموال المملكة ، فتصرف في جميع ما يرجع إلى أمر الوزير وناظر



الخاص وصاروا يترددان إلى بابه ويمضيان الأمور برأيه ، فجئت من حينئذ رتبة الأستاذار بحيث أنه صار في معنى ما كان فيه الوزير في أيام الخلفاء<sup>(١)</sup>.  
ويذكر المقرئ أن الأمير جمال الدين يوسف الأستاذار في أيام الناصر فرج به برقوق كان كالوزير العظيم لعموم تصرفه ونفوذه في سائر أحوال المملكة ، واستقر ذلك لمن ولي الاستدارية من بعده والأمر على هذا إلى اليوم "يعني إلى أيام المقرئ المتوفى سنة ٨٤٦ هـ (١٤٤٢ م) . وأطلق عليه شهاب الدين بن فضل الله العمري (ت ٧٤٨ هـ) .

وفي كتابه التعريف بالمصطلح الشريف (أستاذ الدار) وقال عنه أنه يتفقد أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها وأنواع وظائفها ويرتبها في الخدمة على ما يجب وينظر في أمورهم نظراً لا يخفى معه شيء ، وينظر في أمور السماط وأحوال المطبخ الكريم<sup>(٢)</sup> .

وهكذا فإن الترجمة الحرفية للمصطلح لا تفيد في معرفة معناه والمراد منه ، فيضطر الباحث إلى الرجوع لشتى المصادر لدراسته ومعرفة معناه في مختلف العصور الإسلامية من حيث نشأته وتطوره ، وكثيراً ما يضطره البحث إلى الرجوع إلى الوثائق الرسمية التي تخلفت عن تلك العصور ، وهي أفضل وسيلة لدراسة المصطلحات لأن الوثائق مصادر ذات دلالة قاطعة في هذا المجال .

(١) تقي الدين المقرئ ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، طبعه دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٦٨ م ، ج ٣ ، ص ٦٤-٦٥ .

(٢) شهاب الدين بن فضل الله العمري ، التعريف بالمصطلح الشريف ، طبع مطبعة العاصمة ، القاهرة ، سنة ١٣١٢ هـ ، ص ٩٦-٩٧ .

وعلى ذلك يتضح ما للمصطلحات من أهمية لدى المؤرخ فلا بد من معرفتها لكي تكف أمامه عقبة أثناء اطلاعه على المصادر التاريخية في العصور السابقة .

ومازلت أذكر ما عانيته من صعاب عند قراءتي لكتاب عبد الرحمن الجبرتي "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" لأول مرة ، فقد وقفت طويلاً أمام كثير من الكلمات الاصطلاحية "أحاول فهمها ، وكان ذلك حافزاً لي على البحث عن معناها وأصلها وعمدت إلى جمعها والرجوع إلى المصادر المختصة لفهم المراد منها ، وتكون لي بذلك رصيد لا بأس به ، وكانت تسلمني المصادر إلى بعضها ، وقد استفدت بالشروح التي أوردها علي مبارك لبعض تلك المصطلحات في كتابه المشهور "الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة" وعلى الأخص في الجزأين الثاني عشر والثالث عشر .

وعزمت على تتبع المصطلحات في أصولها الأولى ، واتضح لي أن في مقدمة الكتب التي اهتمت بتلك المصطلحات الكتب التالية :

- ١- أدب الكاتب - لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٠هـ .
- ٢- كتاب الصناعتين - لأبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ .
- ٣- الأحكام السلطانية - للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠هـ .
- ٤- قوانين الدواوين - لابن ممامه المتوفى سنة ٦٠٦هـ .
- ٥- معالم الكتابة ومغامم الإصابة - لابن شيت المتوفى ٦٢٥هـ .
- ٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر - لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ .
- ٧- البرد الموشى في صناعة الإنشا - للموصلي المتوفى سنة ٧٠٠هـ .

- ٨- حسن التوسل إلى صناعة الترسل - لابن فهد الحلبي المتوفى ٧٢٥ هـ .
  - ٩- معيد النعم ومبيد النقم - لتاج الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧١ هـ .
  - ١٠- نهاية الأرب في فنون الأدب - لشهاب الدين النويري ، المتوفى سنة ٧٣٣ هـ .
  - ١١- التعريف بالمصطلح الشريف - لشهاب الدين بن فضل الله العمري المتوفى سنة ٧٤٨ هـ .
  - ١٢- تثقيف التعريف بالمصطلح الشريف - لتقي الدين عبد الرحمن المحيي المتوفى سنة ٧٨٦ هـ .
  - ١٣- صبح الأعشى في صناعة الإنشا - لأبي العباس القلقشندي المتوفى سنة ٨٢١ هـ .
  - ١٤- واختصر القلقشندي موسوعته في مجلدين سماهما "ضوء الصبح المسفر وجني الدوح المثمر " .
  - ١٥- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار - لتقي الدين المقرئ المتوفى سنة ٨٤٦ هـ .
  - ١٦- الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة "لعلني مبارك المتوفى سنة ١٣١١ هـ (١٨٩٣م) .
  - ١٧- ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية - لحسين أفندي الروزنامجي أحد أفندية الروزنامة إبان عهد الحملة الفرنسية ١٢١٣-١٢١٦ هـ .
- ولبعض هذه الكتب الضخمة ( صبح الأعش ١٤ مجلدا ) و ( الخطيط التوفيقية ٢٠ جزء ) والمصطلحات بها متفرقة ، فيضطر الباحث إلى تجشم

الصعاب للبحث عنها في ثنانيا هذه الكتب والتتقيب عنها مما يكلفنا وقتاً ثميناً هو في حاجة إليها للتوفير علي بحثه .

ولما تحظ المصطلحات التاريخية حتى الآن بدراسة خاصة شاملة ، علي الرغم من أهميتها كوسيلة تعصم المؤرخ عن الخطأ في الفهم ، ومن الكتاب الحديث التي تناولت هذا النوع من الدراسة كتابين قيمين للأستاذ الدكتور حسن الباشا .

الكتاب الأول : " الأتعايب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار " ونشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة سنة ١٩٥٧ م .

الكتاب الثاني : " الفنون الإسلامية والوظائف علي الآثار العربية " نشرته مكتبة النهضة العربية في ثلاثة مجلدات ، القاهرة ، ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ م .

وعلي الرغم من إسهام هذين الكتابين في إلقاء الضوء علي المصطلحات التاريخية ، إلا أنهما لم يتعرضا إلي هذه المصطلحات إبان العصر العثماني ، وكان ممن أسهم بنصيب متواضع في توضيح مصطلحات العصر العثماني حسين أفندي الروزنامجي أحد رجال الروزنامه قبل الحملة الفرنسية ، وإبان حوادث الحملة ( ١٢١٣ - ١٢١٦ هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠١ م ) اهتم الفرنسيون بمعرفة طرق حكم الديار المصرية ونظام وكيفية جباية أموالها ولقي الفرنسيون عناءاً شديداً إتجاه جمع المعلومات المطلوبة ومعرفة بعض الكلمات الاصطلاحية ، وذلك بسبب فرار الباشا والروزنامجي (كبير الإدارة المالية ) واستعان مدير الشؤون المالية الفرنسية ( إستيف ESTEVE ) برجل من رجال الرومانية في مصر وهو حسين أفندي ، فأجابه علي الأسئلة التي وجهها إليه ، ونظم حسين أفندي إجاباته في ستة عشر باباً تحت عنوان ( ترتيب الديار المصرية في عهد الدولة العثمانية ) ، وقد فرغ من تأليفها بتاريخ ١٣ من المحرم سنة ١٢١٦ هـ (أواخر مايو سنة ١٨٠١ م) أي قرب

إنهاء العهد الفرنسي ، وتقع هذه الأبواب في خمس وسبعين صفحة في مجلد مخطوط بقلم معتاد محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٥٢ (تاريخ) .  
وقد ذكر حسين أفندي كثيراً من المصطلحات التاريخية العثمانية في مصر بهذه المخطوطات ومن ثم استحق لقب "مؤرخ النظم المصرية في العصر العثماني" وقد استندت من هذه المخطوطة في إخراج بحث حول (وثائق مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني) وذلك عندما عقدت مقارنة بين مبالغ الصرة الشريفة التي وردت في الوثائق الرسمية وبين المبالغ التي ذكرها حسين أفندي في مخطوطته لأوقاف الحرمين الشريفين ، ومعرفة ما يعرف من هذه المبالغ في مصر على إدارتها ، وما يرسل إلى أهالي الحرمين ، وقد قام الأستاذ شفيق غربال بشرح مخطوطة حسين أفندي والتعليق عليها في مقالة قيمة تعتبر إسهاماً في حقل المصطلحات ، ونشرها في مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة (المجلد الرابع - الجزء الأول مايو ١٩٣٦م) .

وسنحاول فيما يلي إلقاء الضوء على بعض الألفاظ الاصطلاحية ، وقد استقينا مادتنا العلمية عنها من معظم المصادر السالفة ، وخاصة كتابات ابن فضل الله العمري والقلقشندي وعلي مبارك والدكتور حسن الباشا ، وحسين أفندي الروزنامجي .

البازدار : هو خدام جوارح الصيد من البازات والصقور (٣) .  
زمام دار : أصله (زنان دار) مركب من كلمتين فارسيتين ، زنان معناها البناء ودار ماسك أو ممسك فحرفته العامة إلى (زمام دار) وفسروه بقائد

(٣) علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ٣٥ .

النساء ، وهو كبير الخدم الذي يخاطب الملك في تعلقات الحريم (٤)

الخوندات : جمع (خوند) أو (خونده) وهي جارية الملك التي ولدت منه ، ونساء مصر يطلقونها على زوجة الملك ، فيقال صارت خوند الكبرى (٥) .

الخواتين : جمع (خاتون) من نساء الملوك وكان يعبر عنهن في أيام علي مبارك بالخوندات .

الزردخانة : لفظة كانت تطلق على السلاح كما كانت تطلق على خزانة السلاح (٦) .

الدهاليز : الخيام واحدها (دهليز) أي خيمة (٧) .

أمير شكار : خادم الصيد (٨) .

البغلطاق : الثوب المفرج أو القباء الكبير ، وفي مسالك الأبصار يقال : لبسوا البغلطيق تحت فراريجههم (٩) .

قراسنقر : معناها سنقر الأسود ، و (آق سنقر) معناها سنقر الأبيض ، وهي ألقاب لبعض الأمراء ، وأخذوه من اسم طير يستعمله ملوك المشرق في الصيد ، اسمه سنقر ، وجمعه سناقر ، ويقال في سنقر : شنقوره ، وشنقار ، وشنكفور (عند التتار) وهذا الطير أمير الطيور ، وهو كالشاهين ، وهو أعظم الجوارح صيداً (١٠) .

(٤) ، (٥) المرجع السابق ونفس المكان .

(٦) ، (٧) المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٤ .

(٨) ، (٩) المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٣٤ .

(١٠) المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٧٨ .

مشد : وأحياناً بالآلف واللام (المشد) بمعنى المفتش وبمعنى ملاحظ وقد يعين في تحصيل الإيراد ، ويقوم بالقبض على من يتخلف عن دفع الأموال الميرية فاسمه مشتق من عمله وهو الشد على يد المخالفين أي القبض عليهم<sup>(١١)</sup> .

شدداد : وتطلق على أيام علي مبارك على السانس (خادم الركوبة)<sup>(١٢)</sup> .  
الطبلخانة : اسم لعدة من الوقوف وغيرها من آلات الموسيقى ، وكانت تضرب في ساعات معلومة من اليوم على باب السلطان وأبواب أكابر الأمراء وعليها رئيس يسمى المهتار ويقال (أمير طبلخانة) أي أمير يكسبه مقامه أن تدق على بابه الطبول ، ويعطيه السلطان تلك المزية ، وفي كتاب الإنشاء : أمراء الطبلخانة هم كل أمير يكون تحت إمرته أربعون فارساً فأكثر ، فهؤلاء كان لهم الحق بأن تدق لهم الطبول عند قدومهم أو في أوقات معينة لهم ، وقد بطل ذلك في القرن التاسع الهجري إلا عند توجه أحد الأمراء لأمر مهم فتضرب عند سفره وفيه أيضاً أن أمراء الطبلخانة كانوا أربعة وعشرين كل منهم يحكم على مائة مملوك وألف عسكري فلذا يقال: أمير مائة ومقدم ألف وفي بدائع الزهور لابن إياس أن دق الطبول على أبواب الأمراء قد انقطع من وقت دخول السلطان سليم مصر . ومن بقايا هذا الأمر ما هو موجود في الجيش الآن من أن بعض القادة يضرب لهم (البروجي) وقت تشريفهم<sup>(١٣)</sup> .

أمير آخور : كلمة فارسية مركبة من (أمير) وهي كلمة عربية و (آخور) كلمة فارسية معناها المذود الذي يأكل فيه الفرس ومعناها الاصطبل ،

(١١) ، (١٢) المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

(١٣) المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

وكانت تطلق على الشخص المنوط به أمور الخيل أي ناظر اصطبلات الخيل ، و (سلاضور) أصله (سراضور) المنوط به مؤونة الخيل ، وهو تحت إدارة الأميراخور ، والأميراخور متعدد ، فمنهم أميراخور المهارة ، وأميراخور الدشار وهو مختص بالجمال ، وأميراخور السواقي وهو مختص بالبقر ، وللجميع رئيس يسمى (أميراخور الكبير) <sup>(١٤)</sup> .

التشاهير : طقومة الخيل ، يقال أهدها فرساً بتشاهيره أي بعدته <sup>(١٥)</sup> .  
الدوادار : معناها بالفارسية ماسك الدواة ، فإن لفظ (دار) معناها ماسك ، وكان للدوادار نائب يقال له (حامل المزرة) وهي كيس توضع فيها الأوراق طوله في العادة نحو ذراعين وعرضه نحو ذراع وثلاث تتخذ من القماش المحرر الصافي وتبطن ويجعل في قمها علاقة من الخيط المقتول تجمع به فوهتها ، وأحيل (مزره) = (مزرة) وهي كيس تعد لحفظ الأوراق السلطانية <sup>(١٦)</sup> .  
الجمدار : معناها ماسك البيجة التي للقماش لأن (الجمي) فارسية بمعنى البيجة و (دار) معناها ماسك ، والجمدار بذلك هو المشرف على شنون الملابس والأقمشة <sup>(١٧)</sup> .

بشمقدار : هو ماسك نعل الملك أي خادم نعله <sup>(١٨)</sup> .  
علاج دار : هو معلم العسكر استعمال السلاح <sup>(١٩)</sup> .  
الخاصكية : هم الذين يلازمون السلطان في خلواته وخولاته ، فاسمهم مأخوذ من الاختصاص ، وهم الذين يسوقون المحمل الشريف ، ويجهزون

(١٤)، (١٥) المرجع السابق ، ج ١٠ ، ص ٨٠ .

(١٦) المرجع السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٧ .

(١٧)، (١٨)، (١٩) ، المرجع السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٧ .



المهمات الشريفة ، ويترقون للإمارة ، وكان عددهم أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أربعين خاصكياً ، ثم ازدادوا حتى صاروا في زمن الملك الأشرف برسباس نحو ألف ، وقال صاحب ديوان الإئتشاء إنما سموا (خاصكية) لأنهم يختصون بالملك ويميزون عن غيرهم بحمل السوف ولباس الطرز المزركشة والتألق في الملابس والمركوب ولهم الرزق الواسع والعطايا الجزيلة ويدخلون على الملك من غير استئذان<sup>(٢٠)</sup>.

وكان في مصر نوعين من الأوقاف المرصود على الحرمين الشريفين يطلق عليهما نلفظ الخاصكية ، فالأول : هو وقف الخاصكية المستجدة لوالدة السلطان أحمد خان ، والثاني : هو وقف الخاصكية ، القديم ، وكان أمير الحج المصري في العصر العثماني يحمل معه كل عام إلى الحجاز صرة من ريع هذه الأوقاف وبعض الغلال التي كانت تسمى غلال الحرمين .

**الدشيشة** : الدشيشة في الأصل حسو يتخذ من برمرضوض وتطبخ بزيت أو دهن ، وكان يطلق على أوقاف الحرمين في مصر أوقاف الدشايش مع أن الأوقاف كانت لإطعام أهالي الحرمين الدشيشة وغيرها ، وتعتبر أوقاف الدشيشة الكبرى لكل من السلاطين المماليك (حَقْمَق وقايتباي والغوري) من أضخم الأوقاف الإسلامية على الحرمين الشريفين ، فقد كانت كميات هائلة من القمح ترسل من مصر سنوياً للحجاز لعمل الدشيشة التي تفرق على طلاب العلم الشريف في الربط والزوايا ، والمساجد والمدارس في مكة والمدينة وعلى

(٢٠) المرجع السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٧ .

غيرهم من الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والأفاقية (الغرباء)

المحمل : يطلق في الأصل على الجمل الذي يحمل الهدايا إلى الكعبة ، وكان يزين بأبهى زينة ، ولما بالغوا في زينته ، أصبح الجمل لا يستطيع أن يحمل سوى كسوته ، فقد أصبحت كسوة المحمل في عام ١٣٠٨هـ مع هيكله الخشبي لا تقل عن أربعة عشر قنطاراً ، وصار ما كان يحمل عليه من الهدايا يحمل في صناديق على جمال أخرى تسير مع قافلة الحج .

بركة الحج : ويقال لها (البركة) و (بركة الحجاج) وعرفت بالبركة لانخفاض أرضها عن منسوب الأراضي الزراعية المجاورة لها ، ووردت في قوانين ابن مماتي وفي تحفة الإرشاد باسم (بركة الجب) واسمها القديم (جب عميرة) وهي من ضواحي القاهرة تقع في الشمال الشرقي منها ، قدر علي مبارك بعدها عن القاهرة بنحو خمس ساعات ، وقدر (إدوارد وليم لين) بعدها عن القاهرة بمقدار ١١ ميلاً ، وقال عنها المقرئزي : "بركة الجب هي بظاهر القاهرة من بحريها وتسميها العامة في زماننا (بركة الحج) لنزول الحجاج بها عند مسيرتهم من القاهرة إلى الحج كل سنة ، ونزولهم بها عند العودة ، ومنها يدخلون القاهرة ، وكانت متنزها للموك والأمراء الفاطميين والأيوبيين والمماليك" ، وجرت العادة في العصر العثماني أن قافلة الحج المصرية كانت تتجمع عند بركة الحج وتنصب هناك خيمة لأمير الحج تسمى (صيون) وفيها يتسلم أمير الحج المصري صرة (أي مقدار من المال) لكل وقف من أوقاف الحرمين بمصر ، وتأخذ الحكومة عليه إشهاداً خاصاً بكل صرة

على حدة ، كما تأخذ عليه الحكومة إشهاداً (حجة شرعية) خاصاً بالصرة الميري (الحكومية) أي المعتاد إرسالها من الحكومة المصرية إلى أهالي الحرمين الشريفين ، وتلك الإشهادات عبارة عن وثيقة مكتوبة بحضور شهود من كبار رجال الدولة والعلماء وبعض موظفي الديوان العالي وكتبة الصرة الشريفة الذين يقومون بتحرير تلك الوثائق بإملاء روزنامجي الديوان العالي (رئيس الكتبة بالديوان العالي) (٢١) .

الخشداش : هو الخصيص والصاحب ، وهي كنمة فارسية أصلها (خواجه تاش) وتدل في استعمال ممالك مصر على مملوك كان مع رفيقه في خدمة أمير ويجعلها الجبرتي خشداشية أي الرفاق في خدمة أمير معين (٢٢) .

كاتب الدست: هو كاتب الإنشاء أي كاتب مراسلات السلطان ، ولقب بذلك إضافة إلى دست المملكة وهي مرتبة جلوسه بين يدي السلطان ومن معاني الدست حملة من الورق قدرها ٢٥ فرخاً ، كالرزمة في هذه الأيام على سبيل المثال .

الطبردارية : هم البلطجية ، لأن (الطبردار) هو ماسك البطو بالفارسية وذكر صاحب كتاب الإنشاء أن الطبردارية من أولاد الجند ولهم أمير ومهمتهم أنه في حال ركوب الملك يكونون حوله مستعدين لضرب

---

(٢١) علي مبارك ، الخطط التوفيقية ، ج ٩ ، ص ١٦ ، ١٧ وانظر أيضاً المقريري ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج ٢ ، ص ٥٨٣-٥٨٥ ، وانظر أيضاً إدوارد وليم لين ، المصريون المحدثون شمالهم وعادتهم ، ترجمة عدلي طاهر نور ، ص ٤١١-٤١٢ .

(٢٢) علي مبارك ، مصدر سبق ذكره ، ج ١١ ، ص ٢٨ .

من يقدم على الضرب منه بغير إذن وهم عشرة وأميرهم يسمى :  
(أميرطبر) (٢٣) .

برددار : معناها بالفارسية ماسك الستارة ، ومهمته الإشراف على ستائر السلطان.

الأوجاق : كلمة تركية (في الاستعمال العربي الوجاق) وهي في الأصل الموقد وتطلق على الطائفة من الجند ، والنسبة إليها (أوجاقلو) وفي الاستعمال العربي (وجاقل) وتجمع على (وجاقلية) وكان في مصر إبان العصر العثماني سبعة أوجاقات يكونون الحامية العثمانية بها وهم العنصر الفعال في حكومة مصر، وهم الفرق الآتية :

١- المتفرقة : في الأصل التركي القديم كانوا أصحاب نوع من الإقطاعات وخدمتهم في مصر حفظ القلاع الخارجية عن القاهرة مثل العريش والإسكندرية ودمياط وأبو قير وأسوان وأبريم وغيرها وللقلع المذكورة أنفار معلومين ولهم مرتبات من حكومة القاهرة ، وجعلت الحكومة في أوجاق المتفرقة (معمارباشا) ومهمته الإشراف على المهندسين والبقائين وسائر ما يتعلق بالعمارة ومنهم (قافلة باشا) ومهمته تشهيل القوافل ، ويقوم العمال من العربان لحمل الأحمال وله عوائد على القوافل ومن أصل محصول الأوجاق ، ومنهم (الججي) في الأصل التركي (جبه جي باشي) ويشرف على صناعة البارود المطلوب لحفظ القلاع ، وكان يستخرج أذى ذلك من الكيماويات المختلفة عن المدة والقرى المتخربة وما يقدمه الججي من البارود يخصم له ثمناً من مصروف الحكومة .

-٢-

الجاوشان : جمع جاوش وهو الفارس ، ومنهم أرباب الديوان العمومي الذين حضور الديوان لتحصيل الأموال الميرية ، ومنهم كـتخدا جاوشان ، وأمين الشون ويطلق عليه أيضاً (الأمين الأتبار) الذي يشرف على شون الغلال الأميرية ، وكانت لهذه الوظيفة أهميتها نظراً لأن الجزء الأكبر من أرض الصعيد كان يجبي ماله غلالاً ، وكانت لأمين الشنون عوائد على كل ملتزم يؤدي المال غلالاً ، هذا إلى جانب أنه كان مسموحاً له بأن يستعمل عند صرف الغلال من الشنون لمستحقها كيلا أصغر من الكيل الذي يستعمله عند الاستلام من دافعي الضرائب والفرق بين الكيلين له ، وعليه في مقابل ذلك بعض الأموال التي يدفعها لديوان السلطان ومنهم المحتسب : أي أن المحتسب كان يختار من الجاوشية ، ولم يكن من المتفقهين في الدين كما هو الأصل في الحسبة ، ومهمة المحتسب ضبط الأسواق ، وفي هذا أيضاً توضيح لمعنى الحسبة الأصلية .

٣- جمليان : هو تحريف لجنليان جمع فارس للكلمة التركية (جنللو) نوع من الفرسان لحفظ الجسور السلطاني .

٤- تفكشيان : هو تحريف الكلمة (تفكجيان) ومفرده (تفكجي) وهو الجندي المسلح بالبندقية .

٥- الجراكسة : وتلفظ أحياناً (الشراكة) وهم فرقة تكونت من فرسان الممالك الجراكسة .

وقد أطلق على هذه الأوجاقات الثلاثة (جمليان تفكشيان جراكسة) اسم الأسباهية أو الخيالة ، ومهمتهم مهمة إشراف تام في

القاهرة على الباشا ورجاله بواسطة كبار الأوجاقات المقيمين فيها ، وفي الأقاليم بواسطة من يقيم في الأقاليم من رجال هذه الأوجاقات .

٦- المستحفظان : وهم رجال الحفظ بالقاهرة ، وهم من جند الإنكشارية ولهذا أطلق عليهم حسين أفندي الروزنامجي ( مؤرخ النظم العثمانية في مصر إبان العصر العثماني ) اسم : ( أوجاق الإنكشارية ) وقال بأن هذا الأوجاق وهم أوجاق السلطان لأنه تحت طلب السلطان ، وإنما الإنكشارية له الرياسة العليا على ضبط مدينة القاهرة ، وينسب لهذا الأوجاق عدد من أكبر أصحاب المناصب ، منهم : ( الكتخدا ) وكيل الباشا ، ومنهم ( سردار الحاج ) و ( سردار الخزنة ) وكان رجال المستحفظان يقيمون في قلعة صلاح الدين بالقاهرة . وقد خصص السلطان عواد الأوجاق الإنكشارية رسوم بعض الجمارك بعد دفع نصيب الحكومة منها ، فقد أعطى لهم المتحصل من رسوم جمارك مصر العتيقة ( الفسطاط ) وبولاق والإسكندرية ودمياط بشرط تأدية نصيب منه للسلطان ، ولكن قبيل الحملة الفرنسية غصب هذه الجمارك أمراء المماليك .

٧- العزيان : أو أوجاق العزب ، وهم طائفة كانت في الأصل من جنود البحرية ، ومنهم أمين البحرين وأمين الخردة وسيأتي بيانهما ، وجعل لهم السلطان إيراد البحرين والخردة بعد الميري (٢٤) .

اختيارية الأوجاق : هم المسنون من رجاله وأقدمهم ( باش اختيار ) أي رئيس الاختيارية .

(٢٤) انظر: محمد شفيق غريال ، مقال عن مصر عند مفرق الطرق ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة المجلد الرابع والجزء الأول ، عدد مايو ١٩٣٦ م ، وقد شرح محمد شفيق غريال مخطوطة ترتيب الديار المصرية لحسين أفندي الروزنامجي سألقة الذكر .

أغاوات الأوجاق : هم ضباط الأوجاق ولهم رئيس أغا الإكشارية أو أغا العزبان ... إلخ ، ولالأوجاق (كتخدا) أي وكيل وله كاتب أيضاً وهكذا ، وكان لأصحاب الرياسة في الأوجاقات حضور جلسات الديوان ، وكان للديوان في هذا العصر معنيان : الأول : يفيد معنى الديوان الثابت ، والثاني : يفيد مجرد اجتماع هذا الديوان الثابت ، والديوان الثابت الذي كان لباشا مصر لم تكن العضوية فيه مقررة بالتحديد كما هو الحل في البرلمانات الحديثة مثلاً ، بل كان المفروض أن يحضره الصناجق وضباط الأوجاقات وكبار أصحاب الوظائف والعلماء وكبار التجار ، وأرباب السجاجيد وغيرهم من الوجهاء والمفروض أن يجمعه الباشا لكل أمر مهم، وكانوا يميزون بين ديوانين : أولهما الديوان الخصوصي : وتغلب عليه الصفة التنفيذية ، والثاني الديوان العمومي : ويجتمع فيه الأعضاء لتداول الرأي وله صفة استشارية في الغالب أي أن آراء أعضائه ليست ملزمة للوالي .

أمين البحرين : البحرين عبارة عن ساحلي بولاق ومصر العتيقة (الفسطاط) ويشرف أمين البحرين على الرسوم المفروضة على الغلال الواردة لهذين الساحلين ، وعلى السفن التي تسير في النيل وفروعه والبحيرات .

أمين الخردة : الخردة عبارة عن رسوم كانت مفروضة إبان العصر العثماني على الملاهي والنساء "العوالم" والحواة ومن يماثلهم ، وقد تعددت هذه الرسوم في السنين القريبة من الاحتلال الفرنسي ، بدرجة جعلت من المستحيل على ولاية الأمور إبان عصر الحملة الفرنسية تحديدها .

أمين الأنبار : هو أمين شئون الغلال والأنبار هي الغلال ، وكان يشرف على شئون الغلال الأميرية وهو من أوجاق الجاوشان .

الوالي : كان لهذه اللفظة في العصر العثماني عدة إطلاقات ، فهي تطلق أحياناً على الباشا العثماني أي والي مصر من قبل الدولة العثمانية ، وكانت تطلق على رجل وظيفته صيانة الأمن في القاهرة ، وكان هناك ثلاثة ولايات من هذا القبيل : واحد للقاهرة ، وآخر لبولاق ، وثالث للفسطاط وكانوا جميعاً تحت رئاسة آغا الإتكشارية وبمضي الزمن أصبحت لوالي القاهرة رئاسة على زميليه .

قاضي عسكر أفندي : هو قاضي القضاة في مصر إبان العصر العثماني ، قال عنه حسين أفندي الروزنامجي : هو نائب السلطان في الأحكام الشرعية ، ومذهبه حنفي ، فقد كان من نتائج الفتح العثماني لمصر أن عهد السلطان برياسة القضاء في مصر لقاضي غير مصري (تركي غالباً) يعينه السلطان لإدارة شئون المحاكم المصرية في العصر العثماني وتعيين النظر على الأوقاف وله حق حضور الديوان الخصوصي ، وكان يتبعه بعض المترجمين ، ومقره في محكمة الباب العالي بحي بين القصرين بالقاهرة وتنتعه الوثائق الرسمية بأنه "سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام علامة الإمام قاموس البلاغة ونبراس الأفهام أشرف السادة الموالى الأعالي الأعززة الكرام الناظر في الأحكام الشرعية وقاضي القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه الكريم أعلاه دام علاه أمين" .

وكان النظام القضائي بمصر إبان عصر المماليك يحكم بمقتضى المذاهب الأربعة (الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي) ونظراً لأن الدولة العثمانية كان النظام القضائي بها على المذهب الحنفي ، فقد



تغير النظام القضائي بمصر بعد الفتح العثماني وأصبح طبقاً لمذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة ، وبقي قاضي عسكر أفندي يعين من طرف السلطان إلى عهد الحملة الفرنسية حين عين الفرنسيون قاضياً من علماء الأزهر هو الشيخ أحمد العريشي الرئاسة القضاء ، وبعد جلاء الحملة الفرنسية عن مصر عاد الأمر إلى ما كان عليه واستمر كذلك إلى أن قطعت بريطانيا علاقة مصر بالدولة العثمانية سنة ١٩١٤م عندما قامت الحرب العالمية الأولى .

وكان لهذا القاضي التركي نواب في القاهرة والأقاليم يطلب على كل منهم اسم "مأذون" و أحياناً "مأذون مولانا قاضي أفندي" وفي رسالة خطية بدار الكتب المصرية ، كتبها الشيخ أحمد العريشي تتضمن إجاباته عن أسئلة وجهها إليه الفرنسيون ، بها تعريف بنظام القضاء إذ ذاك وأسماء بعض القضاة النابيين عن القاضي الأكبر وتعيين محالهم ، ويختلف القضاء في العهد العثماني المملوكي عن القضاء في عهدنا في أن القاضي لم يكن له ولا لتابعيه من كتاب ورسول مرتب شامل كما هو الحال الآن ، بل كان للقاضي عوائد من أصحاب الدعاوى ، ومن هذه الموارد كان القاضي يعرف على جهاز القضاء (٢٥) .

أرباب الساجيد : قال عنهم حسين أفندي الروزنامجي (مؤرخ النظم العثمانية في مصر إبان العصر العثماني) : "لهم مقامهم وإكرامهم لأجدادهم ، ورتب لهم السلطان ترتيباً عظيماً ، وأعطى لهم بلداً ، ومكنهم فيها ، ويحضرون في الديوان الخصوصي ، والمشورة لهم في

(٢٥) انظر: أحمد العريشي قاضي عسكر بمصر إبان الحملة الفرنسية ، دفتر علم وبيان طريق القضاء وأسماءهم بمصر المغروسة وأقاليمها ، مخطوطة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم ٣١٥١ (تاريخ) .

جميع الأمور ، ولهم على الباشا فراوي سمور في وقت مقابلته وفي وقت طلوع القلعة "وذلك لتنهئته بالمناسبات الدينية والأعياد الإسلامية . وكان بمصر أربع سجاجيد على عهد الحملة الفرنسية وهم :

- ١- سجادة السادة البكرية وشيخها الشيخ خليل البكري ويرجعون نسب أسرتهم إلى أبي بكر الصديق .
  - ٢- سجادة السادة الوقائية : وشيخها محمد أبو الأنوار السادات ويرجع نسبه إلى سيدنا علي بن أبي طالب .
  - ٣- سجادة السادة العنانية : وشيخها الشيخ العناني ويرجع نسبه إلى عمر بن الخطاب .
  - ٤- سجادة السادة الخضيرية : وشيخها الشيخ الخضيرى ويرجع نسبه إلى الزبير بن العوام .
- ومن الملاحظ أن الشيخين الأولين كانا يقدمان أحياناً في الذكر على شيخ الأثر إبان العصر العثماني (في وثائق العصر) وذلك لأن وراءهما جمهور غفير من أرباب الطرق الصوفية في العصر العثماني لرواج التصوف والدروشة في ذلك العصر<sup>(٢٦)</sup> .
- أرباب الأثاير : هم أرباب الطرق الصوفية أي مشايخ الطرق الصوفية ، وكل طائفة منهم معروفة بإشارة خاصة يزينون بها صدورهم ويجمعون أنفسهم في مسيرات ضخمة في موالد الأولياء بالقاهرة والأقاليم .
- شيخ البلد : هو زعيم المماليك في العصر العثماني وكان يتركز بمماليكه في القاهرة .

(٢٦) انظر: محمد شفيق غربال ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤ .

**القلقات :** جمع قلق تحريف عربي للتركية قوللق ، وهو مركز العسكر في العصر العثماني أو ما نسميه الآن نقطة الشرطة ، وتطلب الدلالة على مركز العسكر نفسه وعلى الضابط أو أحد رجاله أحياناً .

**صنّجق :** ويكتبها الجبرتي أحياناً (سنجق) و (سنجاق) وتجمع على (سناجق) أو (صناجق) وهي من التركية سنجاق وهو العلم أو قسم من ولاية كبيرة كما تطلق على الحاكم لقسم من ولاية ، وقد تكون السنجقية أيضاً مجرد رتبة ، وصنّجق طبلخانة بجمع بين مصطلحين : مصطلح عثماني ومصطلح مملوكي ، فبعض الأمراء في دولة المماليك كانوا أمراء طبلخانة أي يكسبهم مقامهم أن تدق لهم الطبول وغيرها من الآلات الموسيقية التي تتكون منها طبلخانة السلطان وكان في مصر ٢٤ سنجقاً تعين منهم الأستانة سناجق الثغور المهمة (الإسكندرية - دمياط - السويس) وأهم السنجقيات في مصر في العصر العثماني هي : (جرجا والشرقية والغربية والمنوفية والبحيرة) .

**كاشف :** الحاكم الذي لم يبلغ مرتبة المستجفية يطلق عليه (كاشف) وعلى المنطقة التي يحكمها اسم (كشوفيه) أما عن عوائد حكام المديريات من صناجق وكشاف ، فقد كان أهم مورد لهم هو مال الكشوفية المقرر على الأراضي الزراعية ، والكشوفية كانت قديمة وجديدة ، ويتكون كل منها من مفردة ، وكان على الصناجق والكشاف مال ميري يؤدونه للحكومة نظير وظائفهم .

**استادار :** كلمة غير عربية ومعناها في الأصل الحاذق في صنعته ، ثم استعملت في الخص من الأدبيين ، وقد تكتب (أستاذ الدار) و (أستادار) ويقال للجماعة استدارية ، وهي عند ملوك المشرق على

الإطلاق في العصور الوسطى رتبة من الرتب المعتمدة ، وكان ملوك خوارزم يصنعون تحت إدارة الاستادار جملة أموال بعضها من الخزنة وبعضها من المديرية وتوزع بمعرفته على المخبز والمطبخ والاصطبلات والخدم ونحوها .

وقال صاحب مالك الأبصار والمقريري ، كان لاستادار العالية التكلم على جميع السرايات فيرتب ما يلزم للمطبخ والمشروبات والخدم والغلمان ، وكان يمشي في الأسفار تبع السلطان ومعه جملة من الغلمان ، ويتكلم أيضاً على الجاشنكيرية (المشرفين على طعام السلطان) مع أن رئيسهم يساويه في الرتبة ويحكم مثله على مائتين من الرجال ، وله أيضاً طلب النقود والكسوة ولوازم السرايات ، واستمر ذلك إلى زمن السلطان الملك الظاهر برفوق ، فقلد الأمير جمال الدين محمود بن علي وظيفة الاستادارية ، وأضاف إليه إدارة المالية في جميع المملكة وما يتعلق بوظيفتي الوزارة وناظر الخاص ، فكانت وظيفة من حينئذ أعلى الوظائف حتى وصلت إلى ما كانت عليه الوزارة أيام الخلفاء .

وأطلق عليه صاحب كتاب التعريف (استاذ الدار) وقال عنه أنه يتفقد أحوال الحاشية على اختلاف طوائفها وأنواع وظائفها ويرتبها في الخدمة على ما يجب وينظر في أمورهم نظراً لا يخفي معه شيء ، وينظر في أمور السماط وأحوال المطبخ الكريم (٢٧) .

(٢٧) انظر: المقريري ، المواعظ ، مصدر سبق ذكره ، ج ٣ ، ص ٦٤-٦٥ ، وانظر أيضاً : ابن فضل الله العمري ،

مصدر سبق ذكره ، ص ٩٦-٩٧ .

الترسيم : هذا المصطلح كثر استعماله في عصر المماليك ، وكثيراً ما يورده ابن إياس وهذه الكلمة تعني القبض على شخص من أجل دفع مبلغ من المال ومراقبته حتى يتم تدبيره ودفعه (٢٨) .

خوئكار : من ألقاب سلاطين السلاجقة والعثمانيين في آسيا الصغرى التي كانت تسمى بلاد الروم ، وتكتب هذه اللفظة أحياناً "خاكار" مختصرة من "خداوندكار" بمعنى السيد أو الأمير .

مهم : كلمة تطلق على الاحتفال الكبير الذي يلم فيه المحتفل لضيوفه وكان في العصر العثماني تطلق على الحفل الذي يقام بمناسبة عرس أو طهور أو غير ذلك من المناسبات السارة .

ويقول الجبرتي في حوادث سنة ١١٩٠ هـ : "وفيها شرع الأمير اسماعيل بك في عمل مهم لزواج ابنته وهي من زوجته هائم بنت سيدهم إبراهيم كتحدا الذي كان تزوجها في سنة ٧٤ بالمهم المذكور في حوادث تلك السنة ، وكان ذلك المهم في أوائل شهر ذو الحجة وكان قبل ذلك المهم حصل بينه وبين مراد بك منازعة أو مخاصمة " (٢٩) .

الأمرء القبالي : (أو القبليين) يستعملها الجبرتي كثيراً ويقصد بها أمرء المماليك المعتصمين بالصعيد "الوجه القبلي" لمناوأة سلطة القاهرة

يقول الجبرتي في حوادث سنة ١١٩١ هـ : "في يوم الاثنين ثامن" (أي ثامن ذي القعدة) سافرت تجريدة لجهة الصعيد للأمرء القبالي لأنهم تقفوا واستولوا على البلاد وقبضوا الخراج وملكوا

(٢٨) ابن إياس ، مصدر سبق ذكره ، ج ٤ ، ص ٢٨٥ .

(٢٩) الجبرتي ، عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ٣ .

أمن جرجا إلى فوق ... ومنعوا ورود الغلال حتى على سعرها ،  
فعينوا لهم التجريدة وسر عسكرها رضوان بك (٣٠) .

التجريدة : في النص الثالث هي الحملة .

سر عسكر : مكونة من لفظين (سر) وهي تركية بمعنى الرأس أو الرئيس و  
(عسكر) العربية فيكون معناها : رئيس العسكر أو قائدهم ، وقد  
تكتب أحياناً (ساري عسكر) و (صاري عسكر) .

التحجير : كلمة عربية مأخوذة من (الحجرة) ومعناها تحديد إقامة الشخص  
في منزله لا يفارقه ، والجبرتي يذكرها في مواضع كثيرة من كتابه  
بهذا المعنى (٣١) .

الفائظ : هي كلمة (الفائض) العربية قلبت فيها الضاد إلى ظاء جرياً على  
عادة النطق التركي كما في (ضابط) تنطق بالتركية (ظابط) و  
(مضبوط) تنطق (مظبوط) وهكذا ، والفائظ هو الفرق بين حسيلة  
الضرائب التي يجمعها الملتزم من الفلاحين وبين المبلغ الذي  
يورده لخزانة الحكومة ، ويذهب هذا الفائظ إلى جيب الملتزم ، ثم  
استعملت بعد ذلك في كل زائد عن الأصل وأطلقت على فائض الربا  
أو القرض بمنفعة .

التكسية : تطلق على المكان الذي يسكنه الفقراء وال دراويش وغالبهم من  
الأغراب المنقطعين للعبادة وليس لهم كسب ، وتوزع عليهم  
الأطعمة والمرتببات الشهرية من الأوقاف العامة أو من أوقافهم  
الخاصة ، وكثر انشاء التكايا في العصر العثماني .

(٣٠) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٥ .

(٣١) المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠ .

**الخانقاه** : كلمة فارسية مركبة من لفظتين : (خان) أي منزل أو مكان ، و (قاة) بمعنى الصفاء والنقاة الروحية ، وقد أطلقت على البيوت التي أقيمت منذ القرن الخامس الهجري لإيواء المتصوفين وأقيم عدد كثير منها في أيام المماليك منها :

١- خانقاه الأشرف السلطان برسباي (٨٣٥هـ) بالقرافة الشرقية.

٢- خانقاه بيبرس الجاشنكير (٧٠٦-٧٠٩هـ) بشارع الجمالية بالقاهرة المعزية .

٣- خانقاه سعد الدين بن غراب بدرب الجماميز (٨٠٣-٨٠٨هـ).

٤- خانقاه الناصر فرج بن برقوق (١٤٠٠-١٤١١م) بالقرافة الشرقية وهي أكبر بناية أثرية في قراغات مصر<sup>(٣٢)</sup> .

**الرباط** : كان الرباط في الأصل نوعاً من المباني يسكنه المجاهدون الذين يدافعون عن الإسلام وانتشر على وجه الخصوص في شمال أفريقيا ، ومعظمها أبنية مستطيلة الشكل وتوجد في أركانها أبراج للمراقبة ، ولما زالت عن الربط صفاتها العسكرية ، أصبحت مكاناً للتعشيف والعبادة ويسكنها الصوفية كالخانقاوات<sup>(٣٣)</sup> .

**البطجي** : كلمة تركية وتطلق في الأصل على الشخص الذي يسير مع العسكر لأجل تسهيل الطريق بقطع الأشجار (بالبلطة) وإقامة الحصون و (البطجية) جماعة كانوا يتبعون السلطان في تجواله يحملون البلط لرد أي اعتداء مفاجئ على السلطان ، واستعملت

(٣٢) د. عبد الرحمن زكي ، موسوعة القاهرة ، ص ٩٦-٩٩ .

(٣٣) النظر: المقرئزي ، المواعظ ، ج ٣ ، ص ٤٦٧ ، وانظر أيضاً د. عبد الرحمن زكي ، موسوعة القاهرة ص ١١٣ .

لفظة البلطجي أخيراً للدلالة على الفتوة الذي يعتمد على قوته في سلب مال الناس والاعتداء عليهم ، كما تطلق على الشخص الذي لا يهتم بأداء الحق إلى صاحبه (٣٤) .

أناضول : كلمة تركية من أصل يوناني (أناتولي) أي المشرق وكان اليونانيون يطلقونها على كل ما يقع شرق القسطنطينية . (أي آسيا الصغرى) ثم نطقها الأتراك أناضول ، وقيل معناها في التركية الوطن الأم ، وقد أطلق العرب على الأناضول (بلاد الروم) وكل من يأتي منها (رومي) .

الروملي : كان الأتراك يطلقون اسم (روملي) على شبه جزيرة البلقان والكلمة مكونة من لفظتين (روم) و (إيلي) ومعناها بلاد الروم ، وذلك كقولهم (عثماني) و (استانبولي) . . . إلخ .

أفندي : تركية معناها سيد و (أفندم) معناها سيدي .

دولتو : (لو) المضافة إلى الألقاب تركية بمعنى صاحب فيكون معنى (دولتو) صاحب الدولة وهكذا (سعادتلوت) صاحب السعادة ، و (فضيلتلوت) صاحب الفضيلة ، وظلت مستعملة في مصر إلى عصر ما قبل ثورة يولية ١٩٥٢م.

الإكشارية : من أصل تركي (يني تشري) ومعناها العسكر الجديد ، وهو اسم أطلقه العثمانيون على الجنود المشاة النظاميين التي كونوها في القرن الرابع عشر الميلادي ، ويرجع تنظيمها إلى السلطان أورخان (٧٢٦هـ / ١٣٢٦م) وهو أن السلطان عثمان الأول (

(٣٤) انظر: عبدلي طاهر نور ، من تعليق هامش له ص ٤٠٧ هامش رقم (١) من ترجمة كتاب إدوارد ولیم لين : (المصريون المحدثون) .



١٢٩٩-١٣٢٥م) والجبرتي يكتبها في كثير من المواقع (الينجكية) .

الحلوان : هو الرسم الذي تتقاضاها الحكومة في العصر العثماني في مقابل نقل حق أو منفعة من شخص إلى آخر .

قشلات : جمع (قشلة) وهي اللغة التركية المكان الشتوي ، لأن الشتاء في التركية يسمى (قشل) بكسر القاف وسكون الشين ، والقشلات في العصر العثماني كانت لسكنى العساكر ، واستعملت حتى الآن فيقال (قشلاق) و (قشلاقات) لسكن العساكر في الجيش .

بيادة : كلمة فارسية معناها مشاه ، واستعملت في التركية .

المهاترة : جمع مهتر (تركية) وهو رجل الموسيقى ، ويضربون النوبة أي يعزفون على آلاتهم الموسيقية في أوقات معينة كعند غروب الشمس مثلاً .

الجامكية : أو الجمكية من الفارسية جامكي وأصلها مرتب يصرف لشراء ملابس وفي الاصطلاح العثماني المملوكي مرتب الجنود الشهري .

الكتخدا : هو وكيل الباشا العثماني (والي مصر) ويقال عنه أحياناً (الكتخيا) وأطلقت في العصر العثماني على كل من ينوب محل رئيس لفرقة أو مهنة .

المهردار : هو أمين خاتم الباشا أي حامل خاتمه ، و (الخزينة دار) هو أمين صندوق الباشا وهؤلاء الثلاثة يكونون شبه مكتب الباشا .

الطرة : هي بصمة الخاتم .

المالياتة : كلمة فارسية معناها المرتب السنوي .

الخزينة : أو الخزنة في الاصطلاح العثماني هي مقدار ما يبقى مما يجبي من مصر بعد إنفاق كل ما قرر السلطان إنفاقه ويرسل هذا الباقي

**لعاصمة الدولة العثمانية في احتفال كبير ومعها فرقة من الجنود**

عليهم قائد يسمى (سردار الخزنة) .

أونباشي : (تركية) معناها ضابط يرأس عشرة عساكر .

يوزباشى : (تركية) ومعناها ضابط يرأس مائة من العسكر .

بكباشى : (تركية) ومعناها ضابط يرأس ألف من العسكر .

**بلوك :** (تركية) بمعنى جماعة .

قَوْل : (تركية) بمعنى سرية عسكرية .

**تَفَنُّك :** (تركية) بمعنى بندقية .

**تفنگجی : حامل البندقية بإضافة اللاحقة (جی) .**

قبودان : أو قبطان (تركية) ، بمعنى أمير البحر .

**صول : ترکیه بمعنی شمال .**

صاغ : ۱۱ ۱۲ ۱۳ ۱۴ ۱۵ . یمین .

نوبتجی : ترکیه بمعنی غفیر .

دو ننما : سفن البحر (٣٥) .

سلامتك : كلمة تركية (سلامتق) ومعناها القسم الخاص بالضيوف من القصر

أو المنزل و (حراملك) القسم الخاص بالحريم .

**خاتون :** تركية بمعنى السيدة وكذلك (قادين) بمعنى السيدة أيضاً.

الجراسكة: كلمة من أصل فارسي مأخوذة من (الجركس) وأصلها (جهاركس)

ومعناها الرجال الأربعة لأن (جهار) معناها أربعة و (كسي) معناها

رجل ، الجركس أربع قبائل رئيسية كانت تسكن بلاد القوقاس وذلك

كما ذكر ابن خلدون ، وكما ذكر البدر العيني (٨٥٥هـ) في كتابه

(٣٥) الكلمات من أوناشي إلى دونما من كتاب قللاند الجمال في فوائد الترجمان عربي تركي لمؤلفه خليفة محمود

المصري ، القاهرة ١٢٦٦هـ - / ١٨٤٩م .

(عقد الجمان في تاريخ الزمان ، ج ١ ، ص ١٧٠) وإحدى هذه القبائل تسمى (آص) أو (آس) ثم باسم هذه القبيلة سمي جبل القوقاس لأن (قوقاس) بمعنى جبل آس ، ثم باسم هذه القبيلة سميت (آسية الصغرى) أيام توغلهم بها ثم القارة كليها ، وسميت دولة المماليك الأولى والثانية باسم (الجراكسة) (وفي رأي الثانية فقط) لأن معظم سلاطينها كانوا من المماليك المجلوبين من هذه المناطق .

روزنامة : لفظة فارسية مكونة من كلمتين (روز) بمعنى يوم أو نهار و (نامة) بمعنى سجل أو كتاب ، فيكون معناها سجلات الأصول اليومية ، ورئيسها يسمى (الروزنامجي) بإضافة اللاحقة (جي) والتي تفيد الصنعة والمهنة وكتبها يطلق عليهم اسم (أفندي الروزنامة) وكانوا يتوارثون هذه المهنة فالابن يرث عمل أبيه في إدارة الروزنامة ، وكانوا يحرصون على ذلك ، ومن ثم فقد كانوا يستعملون بعض الرموز في الكتابة العربية والاختصارات تصعب قراءتها إلا عن طريقهم وسمي هذا النوع من الكتابة بخط (القرمة) وأصبح هذا النوع من الكتابة يشكل مشكلة أمام الباحثين في تلك السجلات ولا يتعرف الباحث على أسراره إلا بعد مران طويل .

وإبان حوادث الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١م) اهتم الفرنسيون بمعرفة طرق حكم الديار المصرية ونظام أرضها وكيفية جباية أموالها ، ولقي الفرنسيون عناءاً شديداً تجاه جمع المعلومات المطلوبة وذلك لفرار الباشا والروزنامجي (كبير الإدارة المالية) واستعان مدير المالية الفرنسي استيف (Esteve) برجل من رجال الروزنامة في مصر وهو (حسين أفندي الروزنامجي) ،

فأجابه على الأسئلة التي وجهها إليه ، ونظم حسين أفندي إجاباته في ستة عشر باباً ، وكان هذا بتاريخ ١٣ من المحرم سنة ١٢١٦ هـ (أواخر مايو سنة ١٨٠٣) أي قرب انتهاء العهد الفرنسي ، وتقع هذه الأبواب في خمس وسبعين صفحة في مجلد محفوظ بقلم معتاد محفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١١٥٢ (تاريخ) وقد ذكر حسين أفندي الروزنامجي كثيراً من المصطلحات التاريخية العثمانية في مصر بهذه المخطوطة ، ومن ثم استحق لقب مؤرخ النظم المصرية في العصر العثماني ، وقد استفدت من هذه المخطوطة في إخراج بحث حول (وثائق مخصصات الشريفيين في مصر إبان العصر العثماني) وذلك عند مقارنة مبالغ وثائق الصرة الشريفة بالأرقام التي ذكرها حسين أفندي الروزنامجي لأوقاف الحرمين الشريفين .

سرشمشة : أوساري جشمشة ، يقول أمين سامي باشا نقلا من كلوت بك أنه يعني (قائد ألف) أي ما يساوي في أتعاب الجيش (بكباشي) وكان هذا اللقب يضاف اسم محمد علي أول الأمر ، ويظهر أنه كان متصرفا في أطعمة الجيش أن يكون أميا عليها .

قائمقام : لقب شيخ البلد وهو الاستعمال الاصطلاحي ، وتستعمل قائمقام أيضا في معناها الأصلي لكل من يقوم مقام أحد ما ، كقائمقام الباشا كمثل لمن يقوم مقام الباشا عندما تكون الباشاوية خالية وتستعمل قائمقام لمن يقوم مقام قاضي القضاة مبصر إلي حين حضوره من الآستانة .

عرضي : مأخوذ من الكلمة التركية (أردي) ومعناها الجيش أو الفيلق ، وتؤدى معنى المعسكر .

وطاق : مصطلح مملوكي ذكره بن أبياس في كتابه بدافع الزهور للدلالة على المعسكر وظل يستعمل في فترة العصر العثماني ، يقول بن أبياس ، ( ج ٥ ص ١٦٠ ) " ولما أقام سليم شاه بالقلعة نصب وطاق عسكره بالرملة من باب القرافة إلى سوق الخيل . "

خط كلخانة : هو القانون الأساسي الذي أصدره السلطان عبد المجيد / ١٨٣٩ م بتقدير حقوق الأفراد في السلطان العثماني ، وسمي خط كلخانة لأنه قرئ في قصر (كلخانة) أحد القصور السلطانية ومعنى : كلخانة = دار الورد. وكلمة (حط) العربية معناها مرسوم أو قانون .

الفرمان : هو المرسوم السلطاني ويقال : ( فرمان همایونی ) أي سلطاني أو ملوكي ، وهمایونی مأخوذ من اسم طائرا لهما وهو طائر أسطوري يقال عنه أنه عندما يقف علي هامة إذ يصبح ملكا ، فلهما أي الطائر الملوكي .

الأمر الخاقاني : أي الأمر الملكي (خاقان) علم واسم لكل ملك والجمع خواقين

الخشداشية : هي علاقة الزمالة بين الممالك والمعبر عنها في المراجع المملوكية والعثمانية بلفظ الخشداشية . و (الخشداش) أو الخواشداش أو الخوجداش معرب من اللفظ الفارسي (خواجاتاش) ومعناها الزميل في الخدمة والخشداشية في إصلاح عصر الممالك بمصر هم الأفراد الذين نشأوا عند أستاذ واحد أي سيد واحد من الممالك الكبار .

الططر : هم رسل من قبل الباب العالي يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصب وقد فسر الجبرتي هذه الكلمة في كتابه فقال : "في يوم الاثنين

حادي عشر (صفر ١٢٢٢هـ) حضر جماعة من الططر الذين من عاداتهم يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصب" ويكون الططري أي رسول السلطان بطريق البر ، أما رسول السلطان عن طريق البحر فيسمى (قابجي) .

إيلجي : أو الجي فارسية بمعنى سفير .  
الكلارجي : هو الطباخ .

الرزق الاحباسية : أراضي الرزق هي الأراضي التي كان ينعم بها السلطان على بعض الأشخاص وتصح ملكاً خالصاً لهم ، أما (الرزق الاحباسية) فهي الأراضي المرصدة على المدارس والمساجد والأسبلة والخيرات وغيرها ، وكان الملوك والأمراء يخرجونها من زمام أو سيّتهم فيستغل خراجها أو غلالها لتلك الجهات وهي الأراضي التي عرفت فيما بعد بالأراضي الموقوفة أو أراضي الوقف كما سبق أن ذكرنا .

البرابي : قال النويري في كتابه : نهاية الأرب :

"البرابي هي بيوت حكمة القبط ، ويقال أنه كان لكل كورة من كور مصر (برياء) يجلس فيها كاهن على كرسي من ذهب ، وأعجب البرابي - وأعظمها برياء أخصم وهي مبنية بحجر المرمر طول كل حجر منها خمسة أذرع في سمك ذراعين وهي سبعة دهاليز سقوفها حجارة ، طول كل حجرة منها ثمانية عشر ذراعاً في عرض خمسة أذرع مدهونة باللزورد وسائر الأصباغ ، يخالها الناظر إليها كأنما فرغ الدهان منها . يقال إن كل دهليز منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة ، وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهينات والمقادير ، يقال إنها رموز على علوم القبط

وهي : الكيمياء والسيماياء والطلسمات والطب أودعوها هذه الصور"

ويذكر النويري أن ذا النون المصري فك من هذه الرموز ما يتعلق بعلم الكيمياء فيقول : "ويقال أن ذا النون المصري العابد فك منها علم الكيمياء"<sup>(٣٦)</sup> .

وذكر محمد رمزي في القاموس الجغرافي للبلاد المصرية ما يلي :

"هي من القرى القديمة ذكرها جوتيبة في قاموسه فقال : إن اسمها المصري المقدس Tnou والمدني Tin والرومي Tnunis والعربي الطينة ."

"وقد عرفت باسم البربا بسبب ما كان بها من آثار معبدها المصري القديم ، وهذه القرية هي التي ولد فيها الملك "مينا" .....  
ثم يقول : وذكر بعض الباحثين أن البربا ، كلمة يقولها أهل الصعيد ، لكل مكان فيه أثر فرعوني ومعناها "بر" أي بيت و "با" أي روح ومجموعها "بيت الروح" وهو القبر .  
ثم يقول :

"وأقول أن البربا معناها :بيت الحكمة وهي الدار التي كان المصريون القدماء يتعلمون فيها العلوم ، وعلى الأخص اللاهوتية التي تتعلق بالدين في ذلك الوقت"<sup>(٣٧)</sup> .

---

(٣٦) انظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري "غاية الأرب في فنون الأدب" ، طبعة دار الكتب المصرية المصورة ، الجزء الأول ، ص ٣٩٤ .  
(٣٧) انظر: محمد رمزي ، "القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م" ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٦٠م ، القسم الثاني ، الجزء الرابع ، ص ١٠٨ .

والذي يود أن يطلع على أي مصطلح من المصطلحات التاريخية فليرجع إلى كتابنا عن المصطلحات التاريخية الذي هو بعنوان " الموسوعة المصطفية في المصطلحات التاريخية".



## الفصل الخامس

### من مصادر الخبر في العصر الحديث "وكالات الأنباء" وشبكة الإنترنت

تتحكم في الخبر في التاريخ المعاصر أجهزة حديثة عبارة عن شركات حرة لها مراسلون في شتى بقاع العالم تجمع الأخبار المصورة والمسموعة من مصادرها الأصلية في جميع أركان الأرض ، وهذه الشركات هي ما يسمى بوكالات الأنباء العالمية ، وشبكة معلومات الإنترنت .

وكالات الأنباء العالمية الرئيسية خمسة هي :-

- ١- وكالة أسوشيتد برس الأمريكية .
- ٢- وكالة يونيتيد برس إنترناتيونال الأمريكية .
- ٣- وكالة رويتر البريطانية .
- ٤- وكالة أجتس فرانس برس الفرنسية .
- ٥- وكالة تاس السوفيتية ( إيتار تاس الحالية ) .

ويتضح من هذا أن هناك أربع دول من دول العالم المتقدمة تتحكم في الأخبار الموسوعة والمرئية هي الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتي وبريطانيا وفرنسا ، والخطر في هذه الوكالات العالمية إما أنها في الأساس يهودية مثل : يونيتيد برس ، وأسوشيتد برس ، ورويتير ، أو تحت سلطان اليهود مثل : فرانس برس ، وإيتارتاس الحالية . رغم أنها كانت شيوعية . وإذا جرى في العالم الإسلام ي ما ينبغي أن يعرض للعالم وللرأي العام العالمي فإذا لم تكن فيه مصلحة يهودية ، فلا ينشر ولا يجد أدنى اهتمام

، وإذا مر العالم الإسلام ي يحدث هام يستحق الوقوف عنده غارس عليه هذه الوكالات تعتيماً إعلامياً . فهي توجه الأخبار كما تشاء وتنتقل أو تخفي منها ما تشاء .

ولكونها تتحكم في الخبر فهي تسيطر على وسائل الإعلام في دول العالم بشكل غير مباشر لأنها تمثل مصادر هامة للخبر لا غنى عنها ، ولأن وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وتلفزيون تحتاج إلى تمثيل إخباري عالمي بصفة مستمرة ويومياً بل وكل لحظة أحياناً ، وهذه الوكالات توفر الأخبار لها بفضل ما تملكه من إمكانيات ووسائل إتصال متطورة بالإضافة إلى ما لها من مراسلين منبعثين في شتى بقاع العالم ، ولهم الحق في ملاحظة الأحداث بشتى الوسائل بحكم القانون الدولي والأعراف الدولية المرعية والمحترمة من شتى بقاع العالم بالإضافة إلى ما لدولهم من وزن عالمي يجعلهم محوطين بالرعاية التامة في العالم .

وقد تضخمت أجهزة هذه الوكالات في الآونة الأخيرة واتسع نطاق عملها ومن الإحصائيات التي نشرت مؤخراً عن وكالة يونايتد برس الأمريكية أنه بلغ عدد مراسليها في العالم في عام ١٩٨١م ١٢٠٠ صحفي ومصور منبعثين في أكثر من ١٠٠ دولة ، ويعمل في هذه الوكالة أكثر من ٢٠٠٠ من الباحثين والمجهزين للخبر<sup>(١)</sup> .

ولكونها تتحكم في الخبر بهذه الصورة فليست مصدراً أميناً - وإن كان هاماً لا غنى عنه ، وعلى ذلك فيجب على المؤرخ أن يتسلح بالرؤية الفاحصة المدققة في شأن قبول أو رفض تلك الأخبار ، لأن غالبها مبتور أحياناً أو مبالغ فيه أو مزيف أحياناً أخرى . ولقد حدثني الزميل والصدیق اليوغوسلافي

(١) عن جريدة الشرق الأوسط العربية التي تصدر في لندن ، عدد ١٤٠٢/٢/٦ هـ - (١٩٨١/١٢/٢) .

الدكتور أحمد أسماعيلوفيتش<sup>(٢)</sup> أنه قرأ خبراً طيرته وكالة رويتر البريطانية مكتوب في جريدتين تصدران في لندن إحداهما عربية والأخرى إنجليزية ، وكان الخبر عن موضوع واحد ، ولكنه في الجريدة الإنجليزية بصورته الحقيقية وفي الجريدة العربية بصورة مزيفة ناتجة عن قصد تضليل القارئ العربي.

أما وكالات الأنباء المحلية في بقية بلدان العالم وعلى الأخص في بلدان العالم الإسلام ي فإنها تعتمد على هذه الوكالات العالمية التي تمدّها بساتر الأخبار العالمية . التحريرية والمصورة وتدفع في مقابل ذلك ثمناً غالياً . وعلى المؤرخ أن يلاحظ أخبار هذه الوكالات عندما ينقلها من الصحف المحلية ولا يأخذ أخبارها قضية مسلمة فيقع في الخطأ ، بل عليه أن ينظر إلى هوية الوكالة التي تنقل الخبر ويفحص أهدافها السياسية ومعسكرها السياسي التي تتحدث باسمه ثم أخيراً يتضح له وجهه الصواب من الخطأ في الخبر ، ويجب على المؤرخ أن يعرف أن هذه الوكالات الخمس تزيف كثيراً من الأخبار التي تمس العالم أو تهملها أحياناً ، فهناك كثير من المناطق الملتهبة بالمقاومة في العالم الإسلام ي ضد الاستعمار الأجنبي أحياناً وضد حكام جائرين أحياناً أخرى ، فتقف هذه الوكالات من أخبار هذه المناطق موقف المضلل أحياناً أو موقف الصمت أحياناً أخرى فلا تسلط عليها الأنظار .

وذلك مثل منطقة إريتريا الإسلامية فقد كافح شعبها وما زال يكافح الاستعمار و التسلط الإيطالي و الحبشي ما يزيد على قرن من الزمان حتى

---

(٢) الدكتور أحمد أسماعيلوفيتش كان زميلاً لنا بالأزهر فقد كان طالباً معي في كلية اللغة العربية بالقاهرة في فترة دراسة اللسانس والجاسير والدكتوراه في السنين ومطالع السبعينات وحصل على شهادة الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة الأزهر ، وكان عميداً لكلية الدراسات العربية والإسلامية بسرايفو بيوغوسلافيا وتوفي أثناء الأحداث العنصرية التي وقعت في البسة واهرسك بين الصرب والمسلمين .

تم استقلالها (١٩٩٤م) وتتواطأ الدول الكبرى وخاصة أمريكا وروسيا على إجهاض مقاومته الباسلة وتقوم وكالات الأنباء المذكورة بلعب دور كبير في هذا المجال . ولا يستطيع المؤرخ المعاصر الذي يتناول حاضر العالم الإسلام ي بالدراسة أن يغطي أخبار نضال وكفاح هذا الشعب ، فهذه الوكالات لا تطير من أخبار هذا الإقليم إلا المزيف الذي لا يوثق به .

وكذلك كفاح شعب الفيلبين المسلم تجاه حاكمة المغتصب ماركوس ندر أن يجد لها الإنسان إلا تقارير صحيفة هزيلة وناقصة في الصحف العربية تستعمل فيها الأساليب الإنشائية الحماسية بدلاً من الوقائع الحية ، وذلك ناتج عن ضعف وكالات الأنباء المحلية العربية والإسلامية لأنها تهتم بالأخبار المحلية فقط ولا طموح لها في توسيع نشاطها المحلي وجعله عالمياً على الرغم من إمكانياتها المالية الضخمة في بعض الدول العربية .

وهكذا فأحداث العالم بين أمرين : إما مسكوت عنها ، وإما مزيفة ، وكلا الأمرين فيه خطورة على تسجيل تاريخ صحيح للعالم الإسلامي .

والواقع أن الحاجة كانت ماسة منذ حرب السويس ١٩٥٦م وحرب أكتوبر ١٩٧٣م وما صاحبها من حرب البترول ، أقول إن الحاجة كانت إبان هذه الحوادث ماسة لإنشاء وكالة أنباء إسلامية عالمية نظراً لخطورة هذا النوع من الوكالات الغربية التي تقود حرباً نفسية على العرب والمسلمين في الوقت المناسب إزاء كل حدث يمس مصالح الغرب أو الصهيونية العالمية ، وأصبحت الضرورة ملحة لإيجاد وكالة أنباء إسلامية تتحمل مسئولية فصيح ما تمارسه الوكالات الأخرى من تزييف وتشويه للقضايا الإسلامية والعربية وتقوم بفك الحصار الإعلامي المضروب على أخبارنا الإسلامية ، ونوقف بث وكالات الأنباء الغربية لسمومها في أجهزة إعلامنا وصحافتنا الإسلامية .

ولعلنا ما زلنا نذكر حرب البترول التي بدأت أثناء حرب أكتوبر ١٩٧٣ م بين العرب وإسرائيل ، عندما أعلن الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية منع ضخ البترول إلى العالم الغربي الذي يقف مع إسرائيل ضد العرب وخاصة أمريكا وأعلن عن سياسة عربية بالتقليل من إنتاج البترول على مراحل تقل شيئاً فشيئاً حتى تقلل دول الغرب من اتحيازها لعدونا ، عندما قامت قيامه وكالات الأنباء العالمية وشنت حملة عالمية ضد العرب وصورتهم في صورة الذي يريد أن يقضي على الحضارة العالمية ، وحاولت أن ترسم لهم صورة التاجر الجشع ، ولم تتحدث إطلاقاً بعدالة عن صور الغرب الذي ينحاز اتحيازاً أعمى إلى إسرائيل ويعكر بذلك صفو السلام في العالم كله .

وكانت كل هذه الزوبعة التي أثارها وكالات الأنباء لتحقيق أهداف الرجل الغربي الاستعمارية ودوام سيطرته على مقدرات العالم الثالث ، ومهما قام الاستعمار بإذلاله فيجب عليه أن يظل خاضعاً ، ومع أن هناك دول كثيرة في العالم غير العربي لديها إنتاج ضخم من البترول تبيعه في الأسواق الحرة مثل الاتحاد السوفييتي وبريطانيا من بترول بحر الشمال ، والمكسيك وفنزويلا وغيرها إلا أن ارتفاع السعر حلال لهؤلاء حرام على العرب ، فإذا رفعت تلك الدول سعر بترولها أو منعت عن بعض الدول فلا تنظم ضدها حملات إعلامية من وكالات الأنباء في هذا الصدد ، إنما الحرب قائمة على قدم وساق ضد العرب الذين يقال عنهم بأنهم يتحكمون في مقدرات العالم النفطية وهم وحدهم المسئولون عن الاتيهار الاقتصادي في العالم فتقوم وكالات الأنباء بتكوين رأى عام عالمي مناهض ضدهم .

**الحاجة ماسة لوكالة أنباء إسلامية :**

وقد كثرت في الآونة الأخيرة الأحاديث عن حاجتنا إلى وكالة أنباء عالمية يوثق بأخبارها وخاصة في الاجتماعات الإسلامية العالمية منذ مطلع الستينات من القرن الماضي على يد الملك فيصل بن عبد العزيز ، ولكن هذه المحاولات المخلصة عاقتها بعض الوقت العداءات العربية التي تقضي دائماً على كلبادرة خير في العالم العربي . ومنذ أن تمكن المسلمون من أن يعقدوا مؤتمرات دورية لبحث شؤونهم بعد حريق المسجد الأقصى سنة ١٩٦٩م على يد اليهود ، والبحث جار في إنشاء وكالة أنباء إسلامية .

ففي مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الثاني المنعقد في كراتشي بباكستان في المدة من ٢٦ ديسمبر ١٩٧٠م حتى ٢٨ من ديسمبر تمت الموافقة على إنشاء وكالة أنباء إسلامية ، وتنفيذاً لتوصيات مؤتمر كراتشي عقد يوم الثلاثاء ٢٤ من صفر ١٣٩١هـ (١٩٧١/٤/٢٠م) مؤتمر في "طهران" لبحث إمكانية إنشاء وكالة أنباء إسلامية عالمية ، وذكر بيان صدر في نهاية المؤتمر الذي استمر ثلاثة أيام جاء فيه :

"إن وكالة الأنباء الإسلامية ستكون في مرحلتها الأولى اتحاداً يضم وكالات الأنباء الوطنية للدول الإسلامية وأن الهدف الأساسي لهذا الاتحاد هو تأسيس وكالة أنباء إسلامية عالمية ، واختار المؤتمر العاصمة الإيرانية في البداية مركزاً لهذه الوكالة التي ستصلها الأنباء من الدول الأعضاء وتحرر وترجم ثم توزع على جميع هذه الدول ، وستستخدم مبدئياً الوسائل التجارية لتبادل وتوزيع الأنباء ، على أن تستخدم الوكالة مستقبلاً اللاسلكي والمبرقات الكاتبة لكي تكون على مستوى وكالات الأنباء الدولية ، ويدير الوكالة مجلس مديرين ينتخب مدة كل سنتين وتمول من قبل المخصصات المفروضة على

الدول الإسلامية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلام ي ، ومن المنح التي ستحصل عليها من هذه الدول (٣) .

وفي سنة ١٩٧٢م (١٣٩٢هـ) وافق المؤتمر الثالث لوزراء خارجية العالم الإسلام ي في جدة على مشروع تأسيس وكالة الأنباء الإسلامية على أن يكون مركزها جدة بدلاً من طهران وفي عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) في قاس بالمغرب إبان انعقاد مؤتمر لوزراء الخارجية الإسلامية العاشر عزز المؤتمر إنشاء وكالة أنباء إسلامية ومنظمة لاتحاد الإذاعات الإسلامية ، ولكن هناك صعوبات قد تواجه هذه الأمنية فالدول لا تدفع مخصصاتها على الرغم من أن السعودية أعطت المعز في جده .

وأحياناً تتوقف مرتبات العاملين بمقر الوكالة بجدة وتدفعها السعودية ، ودستور الوكالة جاهز إلا أن التمويل هو الذي ينقصها (٤) ولكي تكون الوكالة قوية وذات تأثير في مجال الخبر ونقل الأحداث بسرعة فيجب أن تتوفر لها المكاتب اللازمة في كل أنحاء العالم ، ويجب ربط هذه المكاتب بشبكة واسعة من الأجهزة والكفاءات الإعلامية المدربة ، وستحتاج الوكالة إلى ما لا يقل عن ٥٠٠ مكتب منتشرة في شتى أنحاء العالم حتى تستطيع أن تنافس الوكالات العالمية الأخرى ، ويجب أن يكون الجهاز العامل بها على مستوى عال من الكفاءة والسرعة في تتبع أحداث العالم ، ولا يقل المبلغ المطلوب في إنشاء وكالة كهذه عن المليون دولار (٥) ، وحتى الآن وللأسف الشديد كما يصرح الأستاذ محمد معروف الدواليبي ( أحد كبار المسؤولين بمنظمة المؤتمر

(٣) انظر: مؤتمر القمة الإسلامي ، صدر عن جريدة الندوة التي تصدر في مكة المكرمة ، ١٤٠١هـ ، ص ٣٢ .

(٤) من حديث للأستاذ محمد معروف الدواليبي لجريدة أخبار العالم الإسلامي الأسبوعية التي تصدر عن إدارة الصحافة والنشر برابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ، العدد ٧٦٦ بتاريخ ٢٨/٤/١٤٠٢هـ (٢٢/٢/١٩٨٢م) .

(٥) المرجع السابق .

الإسلام ي بجدّه) (١٤٠٢هـ) لم يتم رصد المبلغ المطلوب رغم وجود النظام الأساسي، لذلك كانت فكرة تجميع الإذاعات الإسلامية وشبكات التليفزيون لسد النقص في مجال الإعلام الإسلام ي، إلا أن أحداً لا يساعد هذا التجمع المسمى "اتحاد الإذاعات باعتبار أن كل دولة إسلامية تملك وكالتها الخاصة بها وإذاعتها المحلية، فالاتحاد لا يملك أية موارد مالية ويعتمد حتى الآن في تصريف أموره على عبقرية الإعلامي الناجح أحمد فراج الأمين العام للاتحاد حيث يقوم بإعداد برامج إسلامية يقوم بتسويقها لصالح الاتحاد.

وما أشد حاجتنا بدلاً من إنشاء وكالات متعددة للأبناء وصغيرة الحجم ضعيفة الإمكانيات، إلى تأسيس وكالة أنباء على المستوى العالمي توفر لها كل الإمكانيات لتخدم أهدافنا وتؤدي رسالة سامية في نقل أخبارنا إلى العالم بعد جمعها وتنقيتها، وبذلك يستطيع المؤرخ والدارس والباحث أن يجد لديه مادة علمية يطمئن إليها في كتابة أبحاثه وتحقيقاته عن العالم الإسلام ي، ومن ناحية أخرى فإنه لا يخفى ما لهذه الوكالة من تأثير في توجيه الرأي العام العالمي إن أحسن استخدامها وتوفرت لها القيادة الإدارية القادرة<sup>(٦)</sup>

### شبكة معلومات الإنترنت :

ومن مصادر الخبر في العصر الحديث ما تبثه شبكة المعلومات على الإنترنت من معلومات عن الأحداث الجارية في العالم ساعة بساعة ويوما بعد يوم وهي معلومات مستدقة لا حدود لها تبث من مواقع الأحداث، يبثها المراسلون بالصوت والصورة وهذه المعلومات مفيدة في مجال التاريخ المعاصر والعلاقات الدولية المعاصرة، فتجعل المؤرخ كأنه شاهد عيان

(٦) من حديث للدكتور حسن أبو ركة، مدير عام مؤسسة البلاد للصحافة والنشر السعودية - جريدة البلاد، عدد الثلاثاء بتاريخ ٨ محرم ١٤٠٠هـ.



للأحداث عن طريق الصوت والصورة وفي هذا تطور مذهل ومفيد للمؤرخ يستفيد منه في عمله .

ويستطيع المؤرخ أن يقارن بين القنوات ليختار منها ما يطمئن إليه من الأخبار الصادقة والتعليقات التي يعتقد بصحتها ونزاهتها ، وخاصة أن شبكة الإنترنت قد ألغت الاحتكار للأخبار التي كانت تمارسه وكالات الأنباء على الأحداث في السابق ، فكل محطة من محطات التلفزيون العالمية مراسلون في مواطن الأحداث الذين ينقلون الأخبار والصور بتحر ونزاهة وهذا مما يجعل المؤرخ يستريح لما يسجله من أحداث معاصرة .

## ثورة شعبية

### يتزعمها شيخ الأزهر والعلماء :

حدثت هذه الحركة في شهر ذي الحجة ١٢٠٩ هـ ( ١٧٩٥ م ) فقد وفد إلى الأزهر فلاحون من قرية تتبع مركز بلبيس عاصمة الشرقية في ذلك الوقت ، وكانت للشيخ عبد الله الشرقاوي ( شيخ الجامع الأزهر يومئذ ) حصّة من الأرض بهذه القرية وقدم الفلاحون شكواهم للشيخ الشرقاوي بأن ممالك ( محمد بك الألفي ) ظلّمهم وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه من الضرائب .

اتصل الشيخ الشرقاوي في أول الأمر (بإبراهيم بك ومراد بك ) وطلب منهما وقف هذه المظالم ولكن الأميرين لم يبديا اهتماما وأهملا وساطة الشيخ فنارت ثائرتة ، وحضر إلى الأزهر في اليوم الثاني وعقد اجتماعا في الأزهر فقرر العلماء الإضراب العام وبدء الثورة وخرج المجاورون يأمرؤن الناس بإغلاق الأسواق والحوانيت ، وتجمع الناس في ساحة الأزهر يتقدمهم الشيخ الشرقاوي يتبعه العلماء وتوجهوا إلى منزل الشيخ ( محمد أبو الأنوار السادات

( والذي كان مجاورا لمنزل ( إبراهيم بك ) ، ولهذا وقع اختيارهم له ولما للشيخ السادات من نفوذ كبير لدى جماهير الشعب ولمنزلته لدى الأمراء .  
 رأى إبراهيم بك هذه الجموع الثائرة على مقربة من داره فأرسل رسولا من طرفه إلى المشايخ وهو " أيوب بك الدفتردار " فحضر إليهم وسألهم عن سبب تجمعهم فأجابه الثوار نريد العدل ورفع الظلم وإقامة الشرع وإبطال الحوادث والمكوسات التي ابتدعتوها وأحدثتموها فرد عليهم الدفتردار بأنه لا يمكن الإجابة إلى هذه المطالب كلها فإننا إذا فعلنا ذلك ضاقت علينا المعاش والتنفقات فرد عليه المجتمعون بأن هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الإكثار من النفقات وشراء الممالك و الأمير يكون أميراً بالإعطاء لا بالأخذ .

وقد كان هذا في الواقع حوارا جديدا وقد قال محمد أنور السادات (الرئيس المصري ١٩٧٠ — ١٩٨١م) معلقا على هذا الحوار الذي دار بين الشعب وممثل شيخ البلد الحاكم " إن الثورة الفرنسية كلها لتتضاعل أمام المغزى العميق لهذا الحوار فقد أسفرت الثورة الفرنسية عن مبادئ ثلاثة هي : الحرية والإخاء والمساواة ، ولم تلبث أن أصبحت فرنسا ذاتها وأثناء الثورة الفرنسية نفسها شعارا للقتل والتدمير بين الفرنسيين والثوار أنفسهم .  
 ثم ما لبثت هذه المبادئ أن صدرتها فرنسا إلى الخارج على صورة استعمار خبيث يفتك بالشعوب البرينة ويسلبها أرزاقها ، ويقتل النساء ويقتل بالأطفال ويغتصب الأرض ويجعل من الإنسان شيئا أخطر من الحيوان ، كل هذا باسم الحرية والمساواة والإخاء "

فوعدهم الدفتردار بعرض مطالبهم على إبراهيم بك ، وتطورت المسألة من مجرد المطالبة بوقف اعتداءات ممالك الأفى على أهالي قرية شرقية بلبيس إلى حركة شعبية تنادي بضرورة وضع حد للمظالم التي يتعرض

لها الشعب المصري ومطالبة الحكومة بضغط المصروفات والحد من الإسراف في استيراد الممالك وتأمين الأفراد على أموالهم وأرواحهم .

ولم يرجع الدفتردار إلى الثوار بجواب كما وعد : فعاد زعماء الشعب إلى الجامع الأزهر وقضوا ليلتهم بالمسجد وصمموا على المضي في حركتهم لليوم الثالث على التوالي ، وبدأت بوادر النصر فقد أرسل إليهم ( إبراهيم بك ) يعضدهم ويقول لهم : أنا معكم وهذه الأمور على غير خاطري ومرادي وأرسل إلى ( مراد بك ) يخيفه عاقبة ذلك فتزلزلت أركان مراد بك وخاف من تفاقم الثورة ، فأرسل إلى المشايخ يقول لهم : " أنه أقتع على ظنم الشعب " وطلب أربعة من المشايخ عينهم بأسمانهم فذهبوا إليه بالجيزة فلاطفهم والتمس منهم السعي في أمر الصلح .

وفي اليوم الثالث للثورة نزل الباشا من القلعة إلى منزل إبراهيم بك واجتمع الأمراء وأرسلوا إلى العلماء بالحضور فحضر الشيخ ( السادات ) والسيد ( عمر مكرم ) نقيب الأشراف والشيخ ( الشرقاوي ) والشيخ ( خليل البكري ) والشيخ ( محمد الأمير ) وغيرهم من العلماء ، ومنعوا العامة من الذهاب معهم إلى الاجتماع ، ودارت مناقشات حامية بين المجتمعين انتهت بإصدار وثيقة متضمنة شروط العلماء وإعلان توبة الأمراء عن الظلم والتزامهم بالعنل .

وقد ذكر الجبرتي مضمون هذه الوثيقة ولم يذكر نصها الأصلي ، وقد عثرنا على أصل هذه الوثيقة مسطرة في سجلات الديوان العالي ، وهذه الوثيقة غاية في الأهمية ، لأنها تعطينا صورة عن ترتيب زعماء الشعب في نهاية القرن الثامن عشر تبعا لمنزلتهم الشعبية وهم الذين آلت إليهم الزعامة الشعبية قبل الحملة الفرنسية بسنوات قليلة ، وترتيبهم بألقابهم الرسمية كالاتي حسب ورودهم بالوثيقة :

- ١- السيد الشريف الشيخ محمد أبو الأنوار بن وفا السادات ، شيخ السجادة الوفوية .
  - ٢- السيد الشريف الشيخ خليل البكري الصديقي شيخ سجادة بني الصديق .
  - ٣- السيد الشريف عمر مكرم أفندي نقيب الأشراف .
  - ٤- صفوة العلماء العاملين الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ مشايخ أهل الإفادة والإفتى والتدريس بالجامع الأزهر .
  - ٥- الشيخ محمد الحريري الحنفي مفتي السادة الحنفية بمصر حالا .
  - ٦- الشيخ مصطفى الصاوي من كبار علماء الشافعية بالأزهر .
  - ٧- الشيخ محمد الأمير مفتي السادة المالكية بمصر حالا .
  - ٨- الشيخ عبد المنعم العمراوي من كبار علماء المالكية بالأزهر .
  - ٩- الشيخ أحمد العريشي من كبار علماء الحنفية بالأزهر .
  - ١٠- الشيخ إبراهيم السجيني من كبار علماء الشافعية بالأزهر .
  - ١١- الشيخ زين الدين المنصوري من كبار علماء الحنفية بالجامع الأزهر .
  - ١٢- الشيخ زين الدين سالم مسعود الفوي شيخ رواق المغاربة بالأزهر .
- وجاءت أسماء هؤلاء العلماء الإثنى عشر متقدمة على أسماء الأمراء المماليك في الوثيقة وهم :
- ١- إبراهيم بك الكبير محمد ( يعني تابع لمحمد بك أبو الذهب ) قائم مقام بمصر المحروسة سابقا وأمير الأمراء بها حالا .
  - ٢- أيوب بك دفتردار مصر المحروسة حالا .
  - ٣- أيوب بك الكبير أمير الحج المصري سابقا ( محمد ) .
  - ٤- سليمان بك ( محمد ) حاكم ولاية جرجا سابقا .

ولي الممالك رؤساء الأوجاقات السبعة العثمانية .

ولعل أول ما يلتفت النظر في هذا الترتيب هو تقدم العلماء على من عداهم من الحكام الممالك والأترك هذا باستثناء قاضي القضاة بمصر الذي تقدم اسمه الجميع وصدرت الوثيقة بحضوره وبين يديه .  
ونصها في بدايتها :

" بين يدي سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام علامة الأئام قاموس البلاغة ونيراس الأفهام أشرف السادة الموالى الأعالي الأعزة الكرام الناظر في الأحكام الشرعية قاضي القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه الكريم أعلاه دام علاه آمين " ومع حضور الباشا والى مصر إبان هذه الحركة وهو ( صالح باشا ) إلا أنه لم يرد له ذكر بتلك الوثيقة ، وذلك لإهمال الممالك له في هذه الفترة .

ويلاحظ أيضا تقدم أرباب الساجيد على غيرهم من العلماء ، وذلك راجع لنفوذهم بين طبقات الشعب وكثرة أتباعهم ، وقد كانت لهم المشورة في جميع الأمور الهامة بالديوان الخصوصى بالقلعة ، ويلاحظ أيضا أن مفتى الحنفية كانت له المكانة التالية بعد شيخ الأزهر نظرا لأن المذهب الحنفي هو مذهب الدولة العثمانية الرسمي وتلاه في الذكر مفتى المالكية نظرا لأن عليه غالبية الصعايدة ولهم مكانة مرموقة بالأزهر ويتمتع رواق الصعايدة بالأزهر بعصبية قوية وكان شيخ رواقهم يخشاه الجميع ويطلق عليه الشعب أحيانا شيخ الإسلام .

وكانت أهم الشروط التي فرضها العلماء وأثبتوها بالوثيقة هي :

١- تنزيل جوامك ( بدل تعيين أو بدل جرایة ) المسلمين المطلوبة من المال الأميرى .

- ٢- إجراء جرايات المستحقين وعلوفات الفقراء والمساكين على حالها.
- ٣- إجراء المقرر للجامع الأزهر وجراياته من وقفه الخاص به ولا يؤخذ منه شيء من المكوس والمظالم ( يعني المحافظة على ميزانية الجامع الأزهر ) .
- ٤- إجراء أموال الحج ومتعلقاته حكم قديمها على ما هي عليه من زمن الملوك والسلاطين ( يعني المحافظة على ميزانية الحج ) .
- ٥- منع التفاريد على البلاد والرعايا والفقراء ( يعني منع الفردة الجديدة ) .
- ٦- منع الكشف الجائرة في بلاد الله التي عذبوها ونهبوها ودمروها .
- ٧- إزالة الفلتجية ( بعض طوائف العسكر ) من مصر القديمة لإيذائهم المسلمين .
- ٨- لا يزداد على دفتر المرحوم الأمير محمد بك أبو الذهب في رفع المظالم ويزال ما استحدث بعده ( إلغاء التشريعات الضريبية المستحدثة منذ عهد محمد بك أبو الذهب ) .
- ٩- ترفع المكوس الجارية في البنادر والموارد وما جعل على المأكّل والمشارب ( يعني رفع الضرائب عن المواد الغذائية ) .
- ١٠- إزالة جميع الحوادث والمظالم من جميع الأقطار المصرية .
- ١١- لا يتعرض أحد من الممالك للسادّة الأشراف بجميع البلاد بأي وجه من الوجوه وينهي أمرهم في حوادثهم الخاصة بهم إلى أفنديهم ونقيبيهم في سائر الأقطار والأزمان .
- ١٢- لا يتعرض أحد منهم لنواب الشريعة المحمدية وينهي أمرهم في حوادثهم إلى أفنديهم قاضي عسكر أفندي .
- ١٣- أن يقوموا بعمارة السواقي الموصلة للمياه إلى القلعة .

١٤ - عدم إنزال الغلال من الديار المصرية إلى بلاد الكفرة والمشركين أعداء الدين ( عدم تصدير السلع الضرورية لحاجة الشعب إليها ) .  
وبذلك نلاحظ أن حركة العلماء حققت عدة أهداف :

أولاً: أنهم أجبروا الأمراء على التفاوض معهم .

ثانياً: نزل الأمراء على إرادة العلماء ووافقوا على إلغاء جميع التشريعات الضرائبية الجائرة .

ثالثاً: عزل الحكام الجائرين من المناطق التي تضررت بوجودهم بها .

رابعاً: امتدت مطالبهم لتشمل تقرير ميزانية الدعم للحرمين الشريفين وميزانية الأزهر .

خامساً: استصدروا وثيقة بهذه الحقوق ووقع عليها القاضي والأمراء بحضور والي مصر .

وتضمنت الوثيقة العبارات الآتية :

( أجب الأمراء بالسمع والطاعة وعدم مخالفة الجماعة وكل من خالف ذلك فيكون على ساداتنا أرباب السجاجيد وعلماء الإسلام والأمراء قهره واستخلاص كل ما هو مطلوب منه لأربابه ) .

وانتهت بذلك الحركة وعاد العلماء إلى الأزهر وحولهم الثوار يعلنون على الناس صدور اللاحقة الجديدة أو الاتفاقية الجديدة باسم السادة العلماء :  
حسبما رسم ساداتنا العلماء بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطلالة من مملكة الديار المصرية .

وكان نداء الشعب حسب عرف العصر معناه أن علماء الأزهر أصبحوا يهيمنون على الأمور في البلاد ، وكان هذا في الواقع تطوراً خطيراً دفع

البعض الى وصف هذه الوثيقة بأنها " الوثيقة السياسية الكبرى ، أو وثيقة حقوق الإنسان " .

وقال الأستاذ عباس العقاد في بيان أهميتها : " ولو أنها كتبت في بعض البلاد الأوروبية لجاءنا خبرها من كتب القوم في علوم السياسية الحديثة بعنوان من تلك العناوين الكثيرة عن حقوق الشعب أو الدستور الأكبر أو ( الماجنا كارتا ) وما إليها من مصطلحاتهم التاريخية ، ولكن العلماء الذين دعوا أمراء العصر إلى توقيع ذلك العهد لم يحسبوا أنهم جاءوا إلى الناس بعهد جديد غير التذكير بعهد كتاب الله وسنة رسول الله التي نسيها أولئك الأمراء وكتب الموثق ( حجة ) ، عليهم بشهادة الرعية وشهادة (علماء الأمة) الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر " .

بيد أن الجبرتي ذكر أن كل شئ عاد الى ما كان عليه وزيادة بعد صدور الوثيقة ، ورد البعض على تعليق الجبرتي بقوله : " يجب ألا يفسد علينا تعليق الجبرتي نحن أبناء القرن العشرين مغزى الحادثة ، فليس المهم أن الاتفاقية نقضت فتاريخ الأمم يكاد ينحصر في إخلال الحكومات بالاتفاقيات أو الدساتير التي تجبر على إصدارها تحت الضغط .

ولكن المهم هو أن مجرد إقرار الاتفاقية ، وصدورها بأسماء العلماء "حسب ما رسم ساداتنا العلماء " . والوصول إليها عبر ضغط الثوار وتحركهم وبعد مفاوضات ، كل ذلك يدل على أن الشيوخ والعامّة لم يكونوا مجرد قوة رمزية . بل كانوا يستطيعون دائما تحويل كل مظهر سخط إلى إضراب عام يتطور إلى مواجهة شاملة تطالب بإصلاحات أوسع من حدود المشكلة المباشرة التي أثارَت الحادث ، وأنهم كانوا يستطيعون مواجهة الأمراء وفرض مطالبهم وإجبارهم على التراجع والتسليم ولو بنية الغدر .



وبذلك نرى أن علماء الأزهر لم يكونوا أبدا رجال كهنوت منعزلين عن مجرى الحياة العامة وإنما شاركوا الشعب في شعوره ودافعوا عنه في مواجهة ظلم الحكام .

وخلال هذه الأحداث السالفة الذكر بدأت تتضح معالم مجتمع العلماء بالأزهر فانقسم العلماء إلى فريقين :

**فريق:** تصدى لخدمة الجماهير والدفاع عن قضاياهم لدى الحكام ، وهؤلاء اعترفوا كما قرر الشيخ عبد الله الشبراوي للوالي العثماني ( أحمد باشا كور ) بأنهم ليسوا أعظم علماء مصر " لسنا أعظم علمائها بل نحن المتصدرين لخدمة أهلها وقضاء حوائجهم عند أبواب الدولة وأهل الحكم فيها" وقل إنتاج هذا الفريق في الناحية العلمية .

**وفريق آخر:** انقطع لدراسة العلم بالأزهر فبرزوا في ميادين الإفتى والتدريس في حلقات الأزهر العلمية ، وكذلك في ميادين التأليف في كثير من العلوم الإسلامية كالفقه على مذاهب أهل السنة والجماعة ، والتفسير والحديث والتوحيد والعقيدة والتاريخ ، وكذلك في علوم اللغة العربية وآدابها .

### على أبواب الثورة :

قوي إحساس العلماء في نهاية هذه الفترة بما يجب عليهم نحو مواطنيهم وبما ينبغي عمله للأهالي وضرورة التحرر من ظلم الحكام ولهذا كثرت الثورات في هذه الفترة الأخيرة التي سبقت مجيء الحملة الفرنسية حتى أن الباحثين يغالون فيشبهون الوضع في مصر في هذه الفترة بالحالة التي كانت عليها فرنسا قبل الثورة الفرنسية ١٧٨٩ م فيقول هذا البعض :

(( ونحن إذا بحثنا حال فرنسا قبيل ثورتها لا نستطيع أن نرى من بوادر ثوران النفوس أكثر مما بدأ في أواخر القرن الثامن عشر في مصر )) ويضيف

بأن هذه الحركات كانت جديدة (( أن تنتهي أما بثورة تامة كثورة فرنسا ، وإما  
بإصلاح تدريجي شامل يتناول كل نظمها )) وأن الذي لم يوصلها إلى هذا الحد  
من الثورة أن حكام مصر كانوا دائما ينزلون عند مطالب الشعب بعد أن يروا  
غضبه ويصلحون ما يشكوا منه من فساد ويقومون ما يشير إليه من  
اعوجاج.

وكان هناك عامل آخر جعل هذه البوادر الثورية لا تصل إلى ثورة  
حاسمة لصالح الشعب المصري ، وهذا العامل كان خارجيا وأعنى به نكبة  
الحملة الفرنسية التي نزلت بالبلاد سنة ١٧٩٨ م .

ويذهب البعض الآخر إلى أن السبب الذي من أجله لم يتعد العلماء  
الحركات الشعبية ضد المماليك بشكل أكثر تكرارا مما فعلوا ، هو ذلك الاعتماد  
المتبادل بين المماليك والعلماء المالي من ناحية والسياسي من ناحية أخرى  
(٣٩).

نخلص من هذا العرض السريع إلى القول : بأن قيادة الجماهير في نهاية  
القرن الثامن عشر أضحت بيد نخبة من العلماء قاموا بدور كبير في خدمة  
المجتمع المصري ، جعل منهم هذا الدور جهازا من أجهزة الحكم القائم مهمته  
الوقوف في صف الجماهير كلما هددهم خطر الحكام .

وكان في مقدمة تلك النخبة الشيخ (محمد أبو الأنوار بن وفا السادات)  
شيخ السجادة الوفية والسيد (عمر مكرم) نقيب الأشراف والشيخ (خليل  
البكري) شيخ سجادة بنى الصديق والشيخ (عبد الله الشرقاوي) شيخ الجامع  
الأزهر والشيخ (محمد الأمير) مفتى المالكية والشيخ (سليمان الفيومي)  
وغيرهم ممن تبوعوا مكانا عليا في نفوس الشعب في هذه الفترة .

وسوف نلاحظ إبان حوادث ( الحملة الفرنسية ) أن هؤلاء الزعماء قد اضطلعوا بمهمة الدفاع عن البلاد في مواجهة الغزو العسكري والفكري لمصر الإسلامية .

وخلاصة القول أن الحياة في مصر إبان الحكم العثماني كانت تؤذن بتغير مرتقب نظرا لأن الحكم العثماني قد بدأت تتزعزع أركانه في البلاد على أيدي المماليك من ناحية ، ومن ناحية أخرى وهى التي تهمنا ، وهى ناحية الشعب المصري فقد بدأت حركة اليقظة الوطنية في مصر على أيدي العلماء وعلى الرغم من أنها كانت متواضعة إلا أنها كانت بداية ، وليس على الرواد الأوائل أن يقوموا بحركات ثورية كاملة مبرأة من كل عيب ، ويكفيهم أنهم بدءوا ووضعوا لنا أساسا على معالم الطريق نهتدي به عبر مسيرة نضالنا من أجل التحرر من ربة ظلم الحكام المستبدين .

ولا شك في أن حركة العلماء في مصر على الأخص في النصف الثاني من القرن الثامن عشر كانت أولى أدوار اليقظة القومية ولم تكن الحملة الفرنسية هي التي أيقظت الشعب المصري كما يدعى البعض فقد أتت الحملة الفرنسية فوجدت الأزهر يموج بتيارات سياسية تتعدى جدرانها لكي تشمل الحياة العامة كلها .

وعلى ذلك يجب أن نتيقظ لما يروج مصريا وعالميا لتأثير الحملة الفرنسية على مصر في ميدان اليقظة المصرية ، وأنها على العكس قطعت الطريق على الشعب المصري الذي كان أوشك على أن يصل إلى ثورة حاسمة للحصول على حقوقه .

## نص وثيقة الحقوق

برفع الظلم عن الشعب المصري بعد الحركة الشعبية التي تزعمها

الشيخ عبد الله الشرقاوي شيخ الأزهر .

٢٧ من ذي الحجة سنة ١٢٠٩ هـ (١٧٩٥ م)

(( هو أنة بمصر المحروسة مدينة أهل الولاية المقربين وعلامة العاملين

وخلفائه الراشدين شرفها الله تعالى إلى يوم الدين بين يدي سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام علامة الأتام قاموس البلاغة ونبراس الإقهام أشرف السادة الموالى الأعالي الأعزة الكرام الناظر في الأحكام الشرعية قاضي القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه الكريم أعلاه ، دام علاه أمين .

مضمونة بحضرة كل من سيدنا ومولانا الأعظم والملاذ الأفخم الأكرم قطب دائرة الزمان وفريد العصر والأوان المحفوظ بعناية الله الرحيم الرحمن خاص خواص أصحاب العبادة والصلاح . خلاصة أرباب السماحة والفلاح وقرة أهل الورع والزهة واسطة أعيان الخشوع والرشد ستار أهل الحقيقة سيد السادات ومعدن الفضل والجود والسيادات من به وبأسلافه نتوسل إلى الله الملك الغفار السيد الشريف الطاهر العفيف الشيخ ( محمد أبو الأنوار بن وفا ) شيخ السجادة الشريفة الوفية المنيفة وصاحب الكنية المصطفوية الحميدة حالا زاده الله عزاء وإجلالا آمين وسيدنا ومولانا فخر سادتنا بنى الصديق كوكب سما مجدهم على التحقيق فرع الشجرة الزكية الصديقية من به وبأسلافه نتوسل إلى الله الملك العزيز الجليل مولانا السيد الشريف الشيخ ( خليل البكري الصديقي ) الأشعري سبط الشيخ آل الحسين شيخ سجادة أجداده بنى الصديق حالا وسيدنا ومولانا فخر أعزة السادة الأشراف الفضلا العظام سلالة آل بنى عبد مناف الفخام فرع الشجرة الزكية وطراز العصابة الهاشمية الفاخرة الوائق

بربه المعيد المبدي مولانا السيد الشريف ( عمر أفندي نقيب السادة الأشراف ) بمصر حالا زاده الله عزا وإجلالا ومولانا الشيخ الإمام العالم العلامة أوجد الأفاضل العظام مفيد الطالبين بإفهام عمدة المحققين وصفوة العلما العاملين زين الشريعة والملة والدين مولانا الشيخ ( عبد الله الشرقاوي ) الشافعي شيخ مشايخ أهل الإفادة والإفتى والتدريس بالجامع الأزهر حالا وسيدنا ومولانا الشيخ الإمام العلامة الهمام أوجد الأفاضل العظام سيبويه الزمان وفريد العصر والأوان مولانا الشيخ شمس الدين ( محمد الحريري الحنفي ) الأزهر مفتي السادة الحنفية بمصر حالا وسيدنا ومولانا الشيخ الإمام العالم العلامة الهمام أوجد الأفاضل الكرام صدر المدرسين العظام مفيد الطالبين مولانا الشيخ شمس الدين ( محمد الشهير نسبة الكريم بالأمير ) المالكي الأزهر مفتي السادة المالكية بمصر حالا وسيدنا ومولانا الشيخ الإمام العلامة الهمام أوجد الأفاضل العظام صدر المدرسين الكرام مفيد الطالبين بإفهام مولانا الشيخ زين الدين (مصطفى الشهير نسبه الكريم بالصاوي) الشافعي الأزهر عین أعيان أهل الإفادة والإفتى والتدريس بالجامع الأزهر .

وسيدنا ومولانا الشيخ الإمام العلامة الهمام أوجد الأفاضل العظام مولانا الشيخ زين الدين ( عبد المنعم العمري ) المالكي الأزهر عین أعيان أهل الإفادة والإفتى والتدريس بالجامع الأزهر حالا وسيدنا ومولانا الشيخ الإمام العلامة الهمام أوجد الأفاضل العظام صدر المدرسين الكرام مولانا الشيخ شهاب الدين ( احمد العريشي ) الحنفي عین أعيان أهل الإفادة والإفتى والتدريس بالجامع الأزهر والشيخ الإمام العلامة الهمام صدر المدرسين الكرام مولانا الشيخ برهان الدين ( إبراهيم السجيني ) الشافعي الأزهر عین أعيان أهل الإفادة والإفتى والتدريس بالجامع الأزهر حالا والشيخ العلامة الهمام الإمام صدر المدرسين الكرام ( زين الدين المنصوري ) الحنفي عین أعيان

أهل الإفادة والإفتى والتدريس بالجامع الأزهر حالا والشيخ ( زين الدين سالم بن مسعود الفوي ) المالكي الأزهرى عين أعيان أهل الإفادة والإفتى والتدريس. وشيخ رواق السادة المغاربة المجاورين بالجامع الأزهر عمت بركاتهم وأدام الله النفع بوجودهم آمين.

يمنزل قدوة الأمرا العظام كبير الكبرا الفخام صاحب العز والقدر والهمة والاحترام المقر الكريم العالي حايز رتب المفاخر والمعالي مير اللوا الشريف السلطاني مولانا الأمير إبراهيم بك الكبير محمد ( أى تابع محمد بك أبو الذهب ) قائمقام بمصر المحروسة سابقا وأمير الأمرا بها حالا . وقدوة الامرا الكرام كبير الكبرا الفخام المقر الكريم العالي حايز رتب المفاخر والمعالي مولانا الأمير ( أيوب بك ) دفتردار مصر المحروسة حالا وقدوة الامرا الكرام كبير الكبرا الفخام المقر الكريم العالي حايز رتب المفاخر والمعالي مولانا الأمير أيوب بك الكبير الأمير ابراهيم بك مير الحج الشريف المصري سابقا وحاكم ولاية دجرجا سابقا (محمد ) وقدوة الأمرا الكرام صاحب العز والمجد والاحتشام مير اللوا الشريف السلطاني مولانا الأمير . سليمان بك محمد ) حاكم ولاية دجرجا سابقا وافتخار الأمرا الكرام عين أعيان ذوى الوقار الفخام مير اللوا الشريف السلطاني مولانا الأمير ( أحمد بك محمد ) حاكم ولاية المنوفية سابقا وافتخار الأمرا العظام عمدة ذوى الوقار الفخام الجناب العالي حايز رتب المفاخر والمعالي مولانا الأمير ( عثمان بك مراد ) حاكم ولاية دجرجا سابقا وقدوة الأمرا الكرام عمدة أولي الشأن الفخام مير اللوا الشريف السلطاني الأمير ( صالح أغا وكيل دار السعادة ) العظمى بمصر حالا محمد وفخر الأكابر والأعيان عين أعيان ذوي المفاخر والشأن الجناب المكرم الأمير (على كتخدا) طايفة مستحفظان قلعة مصر المحروسة حالا والجناب المكرم الأمير (ابراهيم كتخدا باش اختيار) والأمير (عثمان كتخدا) طايفة عزبان قلعة

مصر حالا والجناب المكرم الأمير (مصطفى كتحدا باش اختيار عزبان) والجناب المكرم الأمير أحمد أعا باش اختيار طايقة المتفرقة والجناب المكرم الأمير مصطفى أعا باش اختيار متفرقة والجناب المكرم الأمير على كتحدا الجاويشية والأمير على أعا اختيار طايقة جاويشان سليم والجناب المكرم الأمير أحمد أعا اختيار طايقة جاويشان غانم والجناب المكرم الأمير يوسف باش جاويش جمليان والجناب المكرم الأمير يوسف أفندي كاتب كبير جمليان والجناب المكرم الأمير سليمان جوربجي باش اختيار تفكيجان البرديسي والأمير أحمد أفندي كاتب صغير تفكيجان . والجناب المكرم الأمير حسن باش جاويش جراكسه والأمير محمد جوربجي باش إختيار جراكسه واطلاعههم وشهادتههم على ما يأتي ذكره فيه .

بعد أن توافق كل من سادتنا أرباب السجاجيد وسادتنا علماء الإسلام مصاييح الظلام متع الله بوجودهم الأتام مع كامل الأمرا الكرام المعين أسماؤهم بأعاليه على :

- ١- تنزيل جوامك (مرتبات) المسلمين المطلوبة من المال الميري .
- ٢- وإجراء جرايات المستحقين وعلوفات الفقراء والمساكين المقررة للجامع الأزهر ومحفل العلم الشريف الأتور وجريانه من وقفه الخاص به ولا يؤخذ منه شيء من المكوس والمظالم ( يعني عدم المساس بميزانية الأزهر).
- ٣- وإجراء أموال الحج ومتعلقاته حكم قديمها على ما هي عليه من زمن الملوك والسلاطين ( يعني عدم المساس بميزانية الحج).
- ٤- ومنع التفاريد على البلاد والرعايا والفقرا (يعني منع الفردة الجديدة).
- ٥- ومنع ترك الكشاف الجائرة في بلاد الله التي خربوها ونهبوها ودمروها .

- ٦- إزالة القلبنجية (الفلنجية) = بعض طوائف العسكر) من مصر القديمة لإيذانهم المسلمين.
- ٧- لا يزداد على دفتر المرحوم الأمير محمد بك أبو الذهب قايمقام مصر كان من رفع المظالم ( يعني إلغاء التشريعات الضريبية المستحدثة منذ عهد محمد بك أبو الذهب).
- ٨- وأن جميع ما أحدثه المرحوم الأمير إسماعيل وغيره يزال من أصله بالكلية .
- ٩- وأن تدفع المكوس الجارية في البنادر والموارد وما جعل على المآكل والمشارب (يعني رفع الضرائب على المواد الغذائية).
- ١٠- إزالة جميع الحوادث والمظالم من جميع الأقطار المصرية.
- ١١- والتزموا أن لا يتعرض أحد منهم إلى السادة الأشراف القاطنين بجميع السبلاد لا بشكوى ولا بأذيه ولا بضرر ولا بوجه من الوجوه وأن ينتهي أمرهم في حوادثهم الخاصة بهم إلى أفنديهم ونقيبهم في سائر الأقطار والأزمان .
- ١٢- وأن لا يتعرض أحد منهم لخدام الشريعة المحمدية بوجه يضر بهم - وأن ينتهي أمرهم في كامل حوادثهم المتعلقة بهم إلى أفنديهم مولانا شيخ الإسلام قاضي عسكر أفندي بمصر في جميع الأزمان.
- ١٣- وأن يقوموا بعمارة السواقي الموصلة المياه إلى القلعة وإدارتها بحضرة الوزراء والفقهاء وشرب المسلمين القاطنين بها.
- ١٤- وعدم إنزال الغلال من الديار المصرية إلى بلاد الكفرة والمشركين أعداء الدين ( يعني عدم تصدير السلع الضرورية لحاجة الشعب إليها).
- ١٥- و ألا تحدث حادثة من الآن إلى ما يستقبل من الزمان.



فأجابوا حضرة الأمرا الكرام المعين أسماؤهم بأعاليه بالسمع والطاعة وعدم مخالفة الجماعة وأن يبطلوا هذه المظالم الحادثة التي أضرت بالإسلام والمسلمين وأبادت أموال الفقرا والمساكين وحصل بها الضعف والجور المبين وامتثلوا جميعا ما طلب منهم وأشير لهم عليه وعاهدوا الله سبحانه وتعالى على أن لا يعودوا إلى تلك الأفعال وكل من خالف ذلك أو توقف في دفع ما يترتب عليه أو سعى في إبطال شئ من ذلك فيكون على ساداتنا أرباب السجاجيد وعلماء الإسلام والأمرا قهره واستخلاص كامل ما هو مطلوب منه لأربابه كايما من كان عملا في ذلك بالفرمان الشريف الواجب القبول والتشريف المكتتب باللغة العربية الوارد في شأن ذلك من حضرة سيدنا ومولانا الوزير المعظم والدستور المكرم والمشير المفخم من تناهت بمقصده الجميل غايات مصالح الإسلام وفاهت بمحامده الثنية الأعلام صاحب السعادة مولانا الوزير الحاج صالح باشا كافل الديار المصرية حالا يسر الله له من الخيرات ما يريد وما يشاء المقيد بسجل الباب العالي بمصر المحفوظ بخزينة السجلات العامة المؤرخ بيوم تاريخه أدناه توافقا صحيحا شرعيا عن طيب قلب وانتشراح صدر لما علم كل منهم في ذلك من الحظ والمصلحة باعتراف كل منهم بذلك بحضرة شهوده ومن ذكر أعلاه في يوم تاريخه الاعتراف الشرعي ولما تم الحال على هذا المنوال.

أشهد على نفسه كل من افتخار الأمرا الكرام كبير الكبرا الفخام المقر الكريم العالي الأمير (إبراهيم بك الكبير) المشار إليه وافتخار قدوة الأمرا الكرام كبير الكبرا الفخام صاحب العز والقدرة والمجد والاحتشام المقر الكريم العالي والكوكب المنير المتألق حايـز رتبـة المفـاخر والمعالـي مير اللـواء الشـريف السلـطاني مولانا الأمير (مراد بك محمد) مير الحاج الشريف المصري سابقا شهوده الإشهاد الشرعي وهما بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعا أن عليهما

القيام في كل سنة يجريان كافل ما نص وشرح بأعليه بقدر الإمكان والاستطاعة القيام الشرعي بالطريق الشرعي فطوبى للذين آمنوا وعملوا الصالحات واجتهدوا في استخلاص حقوق عباد الله ودفعها لهم بما أمر الله فمن فعل ذلك مجتهدا في طاعة الله متمثلا لأوامر الله مجتنباً للنواهي فهو من الفايزين عند الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم لقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ وأما من أعان على مصالح ذلك وسعى في إجرا كامل ما نص وشرح بأعليه برد الله مضجعه - ولقته حجتة وجعله من الآمنين الفائزين الفرحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولما تم ذلك على الوجه المسطور حكم مولانا أفندي المشار إليه بموجب ذلك وأمر بكتابته وقيده بالسجل المحفوظ ضبطا للواقع ليراجع به عند الاحتياج إليه والاحتجاج به حكما وأمر شرعيين وعلى ما جرى وقع التحرير في سابع عشرين شهر الحجة الحرام ختام سنة تسع ومايتين والف. (في ٢٧ ذي الحجة سنة ١٢٠٩ هـ = ١٧٩٥ م).

الشيخ عبد الوهاب الداودي

## أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م

لدينا خطاب للرئيس بوش أعلنه أمام الكونجرس بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، بتاريخ ٢٩/١/٢٠٠٢م يعلن فيه صراحة لا لبس فيها عداؤه للعرب والمسلمين في بلادهم أو في أمريكا ذاتها ، ويتوعد كل من يقف في طريقه معلناً أن معركته ممتدة وسوف تدور رحاها أو دارت بالفعل في الدول العربية والإسلامية ويؤكد في صراحة لا لبس فيها تأييده لإسرائيل فيما تقوم به من قتل وتدمير واغتيال ومذابح ضد الفلسطينيين ، ولا يتورع أن يعلن قائلاً أنه سيظل في حربه هذه حتى يشرب المسلمون الخمر ويأكلوا الخنزير ويباشروا الجنس والشذوذ الجنسي وأنه سيعمل على أن تسود الحضارة المسيحية اليهودية التي يقودها الرجل الأبيض ، وأن أي مؤسسة عالمية ستقف في طريقه سيعمل على إزالتها ، وأن الجامعة العربية يجب حلها

ويعلن أنه سيمضي على خطوات أبية من أن يشن حرباً ضد العرب والمسلمين كل عشر سنوات حتى لا تقوم للعرب والمسلمين قائمة ، وأن كل بترول الشرق الأوسط من السعودية ودول الخليج وإيران والعراق سيصل إلى أمريكا تتحمل الدول المنتجة للبترول نفقاته ، ويعلن في صفاقة أن إسرائيل هي الحليف الأوثق لأمريكا ويهدد كل من تسول له نفسه ويعبر عن عدم رضاه مما تقوم به إسرائيل في فلسطين وما حولها من البلاد العربية الأخرى من عدوان ومذابح وعبث وفساد في الأرض وإهلاك للزرع والحرق والنسل .

والخطاب نشر في صحيفة أمريكية هي " ميديا مونيتورز نتويرك" لكاتب طبيب مسلم أمريكي من أصل شرق أوسطي عمل في مجال الطب

الأكاديمي والصحة ، ويقوم بكتابة مقالات عن القضية الفلسطينية والإسلام  
والسياسية الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط .

خطاب بوش إلى أعضاء الكونجرس

بتاريخ ٢٠٠٢/١/١٩م

السيد الرئيس : أعضاء الكونجرس ، المواطنون الأمريكيون :

أود بكل اعتزاز عميق ومن دون تحامل أن أقول لكم الليلة أن حال  
الاتحاد اليهودي المسيحي الأبيض والثري قوية تماماً ، ولم يحدث أبداً في  
تاريخنا أن كانت القوة الأمريكية والهيمنة الأمريكية والقيم الأمريكية قوية  
ومهابية ومحترمة ومقبولة في العالم كما هي اليوم .

فالسيوم يوجد العلم الأمريكي والقوات المسلحة الأمريكية ووكالة  
الاستخبارات المركزية الأمريكية "سي آي إيه" ومكتب التحقيقات الفيدرالي في  
أكثر من مائة دولة لضمان السلام والإذعان والتحرر من الخوف والإرهاب ،  
وينبغي أن يكون الأمريكيون فخورين بي وبحكومتهم وبرجال القوات المسلحة  
ونسائهما الذين يضحون بمباهج الحياة من أجل ضمان أسلوب حياتنا الأمريكية

الأخوة المواطنون الأمريكيون :

إنني فخور بأن أبلغكم أن طالبان قد اندحرت ، وأن كابول تحررت ،  
وأن أسامة بن لادن والملا محمد عمر إما أن يكونا قد قُتلا أو إنهما يحتضران  
أو يختفيان ، ولكن ليس لوقت طويل ، إذ إنني مصمم على تقديمهما للعدالة  
حيين أو ميتين ، وأن أبلغكم بأن النساء الأفغانيات تخلصن عن براقعهن إلى  
الأبد ، وأن الفتيات الأفغانيات رجعن إلى المدارس ليطلعن كيف ظفرن بالغرب  
الأمريكي ، وأن رمز الحضارة الغربية الثقافي الأكثر أهمية وهو التلفزيون  
عاد للحياة الأفغانية ، والأفغان سعداء الآن ، وأحرار في التنقل في أنحاء

بلادهم لزراعة الأفيون ، ويجب على الأمريكيين والأطفال الأمريكيين على نحو خاص الشعور بالفخر بكرمهم المتمسي في إرسال المال والطعام إلى أفغانستان ، ومما يثلج صدري أن أرى الأطفال الأفغان وهم يستمتعون بأطعمتي المفضلة وهي زبدة الفول السوداني والجيلي والبسكوت العقدي ، وعلى الرغم من أن الحرب في أفغانستان توشك على نهايتها فإن أماننا طويلاً ينبغي أن نسيره في العديد من الدول العربية والإسلامية ، ولن نتوقف إلى أن يصبح كل عربي ومسلم مجرداً من السلاح وحليق الوجه وغير متدين ومسالماً ، ومحباً لأمريكا ولا يغطي وجه امرأته نقاب ، وإنني مصمم على استخدام جميع مواردنا لتحقيق ذلك قبل انتخابي لفترة رئاسية ثانية .

كم هو فرق شاسع بين ما كان قبل عام ، وما هو كائن اليوم ، فقبل عام وتحديداً في ٢٧/٢/٢٠٠٠م تركز خطابي عن حال اتحاد على القضايا المحلية ، وفي العام الماضي كان الموضوع المحلي الرئيسي هو كيفية اتفاق فائض الموازنة الهائل وكان مكتب الموازنة في الكونجرس يتوقع قبل عام تحقيق فوائض تبلغ ٥,٦ تريليونات دولار خلال تلك الفترة ، ويقول المكتب إن الموازنة الفيدرالية ستخفّض خلال السنوات العشر المقبلة ، وأما الآن فإن هذا المكتب يتوقع تحقيق فوائض تبلغ ١,٦ تريليون خلال تلك الفترة العامين المقبلين إلى حد خطير ، إن أربعة تريليونات دولار ثمن قليل مقابل حماية حرياتنا وحضارتنا ومحاربة بن لادن ، وتحقيق تخفيض ضريبي ضخم للثرياء الأمريكيين .

وفي ذلك الخطاب قلت : إن التوجيه المبالغ فيه يضغط على روح المبادرة والعمل الجاد وأعمال الخير الخاصة والاقتصاد الخاص ، وتقول رؤيتنا الجديدة للحكم : إن الحكومة ينبغي أن تكون فعالة ولكنها يجب أن تكون محدودة ، وينبغي أن تتولى جميع المهام من دون أن تكون متغطرسة .

والتعليم لا يمثل الأولوية الأكثر أهمية بالنسبة إلى ، وبتأييدكم لهذه الموازنة سيجعلون منه أولويتكم الأكثر أهمية أيضاً .

ونحن نواجه مشكلة خطيرة في الطاقة تتطلب سياسة قومية في مجال الطاقة ، ولدى أمريكا فرصة لتوسيع سلامنا الحالي وتأمينه عن طريق الترويج لدولية أمريكية متميزة ، وسنعمل مع حلفائنا وأصدقائنا لتكون قوة للخير ومناصرين للحرية ، وسنعمل من أجل الأسواق الحرة والتجارة الحرة والتحرر من القمع ، والشعوب التي تحقق تقدماً نحو الحرية ستجد في أمريكا صديقة لها ، وسنعزيز قيمنا والسلام ، ونحن بحاجة لقوات مسلحة قوية للمحافظة على السلام .

وعموماً لم يكن في مقدور أحد التنبؤ بقدوم بن لادن وبالتأثير الذي سيجدته في أمتنا وسياساتها الداخلية والخارجية ، وعلى أية حال ، وعلى الرغم من مرتكبي الأفعال الشريرة حافظت على وعودي التي قطعتها للشعب الأمريكي ، باستثناء أمر واحد فقد أرغمتني حربنا ضد الإرهاب على توسيع موازنة حكومتنا بدرجة كبيرة في ما يتعلق بالأمن الداخلي ووزارة الدفاع (البنتاجون) وكان يتعين علينا توسيع دورنا في مجال الأمن والاستخبارات ومراقبة مكتب التحقيقات الفيدرالي ووكالة "سي آي إيه" للأمريكيين المسلمين الذين تم اعتقال الآلاف منهم واحتجازهم من دون أمر قضائي ، وقد قيدت الحقوق والحريات المدنية تقييداً شديداً ، وفرضنا قيوداً على وسائل الإعلام وحرية التعبير هنا ، وفي قناة تليفزيون (الجزيرة) ، وجعلنا مهمة الكشف على المسافرين وأمتعتهم في المطارات شأناً فيدرالياً ، والأمريكيون يؤيدونني في هذه الإجراءات الأمنية المهمة .

ويمثل وجود غير البيض وغير اليهود والمسيحيين في بلادنا سواء كان ذلك الوجود شرعياً أو غير شرعي خطراً على شعبنا ، وبصفتي رئيساً

لكم فإبنتي مسنول عن ضمان سلامتكم وستتغير سياستنا الخاصة بالهجرة لتعكس إهتماماتنا الأمنية ، وفي الوقت المناسب ستصبح مدينة نيويورك التي عانت كثيراً مدينة بيضاء متجانسة مرة أخرى .

ولقد أنجزت بالفعل التخفيض الضريبي للأثرياء حسب وعدي ، وإبنتي أعمل على تحقيق تخفيضات ضريبية أخرى على الرغم من جوانب العجز في الموازنة ، وقد عملت مع الكونجرس لإجازة مشروع السيناتور كيندي الخاص بالتعليم ، وبمساعدة وزير الدفاع (دونالد رامسفيلد) "الفحل" (ضحك وتصفيق) والدكتورة (رايس) و (بول فولوففيتز) و (ريتشارد بيرل) و وفد الكونجرس اليهودي واللجنة الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة (إيباك) طورنا سياسة خارجية دولية أمريكية فريدة ، ولن تكون أمريكا بعد الآن طرفاً في معاهدة دولية تعرض أهدافنا الاقتصادية أو العسكرية للخطر ، ونحن الآن وأستخدم هنا عبارة صديقي شارون ذلك (غير ذي صلة) ، نعتبر جميع المنظمات الدولية التي تعارض أي هدف يتعلق بالمصلحة الوطنية الأمريكية الإسرائيلية غير ذي صلة ، ويشمل هذا منظمات كالأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي ومحكمة الجنايات الدولية ومنظمة التجارة الدولية ومفوضية الأمم المتحدة الخاصة بحقوق الإنسان ومفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية والجامعة العربية التي يجب في اعتقادي أن يتم حلها فوراً واللجنة الدولية للصليب الأحمر والفاتيكان وجميع المنظمات الإسلامية .

وعلى الرغم من أن محاربة مرتكبي الأعمال الشريرة استهلك معظم الفئاض ، إلا أنني أقترح إنفاق ٥ مليارات دولار ، وهو مبلغ يقل عما ندفعه سنوياً إلى "إسرائيل" لمساعدة مواطنينا المتقدمين في السن بتوفير تكاليف الدواء لهم ، وبالنسبة لأي مبالغ أكثر من ذلك فيجب أن تأتي من برنامج مساعدتنا الخارجية الخاصة إلى "إسرائيل" وسأطلب أيضاً زيادة أخرى قدرها

٥٠ مليار دولار لموازنتنا الدفاعية ليصل إجمالي مخصصاتها للسنة المالية ٢٠٠٣م (٤٠٠ مليار دولار) وزيادة قدرها ٣٨ مليار دولار للأمن الداخلي ، وقد اهتمت إدارتي بسياسة طاقة قومية ، وقامت بإعدادها تحت إشراف نائب الرئيس "تشيني" الجالس ورائي إلى اليمين الذي عمل عن كثب مع "إيرون واكسون موبيل وشركات أخرى ذات صلة بالطاقة، وعموماً فقد طلب مني " تشيني" أن أضع موضع التنفيذ الامتيازات التنفيذية والتعديل الخامس ضد اتهام الذات ، وهو ما أقوم به الآن ضد أي محاولة لتأكيد تنظيم قوة العمل الخاصة بشركة "إيرون للطاقة" أو وضع جدول لها وسنبدأ على الفور بالحفر في أرجاء أراضينا للتنقيب عن النفط ، وسنبدأ العمل في مشروع طموح لبناء خط أنابيب مباشر تحت الماء من المملكة العربية السعودية والخليج والعراق وإيران إلى نيويورك وعلى نفقتهم لضمان إمدادات نفطية غير منقطعة .

وكما قلت لهذه الهيئة في ٢٠ سبتمبر / أيلول ٢٠٠١م  
 "وسواء قدمنا أتعادنا للعدالة أو طبقنا العدالة في أتعادنا فسوف  
 نتحقق العدالة ، وتمثل القاعدة بالنسبة للإرهاب ما تمثله المافيا بالنسبة  
 للجريمة ، ولكن من الغباء ألا يتمثل هدف القاعدة في كسب المال ، بل يتمثل  
 في إعادة صياغة العالم وفرض معتقداتهم الراديكالية على الشعوب في كل  
 مكان .

#### عودة إلى البدائية

وعموماً فالاستعداد لعبة عادلة ، وقد حان دورنا كما قال رئيس الوزراء البريطاني "طوني بليير" : دعونا نعيد تشكيل العالم ليصبح على صورتنا وهكذا ، وبفضل إلها سنقوم نحن شعوب العالم من الجنس الأبيض المتحضر بفرض معتقداتنا الرزينة والودودة والتحريرية على عالم جانع لأموالنا ورسالتنا ، ولن يخضع الرجال بعد الآن لشرط إطلاق اللحي ولن



تخضع النساء لشروط تغطية وجوههن وأجسادهن ، ومن الآن فصاعداً يحق للعالم تناول الخمر والتدخين وممارسة الجنس السوي أو الشذوذ الجنسي بما في ذلك سفاح القربى واللواط والخيانة الزوجية والسلب والقتل وقيادة السيارات بسرعة جنونية ومشاهدة الأفلام والأشرطة الخلاعية داخل فنادقهم أو غرف نومهم ، وبالنسبة لشركاتنا التي تنتج مثل هذه المنتجات فسيحق لها الوصول من دون أي عقبات للدول المتخلفة التي منعت تلك الحريات عن شعوبها .

والإرهابيون المسلمون خونة لعقيدتهم ، وهم يحاولون في الواقع اختطاف الإسلام ذاته .

### مغالطة

ولهذا السبب نفصل نحن في العالم اليهودي والمسيحي سياستنا عن عقيدتنا ، ونفصل حروبنا وإرهابنا عن العقيدة ، ولهذا السبب لا ترون في وسائل الإعلام تغطية للإرهاب اليهودي أو الكاثوليكي ، فعندما نقتل لا يتم هذا باسم الإيمان ، وإنما يتم للدفاع عن حريتنا وحضارتنا ، فلماذا يكرهوننا ؟ إنهم يكرهون ما أراه ماثلاً هنا في هذا المجلس الرجال والنساء الذين تم انتخابهم ديمقراطياً بوساطة أموال من شركة الرن وشركات النفط والاتصالات اللاسلكية والتأمين ومكاتب المحامين .

وأكثر ما يكرهونه هو أن مواطنين من اليهود الأمريكيين ينفقون الملايين للحصول على تأييدكم الأبدي لحليفتنا الوحيدة في العالم إلى جانب إنجلترا وهي إسرائيل ، وهم يكرهون حرياتنا المتمثلة في حرية الدين وحرية التعبير وحرية التصويت والتجمع والاختلاف مع بعضنا بعضاً ، وهم يريدون الإطاحة بحكومات قائمة في العديد من الدول الإسلامية مثل :مصر والمملكة العربية السعودية والأردن ، ولن نسمح بحدوث ذلك فالرئيس مبارك والملكان

فهد وعبد الله أصدقائنا وهم يريدون الخير لأمريكا ويريد أعداؤنا طرد إسرائيل من الشرق الأوسط وإرسال اليهود إلى ولايتنا اليهودية "نيويورك" ، وهم يريدون طرد المسيحيين واليهود من غير البيض من مناطق واسعة في آسيا وأفريقيا وإرسالهم إلى هنا ، ولكن هذا لن يتم إلا على جثتي .

وحربنا ضد الإرهاب لا تستخدم وسائل قابلة لأن تخاطب العقل الباطن ، وهذه الحملة لن تتضمن قتل الأفغان فقط ، بل حرمان الإرهابيين من الأموال عن طريق إغلاق كل الهيئات الخيرية والبنوك ومكاتب الصرافة غير اليهودية المسيحية هنا وحول العالم ، ولن يتم بعد الآن تصديق وتحمل أضرارهم عن إطعام الأطفال الجوع ، وقد لاحقنا كل دولة في نصف الكرة الجنوبي للقضاء على وتدمير أي معارضة ضد حكومتها الراهنة ، ويتعين على كل دولة أن تختار بين أن تكون أو مع الإرهابيين ، وإنني سعيد بإبلاغكم أن كل واحدة من هذه الدول انصاعت لطلبنا ، وأن الحكومات في كل تلك الدول اتخذت إجراءات حاسمة ضد أعدائها الداخليين الذين يعارضون ولاء تلك الحكومات لأمتنا .

إن أمريكا لم تكسب الحرب الباردة فقط بقيادة "داداي" (بوش الأب) ولكن لدينا الآن فرصة لتشكيل تحالفات قوية ودائمة مع أعدائنا السابقين ، ومن روسيا والصين وحتى الهند أقامت أمريكا شراكة ذات مدى عالمي لاستئصال أي وجه شبه وأمل لافصاليين إسلاميين أو توقي لتحقيق الاستقلال في هذه الدول ، وهذه الدول التي تضم نصف سكان العالم تقريباً ، تحظى الآن بدعمنا الكامل لما تقوم به بجميع السبل لقمع واستئصال الأصولية الإسلامية في الشيشان وكشمير وأويغورز في مقاطعة شينجيانج الصينية ، ولكن وقبل كل شيء أريد أن أعلن للعالم أن خضوعنا الكامل وتحالفنا مع إسرائيل قوي كالحديد ، وإنني أؤيد بقوة وعلى نحو كلي الحرب ضد الإرهاب التي يشنها شارون وتدميره للسلطة الفلسطينية وعرفات ، وإنني أعلن اليوم أن الولايات

المتحدة ستوقف جميع اتصالاتها مع عرفات وأتباعه من مرتكبي الأعمال الشريرة الذين يقتلون ويفجرون اخواننا وأخواتنا من اليهود ، ولن نؤيد بعد اليوم قرار مجلس الأمن الدولي رقم ٢٤٢ الذي صوتت أمريكا بالموافقة عليه في عام ١٩٦٧م كأساس لعملية السلام وقد أوضح لي شارون أننا لا نستطيع أن نكسب بمكيالين بخوضنا حرباً ضد الإرهاب الإسلامي بزعامه بن لادن ، ومعارضة الحرب الممثلة التي تخوضها إسرائيل ، وقد عانت إسرائيل لمدة ٥٣ عاماً من تهديد الجيوش العربية والاحتلال الفلسطيني لأرضها (مغالطة وتبجح وقلب للأوضاع) وإنني أعرف أن وزارة الخارجية في عهد وزيرها الجنرال الحالي عمدت في بعض الأحيان على نحو غير صحيح إلى انتقاص إسرائيل كلما استخدمت طائرات (إف ١٦) التي تزودها بها لقصف مدرسة أو كنيسة في بيت لحم ، ولكنني أستطيع القول بكل ثقة (الأفضل بكل تبجح) إنني والجنرال ندرس هذا معاً ، ولذلك فسوف يمضي بقية فترته في الوزارة لضمان سلام إسرائيل وأمنها ورفاهيتها الاقتصادية ، وفي هذا الصدد سأقدم باقتراح لزيادة عوننا الاقتصادي لإسرائيل بمبلغ ملياري دولار ، لمساعدتها على تعويض خسائرها الاقتصادية الناتجة عن هجمات ١١ سبتمبر / أيلول ، ونحن لا نستطيع أن ندع الجهات الإرهابية والدول المارقة تعادي هذه الدولة أو حلفائنا.

وقد توصلت أمريكا أخيراً لمصيرها الواضح ، ولن نتعامل بعد الآن ببردود الأفعال ولن نسمح بجرنا إلى صراعات ، ولن نكون بعد الآن الدولة التي يأتي إليها العالم لتصنع السلام وتبني الدول ، فمصير أمريكا الآن واضح أمام العالم ، فنحن سنكون من يشن الحروب على كل من نختاره هدفاً لنا ونحن الذين سندمر قبل أن نعيد البناء ، ولن نقف بعد الآن مكتوفي الأيدي والعالم يغرق في دمايته ، فأمريكا تعمل من أجل السلام ، ولكننا إذا رأينا هناك

حاجة لإزالة الدماء فسنقوم بذلك بأنفسنا ، ومن الآن فصاعداً فستقرر أمريكا متى ؟ ، وأين ؟ ، وكيف ؟ ، ولماذا ؟ تنش الحرب أو تحقق السلام ، وقد انتقلت دولتنا بكل فخر من غضب الشوارع إلى الغضب الخارجي ، وقد نجح هذا في حالي إسرائيل وهو ناجح الآن بالنسبة لنا ولحليفاتنا روسيا والصين والهند .  
والدي

وكما قال "دادي" في خطابه عن حالة الاتحاد في ٢٩ يناير / كانون الثاني ١٩٩١م أجيء إلى مجلس الشعب هذا لأحدث إليكم ولجميع الأمريكيين وأنا على ثقة من أننا نقف عند لحظة حاسمة ، ففي بقاع مختلفة من العالم ، نخوض كفاحاً عظيماً في الفضاء والبحار وعلى الرمال ونحن نعلم لماذا نحن هناك ، فنحن أمريكيون وجزء من شيء أكبر منا بكثير ، ولمدة قرنين أنجزنا العمل الشاق الخاص بالبحرية ، والليله نحن نقود العالم في مواجهة خطر يهدد الأصول والبشرية ، وفيما عدا استثناءات قليلة فإن العالم يقف كوحدة واحدة .  
يا دادي إنني أمل أن أكون قد حافظت على إرث آل بوش حياً بمحاربة العرب والمسلمين كل عشر سنوات ، لضمان استمرار الفوضى في بلادهم ولن يجبرنا ملك أو أمير عربي نفطي على تحسين كفاية وقود سيارتنا المتطورة ، وهذا ما لن يحدث وأنا رئيس للولايات المتحدة ، وعلى العكس سيضطرون لزيادة الإحتاج وتخفيض الأسعار ، وإنني أمل يا "دادي" أن تكون أنت وأصدقائك في مجموعة كارلايل والقطاعات العسكرية والصناعية والنفطية سعداء بما تحقق من مكافآت بفضل بن لادن وسياساتي ، وينبغي أن نتاح الفرصة لجميع الأمريكيين ليكسبوا المال خلال انتقامنا من بن لادن وأعوانه من مرتكبي أعمال الشر المسلمين ، وهذا هو أقل ما يمكن أن نقوم به لتكريم أبطالنا الذين سقطوا في ١١ سبتمبر / أيلول . شكراً لكم وليبارك الله أمريكا "

وفي الجملة فإن خطاب الرئيس بوش يعلن في صراحة لا لبس فيها  
عداءه للعرب والمسلمين في بلادهم أو في أمريكا ذاتها .  
وهذا الخطاب نشر في صحيفة أمريكية هي "ميديا مونيتورز نتويرك"  
لكاتب طبيب مسلم أمريكي من أصل شرق أوسطي ، وقد عمل في مجال الطب  
الأكاديمي والصحة ، وله خبرة محلية ودولية في السياسة ، ويقوم بكتابة  
مقالات عن القضية الفلسطينية والإسلام والسياسة الخارجية الأمريكية في  
الشرق الأوسط.

[وقد ترجمه إلى العربية أحمد بشير بابكر ، ونشر في صحيفة الخليج  
الإماراتية في ٨ فبراير ٢٠٠٢ م ، وفيما يلي نص الخطاب كما هو منشور في  
جريدة الخليج ، وكما هو نصه في كتاب الأقليات الإسلامية في المجتمعات  
العربية للدكتور محمد إبراهيم الجيوشي ].

١.د.مصطفى محمد رمضان

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

جامعة الأزهر

## الفهرس

المقدمة .....	ص ٢
<u>الفصل الأول : الوثائق</u> .....	ص ٦
أنواع الوثائق .....	ص ٧
أولاً : محفوظات دفترخانة الشهر العقاري بالقاهرة .....	ص ٩
قائمة بالمحاكم الشرعية في القاهرة إبان العصر العثماني ..	ص ١٣
الحجج الشرعية .....	ص ١٥
أهمية وثائق محاكم الشرع في الدراسات التاريخية .....	ص ١٦
دار الوثائق القومية بالقاهرة .....	ص ١٩
أولاً : مجموعة وثائق الأزهر .....	ص ٢٠
سجلات مجلس إدارة الأزهر .....	ص ٢١
سجلات المجلس الأعلى للأزهر .....	ص ٢٥
مجموعة وزارة الأوقاف .....	ص ٢٨
وثائق النحكمة الشرعية بالأسكندرية .....	ص ٣٠
ثانياً : مجموعة وثائق عابدين .....	ص ٣٢
ثالثاً : مجموعة وثائق السودان .....	ص ٣٥
وثائق الثورة المهدية ١٨٨٠م .....	ص ٣٧
رابعاً : مجموعة وثائق الثورة العربية .....	ص ٣٨
خامساً : مجموعة وثائق صندوق الدين .....	ص ٤٠
سادساً : وثائق قناة السويس .....	ص ٤١
سابعاً : مجموعة وثائق الحجج الشرعية .....	ص ٤١
ثامناً : مجموعة فرمانات وأوامر كريمة .....	ص ٤١

تاسعاً : محافظ وثائق الحجاز .....	ص ٤١
عاشراً : وثائق أخرى .....	ص ٤٢
وثائق دار المحفوظات العمومية .....	ص ٤٢
مجموعة وزارة الأوقاف المصرية .....	ص ٤٤
وثائق دير سانت كاترين .....	ص ٤٥
خامساً : محفوظات الحياة النيابية .....	ص ٤٧
ثانياً : المطبوعات .....	ص ٤٩
الصحف الوطنية .....	ص ٥٠
مثال للبحث عن الوثائق .....	ص ٥٢
<u>الفصل الثاني : المخطوطات</u> .....	ص ٥٤
مخطوطة من تاريخ الجبرتي في ليدن بعنوان : تاريخ مدة	
الفرنسيس بمصر من سنة ١٢١٣هـ إلى ١٢١٦هـ .....	ص ٥٧
الظروف السياسية التي كتب فيها الجبرتي هذه المخطوطة ..	ص ٦٠
موقف العلماء .....	ص ٦٥
انتحال المخطوطات .....	ص ٨٨
<u>الفصل الثالث : الكتابات التاريخية عن العصر العثماني</u> .....	ص ٩٨
محمد بن إياس المصري .....	ص ١٠٠
مؤلفات ابن إياس .....	ص ١٠٢
محمد بن أبي السرور البكري .....	ص ١٠٦
محمد بن عبد المعطي اسحق .....	ص ١٠٧
حسين أفندي الروزنامجي .....	ص ١٠٨
عبد القادر الأتصاري الجزري .....	ص ١٠٩
أحمد الدمرداش (كتخدا غربان) .....	ص ١١٠

المراجع الأجنبية .....	ص ١١١
إدوارد وليم لين .....	ص ١١٥
مصر في نظر المستشرق الإنجليزي "إدوارد وليم لين" ...	ص ١١٦
من هذا إدوارد وليم لين .....	ص ١١٨
مؤلفات لين عن مصر .....	ص ١٢٣
هيئة المصريين وأشكالهم .....	ص ١٢٧
ملابس المصريين .....	ص ١٢٨
علماء الأزهر .....	ص ١٣١
رأي لين في علماء الأزهر .....	ص ١٣٣
ستانلي لين بول .....	ص ١٤٢
<u>الفصل الرابع : المصطلحات التاريخية</u> .....	ص ١٤٤
<u>الفصل الخامس : من مصادر الخبر في العصر الحديث وكالات</u>	
الأنباء وشبكة الإنترنت .....	ص ١٧٨
الحاجة ماسة لوكالة أنباء إسلامية .....	ص ١٨٣
شبكة معلومات الإنترنت .....	ص ١٨٥
ثورة شعبية يتزعمها شيخ الأزهر والعلماء .....	ص ١٨٦
نص وثيقة الحقوق .....	ص ١٩٧
أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م .....	ص ٢٠٤
الفهرس .....	ص ٢١٥



